المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع اللغة



طلب الخفة في الاستعمال العربي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم اللغة





إعداد الطالب
ردة الله ردة الطلحي

إشراف
الأستاذ الدكتور
تمام حسان

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد ..

فبتمام النعمة وجب الشكر لله سبحانه الذى أعان ووفق ،ومن تمام شكره شكر ذوى الفضل ، ففي الحديث : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللّه ". فاستحق الشكر أستاذى القدير الأستاذ الدكتور تمام حسان . الذى أشرف على هذا البحث حتى استوى على سوقه،وكان نعم المشرف والموجه فجزاه الله عنّي وعن العلم وأهله خير الجزاء . واستحقته جامعة أم القرى ، إذ هيأت الفرصة لطلاب الدراسات العليا ووفرت لهم الامكانات العلمية ليتموا دراساتهم بها ، وعلى رأسها معالي مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح .

كما أشكر لكلية اللغة العربية إدارة وأساتذة جهدها في متابعة طلاب الدراسات العليا خلال مدة الدراسة والبحث ، وأخص بالشكر سعادة عميد الكلية الدكتور محمد بن مريسي الحارثي ، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا العربية الدكتور حسن باجوده . ومن العرفان بالجميل أن أزجي الشكر وافرا لمعهد اللغة العربية الذى شرفني بالانتساب اليه ، وعلى رأس من يشكر هناك الثلاثة الذين أداروا المعهد منذ انشوء إلى الآن وهم : سعادة الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع العميد الأسبق ، وسعادة الدكتور عبد الله العَبَّادِى ، العميد السابق ، وسعادة العميد الحالي

الدكتور محمد بن احمد العمرى .

ولا أنسى بالشكر سعادة وكيل المعهد الدكتور حامد الشـنبرى .

كما أشكر عضوى لجنة المناقشة : الأستاذ الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، والأستاذ الدكتور عبد الفتاح البَرَكاوى على تفضلهما وقبولهما مناقشة هذه الرسالة ، وأرجو من الله أن أنتفع من توجيهاتهما وآرائهما .

والشكر قبل الختام لجميع الأساتذة والزملاء الذين نصحوا أو وجهوا أو أفدت منهم عونا أو رأيا .

**

المقدمة

(المقدمـــــه)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فقد لفت انتباهي إذ كنت أبحث عن موضوع أتقدم به لنيل درجة الماجستير أن القدماء والمحدثين كانوا يلجؤون في تفسير بعض التغييرات الصوتية إلى القول بالخفة والثقل أو اليسر والسهولة ، على اختلاف بينهم فيما يصدرون عنه تبعا لاختلاف مناهجهم .

فقد كان النحاة العرب القدماء يتخذون من طلب الخفة علة يفسرون أو يعللون بها كثيرا من مسائل اللغة في مختلف مستويات الدرس اللغوى .

والمحدثون يذهبون نفس المذهب ، غير أنهم يسمون التخفيف أو السهولة قانونا أو اتجاها ويخصونه بتفسير التغيرات في المستوى الصوتي للغة .

وكان المحدثون تاريخيين ووصفيين مختلفين في الأخذ بهذا التفسير .

ذلك أنه يمثل غاية من الغايات اللغوية ، كما أنه تفسير من خارج اللغة لعدد من التغيرات الصوتية الداخلية للنظام اللغوى في مستوى الاستعمال .

ولما كان الأمر بهذه الصورة ، اخترت هذا الموضوع واستحسنت البحث فيه وجعلت عنوانه " طلب الخفة في الاستعمال العربي " واستصحبت

معي قبل الشروع فيه أمورا كان البحث يهدف لإ جلائها والكشف عنها .

أولهـا : التعرف على جهود القدماء وإدراكهم لهذه الظاهرة وتفسيرهم للتغيرات الصوتية اعتمادا على علة التخفيف أو الاستثقال ومحاولة عرض ذلك على ضوء من علم اللغة الحديث .

وثانيها : محاولة معرفة مقدار الثقل والخفة في العربية ومن ثم عرضها على المبادئ اللغوية العامة كثقل الأمثال وثقل المتنافرات .

وثالثها : محاولة الإجابة على سؤال يتمثل في : هل الخفة في اللغة أمر مطلق أو نسبي ؟

رابعها : هل طلب الخفة من الثقل أمر صوتي أو أمر تخضع له جميع مستويات الدرس اللغوى ؟

الدراسات السابقة :

في الحقيقة أنه وحتى تسجيل هذا الموضوع لم أجد دراسة تحمل هذا العنوان،ولا حتى دراسة صرفت جهدها للبحث في هذه الظاهرة ولَمِّ شتاتها من دراسات القدماء والمحدثين إلا مقالا للدكتور عبد الفتاح شلبي عنوانه " المشاكلة والتماس الخفة أصل من أصول العربية "(1)

غير أنني وخلال عملي في هذا البحث عثرت على دراستين تتعلقان بالموضوع وتحملان العنوان أو جزءا منه وهما حسب تاريخ نشرهما :

أ) الحمل على الجوار في القرآن الكريم ، للدكتور عبد الفتاح الحموز ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

وفيه مما يمت بصلة لهذا البحث قضايا استغرق أهمها فصلين من الكتاب هما :

الفصل الثالث : وتحدث فيه المؤلف عن الحمل على الإتباع في

(1) اطلعني عليه المؤلف يوم تسجيلي الموضوع ،فجزاه الله خيرا ،وهو منشور بمجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى العدد الثاني ١٣٩٦ - ١٣٩٧هـ.

القرآن الكريم ، وكانت دراسته للإتباع في هذا الفصل تتناول أنواعا من الإتباع سماها المؤلف [1] :

١) إتباع يدور في فلك حركة الإعراب .

٢) إتباع يدور في فلك حركة ليست إعرابية .

٣) إتباع فيما هو مفصول .

٤) إتباع فيما هو مهموز .

٥) إتباع يدور في فلك الكلمتين .

والفصل الرابع : في الحمل على الخفة في القرآن الكريم ، وذكر أن من أهم مسائل الخفة ما يدور في فلك الحذف ، ومن أهم مسائله [2] :

١) حذف الحروف تخفيفا وتناول حذف أحد الحرفين المثلين ، وحذف حرف المضارعة ، وحذف الألف والياء والواو ، والنون ، والتنوين ، وحذف الهاء ، وحذف الهمزة ، وحذف الجار والمجرور .

٢) حذف الحركات تخفيفا [3] ، ودرس فيه تخفيف الضمة وتخفيف الفتحة وتخفيف الكسرة ، وحذف الحركة أو الحرف لتوالي الأمثال .

٣) تخفيف الهمزة بقلبها ألفا أو ياء ، أو واوا .

ومن أهم المسائل التي تناولها [4] : اجتماع الهمزتين ، وكون الهمزة فاء للكلمة ، وكون الهمزة المتوسطة لاما أو عينا ، وكونها متطرفة .

٤) حركة التقاء الساكين وجعل أهم المسائل التي تناولها [5] : ألا لتجاء

---

(١) الحمل على الجوار ١٢٧ .
(٢) المصدر نفسه ١٦٩ .
(٣) المصدر نفسه ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٤) المصدر نفسه ٢٣٠ .
(٥) المصدر نفسه ٢٧١ ، ٢٧٢ .

إلى كسر أول الساكنين ، والالتجاء إلى فتح أول الساكنين ، والالتجاء إلى ضم أول الساكنين ، والالتجاء إلى حذف أول الساكنين ، والالتجاء إلى همز أول الساكنين .

ويمتاز بحثه لكونه في القرآن الكريم بتتبعه القراءات القرآنية الصحيحة ، والشاذة ، لكنه يخلو من العرض على المبادئ العامة التي نفيدها من علم اللغة الحديث .

ب) من وسائل التخفيف في اللسان العربي للدكتور : حمزه عبد الله النشرتي ، صدر عام ١٤٠٧ هـ في القاهرة .

وقد كان في مقدمة وأربعة فصول . الفصل الأول : التخفيف في بناء الكلمة وتناول فيه ظاهرة الإسكان ، والوقف ، والإدغام ، والإتباع ، والإبدال ، وتخفيف الهمزة ، والحذف الصوتي ، والنحت ، والزيادة .

والفصل الثاني في التخفيف في بناء الجملة ، والفصل الثالث في تخفيف الجمل ، والفصل الرابع في التخفيف في الأسلوب .

والثلاثة الفصول الأخيرة استغرقت من الكتاب سبعا وثلاثين صفحة . والفصل الأول جاء على الباقي عدا فهارس الآيات والأبيات .

والغريب أن الكتابين كليهما لم يذيلا بخاتمة ترصد النتائج التي توصل إليها كل مؤلف .

وهناك دراسة ثالثة عنوانها " التخفيف في القواعد الفرعية في اللغة العربية " لصبحي عبد الحميد، إلا أنني لم أحصل عليها رغم اجتهادي في السؤال عنها وعن صاحبها .

أما بحثي هذا ومن خلال ما استصحبته من أمور سبقت الإشارة إليها

وبعد إلمامي بقضاياه وطبيعته كان استواؤه في تمهيد وثلاثة فصول مسبوقة بهذه المقدمة ومتلوة بخاتمة .

فأما التمهيد فعرضت فيه لطلب الخفة في دراسات القدماء والمحدثين واكتفيت فيه بالإشارة إلى سيبويه ، وابن جني من القدماء لشمول مؤلفاتهم كثيرا من الظواهر التي ضمتها هذه الرسالة .

وأما المحدثون فقد كانت طبيعة آرائهم ومناهجهم تقضي بأن يقسموا إلى فريقين أحدهما يؤيد الأخذ بطلب الخفة تفسيرا لبعض التغييرات الصوتية ، والآخر يعارضه .

أما الفصل الأول : فهو عن ثقل توالي الأمثال وقد سبقه تمهيد موجز ، ومن ثم تحديد مواطن ثقل توالي الأمثال وتحليلها ، وأسباب الثقل ، وطرق التخلص منه ، فكان أن اشتمل على أربعة مباحث هي طرق التخلص من ثقل توالي الأمثال :

المبحث الأول : الإدغام : وتناولت فيه التعريف ، ومواطن التقاء المثلين وطريقة التخلص من ثقلهما بالإدغام ، وحالات امتناع الإدغام ، ومن ثم تتبع ما يدغم ، وما لا يدغم من الأصوات العربية مرتبة ترتيبا هجائيا ، وعرضت عند إدغام النون لإخفائها ، وقلبها ميما فيما يعرف بالإخفاء ، والإقلاب .

المبحث الثاني : وتناولت فيه حذف أحد المثلين على أنه طريق من طرق التخلص من ثقل توالي المثلين ، وبينت أسباب اللجوء اليه ، وذكرت المواطن التي يحذف فيها أحد المثلين .

المبحث الثالث : وعرضت فيه للمخالفة طريقا من طرق التخلص من ثقل الأمثال .

المبحث الرابع : عن الفصل بين الأمثال وهو طريق غير شائع من طرق التخلص من ثقل توالي الأمثال .

وهذا التقسيم هو عين ما ذهب إليه أبو علي الفارسي في المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات (١)، لولا أنه لم يذكر الفصل بين الأمثال .

أما الفصل الثاني : فكان يخص ثقل توالي المتنافرات ومهدت له بتمهيد يدفع التوهم الظاهر في تعارض الثقلين ، ثم ذكرت مواطن التنافر ، وطرق التخلص منها ، فكان ما اشتمل عليه مبحثين :

المبحث الأول : في التناسب الحركي وعالجت فيه مواطن التنافر بين الحركات ومهدت له بتمهيد في ثقل الحركات وخفتها ، وتحدثت فيه عن مسائل إعلال الواو والياء والألف ، وجاء مشتملا على أصوات المد ومناسبة الحركة السابقة عليها ، وحركة المناسبة ، والإتباع الحركي ، والإمالة .

أما المبحث الثاني : فتناولت فيه التناسب بين الأصوات الصامتة ، والأصوات الصامتة والصائتة ، وتحدثت فيه عن التخلص من تضاد الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والتفخيم والترقيق ، وكان آخره حديثا عن تفخيم وترقيق الراء ، واللام تبعا للحركة السابقة عليها .

أما الفصل الثالث : فهو في ظواهر صوتية متفرقة ، واشتمل على أربعة مباحث .

---

(١) ص ٢٢٨ .

المبحث الأول : وهو قسمان : القسم الأول في ثقل الابتداء بالساكن وطرق التخلص منه ، والقسم الثاني : عن ثقل التقاء الساكنين وطرق التخلص منها .

والمبحث الثاني : في الإسكان وحذف الحركة .

والمبحث الثالث : في ثقل الهمزة المفردة .

والمبحث الرابع : في حسن تأليف الكلمة . وفسرت فيه المهمل من التواليات الصوتية التي رصدها إحصاء معجم الصحاح ، الذى قام به الدكتور : علي حلمي موسى (١) ، واجتهدت في تفسيرها على ضوء الفصلين الأولين - وكان معظم ما فسرت به المهمل هو اجتهاد بناء على الإحصاء في التواليات الثنائية المتتابعة المهملة في الجذور الثلاثية التي وردت في معجم الصحاح ، ذاكرا أقوال علماء العربية القدماء للاسترشاد والاستعانة .

وقد كان منهجي في هذا البحث يرتكز على النقاط التالية :

أولا : تتبع الظاهرة المستثقلة أو المخففة ، ومن ثم تصنيفها ، والاكتفاء بالكبير من القضايا عن الأشتات والأمثال المتفرقة

ثانيا : تحديد موطن الثقل وتحليله ، ومن ثم عرض طرق تخفيفه وتحليلها أيضا .

ثالثا : محاولة التمعن في مواطن التغير ، فقد ننسب إلى التغير تخفيفا والغرض منه ليس ذلك ، وإنما حصول الفرق بين القيم الصوتية مما يحقق قيمة خلافية تمنع اللبس المتوقع .

رابعا : الاستشهاد على الظاهرة بأمثلتها في كتب النحاة ، والقراءات

---

(١) صدر عن جامعة الكويت - عام ١٩٧٣م .

القرآنية السبعية أولا فان لم يكن فغيرهـا ، حتى وإن كانت شاذة ، إذ تظل القراءة المصدر اللغوى الوحيد المنطوق ، والموثوق .

خامسا : البدء بأقوال القدماء ثم المحدثين في الوصف والتحليل أثناء البحث مع مناقشة كثير من الأقوال ، والترجيح بينها .

سادسا : الإفادة من إحصاءات معاجم العربية وبالذات معجم الصحاح في محاولة تأكيد أقوال العلماء ، أو تبرير مذاهب المحدثين ، أو كشف الصواب في التغيير الصوتي

وقد تنوعت مصادر هذا البحث بين كتب النحو واللغة واللهجات وعلم اللغة الوصفي ، والتاريخي/المقارن العربي منها والمترجم ، وكتب معاني القرآن ، والقراءات القرآنية وغيرها .

وبعد . . فقد أخذ هذا البحث مني جهدا وطاقة ، فإن أكن وفقت فيه فلله الحمد والمنه أن وفق وأعان ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني الطالب المبتدىء المجتهد الذى قد يصيب وقد يخطىء .

التمهيد

طلب الخفة في دراسات القدماء والمحدثين

تمهيـــــــــــد

(طلب الخِفّة في دراسات القدماء والمحدثين)

الخِفّـة في اللغـة :

جاء في اللسان (١) : " الخِفّة والخَفّة : ضد الثقل والرجـــوح ، ويكون في الجسم والعقل والعمل .

خَفَّ يَخِفّ خَفًّا وخِفّة : صار خفيفا ، فهو خفيف وخُفَاف .

وقيل الخفيف في الجسم ، والخُفاف في التَوَقّد والذكاء .

قوله تعالى : " انفروا خِفَافا وثقالا " (سورة التوبة ٤١) ، قال الزجاج : أي موسرين ومعسرين ، وقيل خفت عليكم الحركة أو ثقلت ، وقيل رُكْبَاناً ومُشَاةً ، وقيل شُباناً وشيوخاً .

والخُفّ : كل شيء خف محمله .

والخُفّ (بالكسر) : الخفيف ، قال امرؤ القيس :

يزل الغلام الخِفّ عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المُثَقّل

ويقال : خرج فلان في خِفٍّ من أصحابه : أي في جماعة قليلة .

وخَفّ المتاع : خفيفه .

وخَفّ المطر : نقص ، قال الجعدي :

فتَمَطّى زمخري وارم من ربيع كلما خَفّ هطل

---

(١) اللسان مادة خفف .

واسْتَخَفَّ فلان بِحَقِّي : إذا استهان به .

واسْتَخَفَّه الفرحُ : إذا ارتاح لأمر ، (قال) ابن سيده : "استخفه الجزع والطرب : خَفَّ لهما فاستطار ولم يثبت " .

و (في) التهذيب : استخفه الطرب ، وأَخَفَّه : إذا حمله على الخِفَّة ، وأزال حِلْمَه ،... قال ابن سيده : لا يستخفنك لا يستفزنك ولا يستجهلنك

ومنه قال تعالى : " فاسْتَخَفَّ قَوْمَه فأطاعوه " (الزخرف ٥٤) أي حملهم على الخِفَّة والجهل واستخفه : رآه خفيفا ، ومنه قول بعض النحويين : " استخف الهمزة الأولى خففها أي أنها لم تثقل عليه فخففها لذلك " . (١)

والنونُ الخفيفةُ خلاف الثقيلة .

وأخفَّ الرجل : إذا كانت دوابه خفافا .

والمخف : القليل المال .

(قال) الليث : الخِفَّة : خِفَّة الوزن ، وخِفَّة الحال .

والتخفيف ضد التثقيل ، واستخفه : خلاف استثقله .

والخفيف : ضَرْبٌ من العَرُوض سُمي بذلك لِخفَّتِه .

وخَفَّ القوم عن منزلهم خُفوفا : ارتحلوا مسرعين ، والخُفوفُ : سرعة السير من المنزل " .

فمادة " خفف " تدور معانيها حول معنيين :

أحدهما : القِلَّة في الشيء وزنا وجسما وعقلا ومالا .

---

(١) هكذا في اللسان ، والصواب أن يقال : استخف الهمزة الأولى فحققها (بالقاف) أي أنها لم تثقل عليه فحققها (بالقاف) لذلك ، إذ لا معنى لاستخفافها وتخفيفها ، وكثيرا ما يقع مثل هذا الخطأ في النقط في المطبوع انظر على سبيل المثال : المقتضب ١/ ١٥٨ ، والتبصرة والتذكرة للصيمري ٢/ ٧٣٢ .

والآخر : السرعة في السير .

طلب الخفة في دراسات القدماء :

ولوضوح معناها لغويا ، لم يحدد النحاة مفهومها الاصطلاحي ، غير أنها فيما يبدو لا تخرج عن معناها الذى يعرف بضدها وهو الثقل ، ولذلك تجد أنها في إطلاقها الاصطلاحي تقترن بالثقل دائما ، وذلك من وجهين :

الأول : حين يراد بها الفرق بين كميتين إحداهما أثقل من الأخرى في الطول غالبا وعلى ذلك :

١) فالساكن أخف من المتحرك (الثقيل) ، كما في إسكان عين الكلمة من عضد وفخذ .

٢) وغير المشدد أخف من المشدد كالفرق بين نوني التوكيد وإنّ المُخَفَّفَة والثقيلة .

٣) والعروضيون يطلقون نفس المفهوم (السكون والحركة) للتفريق بين نوعين من الأسباب ، السَّبَب الخفيف (متحرك فساكن) ، والسَّبَبُ الثقيل (متحركان) .

وهي في كل ذلك وما أشبهه خِفَّة ، أو ثِقَل وظيفي ، إذ يفرق ثقلُ هذه وخِفَّةُ تلك بينهما في المعنى ، أو الإيقاع الشعرى عند العروضيين .

الآخر : حين تكون علة من العلل النحوية ترادفهما في المفهوم لا اللفظ علة الاستثقال ، ذلك أن الخِفَّة عند النحاة علة من العلل النحوية تستعمل للتعليل متعاقبة مع علة أخرى هي علة الثقل ، أو الاستثقال .

وهما في الحقيقة عين علة واحدة[١] (هي التخفيف) ، أو بتعبير الدكتور تمام حسان وجهان لعملة واحدة[٢] ، وهي تظهر بشكل بارز في كتاب سيبويه ، ولا يكاد يمر موضوع دون أن يعلله بالخفة أو الثقل[٣] . وسيبويه يفسر (يعلل) بهما عددا من الظواهر اللغوية ، في مختلف مستويات الدرس اللغوي . ففي المستوى الصوتي كان سيبويه يعلل كثيرا من التغييرات الصوتية في الكلمة بالثقل أو الخفة . ويجعل غاية الإدغام ، والمُضَارعةِ ، والمُخَالفةِ ، والفصلِ بين الأمثال ، والحذفِ الصوتي الشاذ ، وتسهيل الهمزة ... الخ ، طَلَبَ الخِفَّة ، أو التماسَها .

وفي المستوى النحوي كان يعلل بها سيبويه بعض مواطن الحذف ، وإن كان يردفها بعلتين أخريين هما الاختصار والاتساع[٤] .

---

(١) دراسات في كتاب سيبويه (خديجه الحديثي) ٢٠٢ .

(٢) الأصول (تمام حسان) ٢٠٥ ط المغرب .

(٣) دراسات في كتاب سيبويه (خديجه الحديثي) ٢٠٠ .

(٤) يعبر سيبويه عن الحذف بمصطلحات أخرى منها : الإضمار ، والترك والاتساع ، والاقتصار والاختصار ... ،
والثلاثة الأولى (الحذف والترك والإضمار) يبدو أنها تتعاقب مع قرب في الدلالة ، وإن كان يكثر استعماله مصطلح الإضمار في العوامل اللفظية ، كالأفعال في أسلوب الإغراء والتحذير (١/٢٥٣ ٢٥٦) وانظر اضمار الفعل (١/٢٩٦ ، ٢٩٧) . أما الاتساع : فيعني به سيبويه مجاز الحذف (١/٢١١ ، ٢١٢) ، ويردفه بالإيجاز والاختصار ، قال ابن السراج : " اعلم أن الاتساع ضرب من الحذف إلا أن الفرق بين هذا الباب ، والباب الذي قبله - يعني ذكر ما يعرض من الإضمار والإظهار - أن هذا تقيمه مقام المحذوف وتعربه باعرابه ، وذلك تحذف العامل فيه وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب ، وهذا الباب العامل فيه بحاله وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف ... فنحو (سل القريه (يوسف ٨٢) ، الأصول لابن السراج ٢/٢٥٥ .
أما الاقتصار فيخص به سيبويه حذف مفعول الفعل المتعدى ليقصر الفعل على الفاعل فيصبح كاللازم ، ويقع في المتعدى لفعلين ... ، (=)

فيقول مثلا : " هذا باب ما يكون فيه المصدر لسعة الكلام والاختصار وذلك قولك : متى سيرَ عليه ؟ فيقول : مقدمَ الحاجِ ، وخُفُوقَ النجم .. فإنما هو : زمنَ مقدمِ الحاجِ ، وحينَ خفوقِ النجمِ ، ولكنه على سعة الكلام والاختصار".(١)

ثم قال في الباب نفسه : " وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافا ولأن المخاطب يعلم ما يعني ، فجرى بمنزلة المثل ،كما تقول : لا عليك ، وقد عرف المخاطب ما تعني ، أنه لا بأس عليك ، ولا ضرّ عليك ،ولكنه حذف لكثرة هذا من كلامهم ولا يكون هذا في غير عليل ".(٢)

ومثله قوله : " هذا باب يحذف المستثنى فيه استخفافا ، وذلك قولك : " ليس غيرُ " ، و " ليس إلّا " كأنه قال : ليس إلّا ذاك ، وليس غيرُ ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا ، واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني ".(٣)

كما أنه يقسم الكلام إلى ثقيل وخفيف يقول في ذلك : " واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض ، فالأفعال أثقل من الأسماء ، لأن الأسماء هي الأولى ، وهي الأشد تمكنا ، فمن ثم لم يلحقها ــ أي الأفعال ــ تنوين ولحقها الجزم والسكون ،وإنما هي من الأسماء ".(٤)

(=) سيبويه ١/ ٣٧ ، ٤٠ ،وقد ذكر مثل هذا ابن هشام فيما نقله عنه السيوطي في الأشباه ١/ ١٧٥ ،وما نقله السيوطي عينُ ما ذهب إليه عبد القاهر في دلائل الإعجاز ١١٨ ، ١٢٠ ،من سرد لأغراض حذف المفعول كالاقتصار ، والاختصار ، والذى يبدو أن كل هذه المصطلحات تاهت حقيقتها عند المتأخرين من النحاة ، فلم يعد يدرك الفرق بينها وبخاصة الحذف والإضمار ،وانظر مقالات في اللغة والأدب ٢٩٧ حيث جعل الإضمار خاصا بكل موضع يحتمل المعنى فيه (المحذوف) الذى لا يظهر أبدا .

(١) سيبويه (هارون) ١/ ٢٢٢ .

(٢) سيبويه ١/ ٢٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٠ .

والنكرة أَخَفُّ من المعرفة ، وهي أَشَدُّ تمكنا لأنها أولُ .[١]

والواحدُ أشدُّ تمكنا من الجميع ،لأن الواحد الأولُ .[٢]

والمذكر أَخَفُّ من المؤنث ، لأنه أولُ .[٣]

وكل هذه الخفة المنسوبة إلى الأسماء ، والنكرات ،والمفرد والمذكر يُبْنَى عليها حكمٌ في تنوينها ، لأن التنوين لا يلحق إلا الأَخَفَّ والأمكــــن[٤] ، ويمتنع في الأفعال والمعارف والجمع والمؤنث لثقلها وعدم تمكنها .

ولتوضيح هذا الثقل أو الخفة في الاسم والفعل نسوق تفريق أبــــي البقاء العكبرى بينهما ، فقد قال : "إن في الكلمات ما هو خفيف وما هو ثقيل والخفة والثقل تعرفان من طريق المعنى لا من طريق اللفظ ، فالخفيف ما قلت مدلولاته ولوازمه ، والثقيل ما كثر ذلك فيه .

فخفة الاسم أنه يدل على مسمى واحد ، ولا يلزمه غيره في تحقــــق معناه ، كلفظة رجل ،فإن معناها ، ومسماها الذكر من بني آدم ،والفرس هو الحيوان الصهال ، ولا يقترن بذلك زمان ولا غيره ، ومعنى ثقل الفعــــل أن مدلولاته ولوازمه كثيرة ،فمدلولاته الحدث والزمان ،ولوازمه الفاعل والمفعــــول والتصرف غير ذلك " .[٥]

كما ذكر السيوطي : أن الاسم أخف من الصفة،وذلك : "أن الصفة ثقلت بالإشتقاق ، وبالحاجة إلى الموصوف ، وتَحَمُّل الضمير " .[٦]

---

(١) سيبويه ١/٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ١/٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ١/٢٢ .

(٤) الأمكن قد يكون لا للخِفَّة وإنما لأسبقيته في الوجود .

(٥) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ١٧٣ ، ١٧٤ ، والأشباه والنظائر ١/١٤٥ .

(٦) الأشباه والنظائر ١/٥٦ .

وهذا الذي ذهب إليه أبو البقاء والسيوطي في علة خفة الاسم وثقل الفعل ، هو خلاصة خلاف البصريين والكوفيين في علة خفة الاسم ، وثقل الفعل .(١)

وكما كانت الخفة علة عند سيبويه ، كانت كذلك عند ابن جني ، حيث كان يفسر بها جزءا كبيرا من المشكل اللغوى بصفة عامة .

وقد كان ابن جني يذهب في التفريق بين علل النحاة وعلل الفقهاء إلى أن الأولى يحال فيها على الحس ، ويحتجون فيها بثقل الحال أو خفتها على النفس .(٢)

غير أن ابن جني كان أكثر استصحابا لهذه العلة في تفسير كثير من المسائل اللغوية ، ونحاول فيما يلي اجمال ما كان يعلل عند ابن جني بهذه العلـــة :

١) رفع الفاعل ، ونصب المفعول .(٣)

٢) إهمال عدد من الأبنية مما تحتمله القِسْمَةُ في الرباعي والخماسي .(٤)

٣) إهمال ما أهمل ، مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة(٥) ظاهرة (التأليف الصوتي) .

٤) شيوع الثلاثي .(٦)

٥) الإسكان في عين الكلمة كرُسْلٍ وطُنْبٍ .(٧)

٦) أدوات الشرط ، والاستفهام .(٨)

---

(١) الإيضاح في علل النحو ١٠٠، ١٠١ ، والبصريون على مذهب سيبويه الذى سبقت الإشارة اليه .
(٢) الخصائص ١/ ٤٨ ، والأصول (عام حسان) ١٩٠ .
(٣) الخصائص ١/ ٤٩ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٥٢ .
(٥) المصدر نفسه ١/ ٥٤ .
(٦) المصدر نفسه ١/ ٥٥ .
(٧) المصدر نفسه ١/ ٧٥ .
(٨) المصدر نفسه ١/ ٨٢ .

٧) استعمال النكرة في النفي ، وإفادتها العموم .(١)

٨) إعلال الواو والياء .(٢)

٩) الابتداء بالساكن ، والتقاء الساكنين .(٣)

١٠) الفصل بين المثلين ، وإدغامهما .(٤)

وقد كان النحاة ــ الأصوليون منهم على وجه الخصوص ــ يقسمون العلل النحوية إلى ثلاثة أنواع .

١) العلل الأول .

٢) العلل الثواني .

٣) العلل الثوالث .

والثواني والثوالث من العلل هي التي كان ابن السراج يسميها " علة العلة " ، قال : " واعتلالات النحويين على ضربين : ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب ، كقولنا : كل فاعل مرفوع ، وضرب آخر يسمى علة العلة ، مثل أن يقولوا : لم صار الفاعل مرفوعا ، والمفعول به منصوبا ، ولِمَ إذا تحركت الياء والواو وكان ما قبلهما مفتوحا قلبتا ألفا ، وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب ، وإنما تستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها ، وتبين بها فضل هذه اللغة على غيرها من اللغات ، وقد رمز الله تعالى من الحكمة بحفظها وجعل فضلها غير مدفوع " .(٥)

---

(١) الخصائص ١/٨٢ .
(٢) المصدر نفسه ١/٤٦ ، ٨٨ وما بعدها .
(٣) المصدر نفسه ١/٩٠ ، ٩١ .
(٤) المصدر نفسه ١/٩٢ ، ٩٣ .
(٥) الأصول (ابن السراج) ١/٣٥ .

ويبدو أن علة طلب الخفة تقتضمن هذه التي لا تكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب ، وإنما تستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها .

وهي علة غائية [(١)] تجيب على (لماذا) في كل موطن علل بالتخفيف كالابتداء بالساكن ، والتقاء الساكنين وكراهة توالي الأمثال ، وطرق علاج هذه الكراهة ، وكراهة التنافر ، وطرق علاجها ... وفي ذلك كله تكون علة طلب الخِفَّة أو (التماسها ـ الاستخفاف ـ التخفيف ـ الثقل ـ الاستثقال) ، علة من العلل الثواني ، تعرف بها حكمة العرب .

كما أنها من العلل التي أصابها نقد ابن مضاء ، لكونها علة ثانية ، غير أن نقده لها كان أخف وطأة من نقده العلل الأخرى ، فقد قال بعد أن شرح علة قلب واو " ميزان وميعاد " ياء : " إن قيل : لم أبدل منها ياء ولم تترك على حالها ؟ قيل : لأن ذلك أخف على اللسان ، فهذه واضحة أيضا ، لكنها يستغنى عنها " [(٢)] .

وكما وصفها ابن مضاء أنها علة واضحة ، كذلك قال عنها الشيخ محمد الخضر حسين ، فقد قسم العلل إلى ثلاثة أنواع ، [(٣)] جعل العلة الأولى هي التي : " يقرب مأخذها ويتلقاها النظر بالقبول ، مثل تعليلهم تحريك بعض الحروف الساكنة بالتخلص من التقاء الساكنين ، وتوجيههم حذف أحد الحرفين المتماثلين بطلب الخِفَّة " [(٤)] .

ونأخذ من كلام الشيخ محمد الخضر حسين عبارة " توجيههم " ،

---

(١) الأصول (تمام حسان) ١٩٨ .

(٢) الرد على النحاة تحقيق (البنا) ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣) دراسات في كتاب سيبويه (خديجه الحديثي) ١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ١٧٨ .

ونحاول أن نتساءل إذا ما كانت علة التخفيف (طلب الخفة) تصلح قاعدة توجيهية كالاستثقال الذى كان مرة قاعدة توجيهية (١) ، وأخرى علة من علل العلل النحوية الأربع والعشرين (٢) .

يبدو أنها تصلح كما صلحت علة الاستثقال ، إذ هما كما سبقت الإشارة وجهان لعملة واحدة ، كما أنهما – الاستخفاف والاستثقال – علتان من العلل الغائية التركيبية (٣) ، وقاعدتان من القواعد التوجيهية التركيبية (٤) أيضـــا .

طلب الخفة في دراسات المحدثين :

يسمي المحدثون من علماء اللغة " طلب الخفة " قانون السهولة والتيسير ، أو الميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي وهم يعتبرون ذلك ترجمة لما يعرف عند الغربيين بواحد من المصطلحات :

١)	الميل إلى الاقتصاد (٥)	=	Economy tendency.
٢)	المجهود الأدنى (٦)	=	Slightest effort
٣)	قانون الجهد الأقل (٧)	=	Law of Least effort

وسأستخدم بدلا من هذه المصطلحات وترجمتها ، ترجمة مصطلحين أشار علي بهما أستاذى الدكتور تمام حسان :

---

(١) الأصول (تمام حسان) ٢٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ٢٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ١٩٩ .
(٤) المصدر نفسه ٢٢٣ .
(٥) معجم علم اللغة النظرى ٨٢ .
(٦) دروس في الألسنية العامة ٣٤٨ (قائمة المصطلحات) .
(٧) دراسة الصوت اللغوى ٣١٩ .



أولهما : الاقتصاد اللغوى ، وهو ترجمة (Linguistic economy).
والآخر : الاقتصاد في الجهد ، وهو ترجمة (Econom y of effort).

والمحدثون منقسمون في النظر الى هذا القانون أو النظرية كما يسميها الدكتور إبراهيم أنيس إلى فريقين :

أما الفريق الأول : فيؤيد هذا القانون ، وأشهر مؤيديه من غير العرب (سوسير) الذى قال في تفسير التغييرات الصوتية إن من أسبابها قانون المجهود الأدنى ، وعبارته : " ومنها – أى الأسباب – أن بعضهم – أى المفسرين – أتى بقانون المجهود الأدنى لتفسير ما يجد من تغيرات صوتية ، فقد يكون في رأيهم هو العامل الذى يدعو إلى تعويض تقطيعين اثنين بتقطيع واحد ، أو إلى تعويض تقطيع صعب بآخر أيسر منه ، ومهما قيل بشأن هذا الرأى فهو جدير بالفحص والعناية : فلعله يبين إلى حدّ ما سبب ظاهرة التغيير هذه ، أو قد يدلنا على الوجهة التي ينبغي أن نسلكها بحثا عن ذلك السبب ". (١) ثم ذكر عددا من الحالات التي يصلح قانون المجهود الأدنى لتفسيرها ، ومنها الانتقال من الصوت الشديد إلى الرخو ، وسقوط المقاطع النهائية في عدد كبير من اللغات ، وظواهر الإدغام ، وقلب الحركات المزدوجة إلى حركات بسيطة . (٢)

غير أنه استدرك وذكر عددا من الحالات التي يحدث فيها العكس ، أي الانتقال من الأيسر إلى الأصعب (٣) ، وصنيعه هذا شبيه بما ذهب إليه ابن جني ، وعقد له بابا أسماه " باب العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه

---

(١) دروس في الألسنية العامة ٢٢٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

لضرب من الاستخفاف " .[١]

ويبدو أن القول بالسهولة والتيسير في الفكر غير العربي ينتمي إلى الثقافة الإغريقية ، فقد ذكر الدكتور عبد الرحمن أيوب أن القياسيين[٢] الإغريق كانوا يؤمنون بأن اللغة تسير نحو السهولة .[٣]

وينقل الدكتور أيوب عن هويتني (Whiteney) قوله : " أن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير الجهد الذي يبذل في النطق .[٤]

وممن يأخذ بأثر هذا القانون " الاقتصاد في الجهد " من العرب الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور رمضان عبد التواب .

فقد ذهب الأول إلى صلاحية نظرية السهولة لتفسير عدد من التطورات الصوتية ، وفسر عليها تطور الأصوات الرخوة إلى أصوات شديدة فقال : " وقد يؤيد هذه النظرية ، ذلك التطور الذي حدث في بعض الأصوات في اللغة العربية ، كالذال والثاء والظاء ، إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتا شديدة ، هي الدال والتاء والضاد ، لأنه قد يكون أسهل على المرء وهو يجري بأقصى سرعته ، أن يصطدم بحائط أمامه ، من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة " .[٥]

وقد دافع الدكتور إبراهيم أنيس عن هذه النظرية ضد من يقول إنها

---

(١) الخصائص ٣ / ١٨ .
(٢) القياسيون أصحاب مذهب إغريقي عرف بمذهب القياسيين ، وهو أحد مذهبين إغريقيين الآخر منهما مذهب الشذوذيين ، اللغة والتطور ١١ .
(٣) المصدر نفسه ٣٢ .
(٤) المصدر نفسه ٣٢ .
(٥) الأصوات اللغوية (أنيس) ٢٣٦ .

تنسب إلى الانسان الكسل (١)، وقال : " بأن هناك فرقا بين ما تنادي به النظرية من أن الانسان يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ، وبين الكسل ، لأن الكسل في العمل لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة التي يهدف إليها المرء ، في حين أن الاقتصاد في المجهود العضلي قد يؤدي إلى الغرض المنشود عن طريق أقصر " (٢) .

وكان الدكتور رمضان عبد التواب يدافع بحرارة عن هذا القانون وليس بمستغرب عليه ذلك فهو من دارسي التطور التاريخي ، وبقاء هذا القانون يفسر له كثيرا من التغييرات التاريخية في اللغة العربية ، أو في اللغات السامية عموما .

غير أن من أجمل ما ذهب إليه انتهاءه إلى " أن هذا القانون كغيره من قوانين التطور اللغوى ، صالح للعمل في أية لغة من اللغات ، وليس معنى هذا أن كل لغة لا بد أن تتعرض لجميع آثاره ، فالحتمية بمعنى أنه لا بد من وقوع كل لغة تحت سيطرة هذا القانون ، والشمول بمعنى عدم إفلات أية لغة من تأثيره والسير على مقتضاه أمران لم يقل بهما واحد من أنصار التطور اللغوى في العصر الحديث " (٣) .

وفسر عليه الدكتور رمضان كثيرا من الظواهر الصوتية في اللغة العربية منها ظاهرة الهمز (٤)، واندثار الأصوات الأسنانية في بعض اللهجات العربية الحديثة (٥) والقلب المكاني (٦) . وغير ذلك .

---

(١) هو ماريوباي ، انظر لغات البشر ٨٦ .
(٢) الأصوات اللغوية ٢٣٧ .
(٣) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ٥٤ ، ٥٥ .
(٤) المصدر نفسه ٤٩ .
(٥) المصدر نفسه ٥٢ .
(٦) المصدر نفسه ٥٧ .

أما الفريق الآخر : فهو الفريق الذى يعارض هذا القانون " الاقتصاد في الجهد " ، ويرفض تفسير التغيرات الصوتية على أساسه ، ومن ضمن أعلامه " ماريوباي " ، الذى قال في معرض حديثه عن أسباب التغيرات الصوتية ، والتطور اللغوى بشكل عام (١) : " ولا تتفق نظرية الاقتصاد في الجهد أو ميل المتحدثين في اللغة الى اتباع أسهل الطرق في الحديث مع الحقائق المعروفة ، فلو صحت هذه النظرية لكانت كل اللغات الحديثة أسهل في نطقها من اللغات التي تفرعت عنها (٢) " .

ثم قال : " والواقع أن التطورات اللغوية (تخضع) (٣) لعوامل أخرى أكثر تعقيدا بكثير من مجرد رغبة المتحدثين بها في بذل مجهود أقل حتى يوفروا على أنفسهم بعض المشقة والعناء (٤) " .

بل إنه يذهب إلى أن " كل الشواهد التاريخية والوصفية تدل على أن التغير يحدث بسبب رغبة المتحدث في تأكيد كلامه ، ونطقه بسرعة وطلاقة وإن بذل أقل جهد ليس الغاية التي تعتبر عاملا فعالا في التغير اللغوى (٥) " .

وممن يعترض على تفسير الظواهر الصوتية بناء على الميل إلى السهولة والتيسير من العلماء العرب الدكتور عبد الرحمن أيوب ، والدكتور تمام حسان .

فقد رفض الدكتور أيوب ، أن يفسر التطور اللغوى بناء على النزوع نحو السهولة وتوفير الجهد بدعوى " أننا لا نجد في الكلام كل هذا القدر من المشقة ، حتى يلجأ الانسان إلى توفير ما يبذل من جهد (٦) " وبدعوى

---

(١) لغات البشر ٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ٨٥ .
(٣) زيادة يتم بها المراد .
(٤) لغات البشر ٨٥ ، ٨٦ .
(٥) المصدر نفسه ٨٦ .
(٦) اللغة والتطور ٣٢ .

" أن ليس من اليسير أن نميز الأصوات التي يسهل نطقها من الأصوات التي يعسر على الانسان أن ينطقها، وذلك لأن السهولة والعسر أمر نسبي " . (١)

ويفسر التطور الصوتي في الأصوات الأسنانية اعتماداً على أنه عادة من العادات اللغوية التي تنطق بهذا ولا تنطق بذاك . (٢)

أما الدكتور تمام حسان فقد ناقش ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس من " أن التطور الصوتي في اللغات يميل في غالب الأحيان نحو تيسير النطق بها ، والاقتصاد في الجهد العضلي أثناء صدورها " . (٣) وجعل الدكتور أنيس الظواهر المترتبة على هذا الاقتصاد ثلاثاً (٤) :

١) خلو اللغات في أحدث صورها من المجموعات الصوتية التي تتعثر في نطقها الألسنة .

٢) الميل نحو التقصير من بنية الكلمات .

٣) إن لغات الأمم المتحدينة تتكون أصواتها بوساطة الهواء أثناء عطية

---

(١) اللغة والتطور ٣٢ .
(٢) المصدر نفسه ٣٤ .
(٣) دلالة الألفاظ ٣٢ .
(٤) المصدر نفسه ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

الزفير ، ولا تتكون أثناء عملية الشهيق إلا لغات الأمم البدائية ، فدل ذلك على صعوبة هذه ، وسهولة تلك .

وقد كانت فحوى مناقشة الدكتور تمام حسان حول النقاط السابقة فرد الأولى بقوله : " إن اللغة الانجليزية لغة أمم متمدينة ، بل إنها أصبحت الآن لغة عالمية يشترك في التخاطب بها معظم المثقفين من أبناء العالم ، وفي هذه اللغة الانجليزية مجموعات من الأصوات التي يصعب النطق بها حتى على أبنائها..." (١).

أما الثانية فكان رده عليها يتكئ على المعنى فقال : " إن اللغة حين تجد في الكلمة الطويلة بيانا لمعنى أكثر مما في الكلمة القصيرة ربما تهجر الكلمة القصيرة إلى الطويلة " (٢).

ورد على الثالثة بقوله : " إن شعوب إفريقيا التي تستخدم الأصوات الناشئة عن دخول الهواء إلى الرئتين قد بدأت تأخذ بأسباب المدنية ، وتستكمل حريتها ، وسوف نعلم عندما تصل إلى مرحلة متقدمة في الحضارة ، ما إذا كانت هذه الأصوات تنافي السهولة وتجافي المدنية ، أو أنها ستبقى تساير التقدم ، فإن كانت الأولى فسوف نجد شعوب إفريقيا تهجر لغاتها هذه ، أو تهجر على الأقل ما يصدق عليه هذا الوصف من أصوات هذه اللغات " (٣).

ثم رفض تفسير التقاء الساكنين على الاستثقال بدعوى أن الجهاز

---

(١) ملخصا من اللغة بين المعيارية والوصفية ٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ٤٨ ، ٤٩ .

النطقي عند مختلف الأمم من فطرة الله ، وإذا كان كذلك " فما أجدر اللغة الانجليزية أن تخترع شيئا تتوقى به التقاء السواكن " . (١) والمسألة عند الدكتور تمام حسان في كتابه اللغة بين المعيارية والوصفية " ليست مسألة خِفَّة أو ثقل وإنما تنفرد كل لغة بطريقة خاصة في أنماطها الصوتية ، فيسمح بعض اللغات بالشيء ، ويحرمه البعض الآخر ، وإن البعض الذى سمح به لم يسمح به لخفته ، ولم يحرمه البعض الذى حرمه لثقله ، بل الأمر أمر الاختيار العرفي الاعتباطي فحسب " . (٢)

والخلاف بين الفريقين فيما يبدو من خلال رأيي الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمام حسان خلاف في المنهج ، فالأول تاريخي ، أو هكذا الصبغة العامة لأبحاثه ، والآخر وصفيّ لا يخلط الوصف بمنهج آخر ، ولذلك فهو يقدم بديلا لدراسة التغييرات الصوتية تعتمد على موقع الصوت في الكلمة ، وما يحدث له من تغيير نتيجة وجوده في سياقه الذى تغير فيه ، ويسمى التغيرات الصوتية " الظواهر الموقعية ، أو الظواهر السياقية " . (٣)

إلا أنه يعترف بقدر من الثقل والخفة في بعض الظواهر السياقية فيقول معقبا على إدغام الدال في التاء في مثل " قَعَدْتُ ــ قَعَتُّ " : " إن محاولة جهر الدالِ الساكنِ المتلوة بالتاء تتسبب في ثقل العملية العضوية ، أو في اللبس وكلاهما مشكلة من مشكلات التطبيق ، ولكن ثقل العملية العضوية ليست سببا في حدوث الظواهر السياقية جميعا ، لأن بعضها لو نُفِّذَ في نطقه النظام كما هو لم نُحِس ثقل العملية النطقية في نطقه أبدا " . (٤)

---

(١) ملخصا من اللغة بين المعيارية والوصفية ٤٩ .
(٢) المصدر نفسه ٤٩ .
(٣) انظر مناهج البحث في اللغة ١٧٨ ، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٦٢ .
(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٦٣ .

بل إنه يذكر من أهم خصائص العربية " خاصية الاقتصاد " ومفهومه عنده " التعبير بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي "(١) ، ومن أهم وسائل تحقق " الاقتصاد " في العربية ما يلي (٢) :

١) تعدد المعنى للمبنى الواحد ، مثل تعدد معنى الصيغة ، وتعدد معنى الأدوات (حروف المعاني) وتعدد المعنى المعجمي لكل كلمة مفردة . .

٢) النقل : كالعلم المنقول إلى الاسمية من الفعلية أو الوصفية كيزيد ، وصالح ، وكنقل التركيب الاستفهامي إلى الإنكار ، أو التقرير أو التحضيض . .

٣) الإضمار بمعنييه (الحذف ، واستخدام الضمير) .

٤) قابلية التلخيص والتحويل .

٥) الاقتصاد في بنية العربية (طلب الخِفّة) .

ويلاحظ على مقالة الدكتور تمام الأخيرة أنه يجعل " طلب الخِفّة " جزءاً من الاقتصاد ، لا الاقتصاد كله . وذلك يقودنا إلى تلخيص ما سبق من تناول القدماء والمحدثين لهذه الظاهرة ، فيظهر أمران :

أحدهما : أن القدماء كانوا يعللون بها جميع مستويات الدرس اللغوى .

الآخر : أن المحدثين كانوا يعنون بالميل إلى الاقتصاد في الجهد ، الجهد الأصواتي .

والذى أذهب إليه أن طلب الخفة ظاهرة صوتية صرفة تساوى تماما الاقتصاد في الجهد : (Economy of effort) في علم اللغة الحديث ،

---

(١) مقالات في اللغة والأدب ٢٩٢ .
(٢) ملخصة من مقال (من خصائص العربية ٢٩٢ ، من المصدر نفسه .

وتدخل كما أشار الدكتور تمام ضمن خاصية الاقتصاد اللغوى : Linguistic economy وبينهما فروق : أي الاقتصاد في الجهد العضلي ، والاقتصاد اللغوى :

أولهـا : أن الاقتصاد في الجهد العضلي جزء من خاصية الاقتصاد اللغوى فعلاقته به علاقة الجزء بالكل .

الثانـي : أن الجهد المبذول في الكلام يظلّ جهدا صوتيا ، بمعنى أنـه لا يرقى لمستويات لغوية أخرى كالنحو والدلالة ، وهو بهذه الصفـة يتعلق بالجهاز الصوتي الباذل الحقيقي للجهـد المـدرك ، وبالتالي يقع عليه التخفيف المدرك .

الثالـث : أن التخفيف (الاقتصاد في الجهد) يتعلق بالجانب الأدائـي للغة (الكلام) ، والجانب الأدائي صوتي ، لا يدرك المتكلـم ولا يعي متغيراته الصوتية .

الرابـع : أن الاقتصاد اللغوى (Linguistic economy) خاصية لغوية عامة لا تتصـلح اللغة أن تكون لغة بغيرها ، أو بعبارة أوقع لا يمكن بغيرها الحصول على أداة للتفاهم قابلة للاستعمال العام ، وتسمح باعطاء قدر كبير من المعلومات بمثل هذا الجهد القليـل . (١)

ولتعليل ذلك وبسطه أقول لولا قلة مباني اللغة ـ أي لغة ـ الصوتية والصرفية والنحوية ـ والجذور الإشتقاقية ـ لما كانـت وسيلة الاتصال الأنسب ، إن قلة المباني خاصية لغوية تنبَنـي عليها اللغة ، مهما تختلف أعداد البنَى الصوتية والصرفيـة

---

(١) مبادىء اللسانيات العامة (مارتينيه) ٢١ .

والنحوية . من لغة إلى أخرى ، إذ يستوى في كل لغة أنها قادرة على التعبير بشكل اقتصادي عن جميع حاجات الإنسان الفكرية ،والتواصلية .

أما الاقتصاد في الجهد "Economy of effort" فرغم كونه مبدأ يصدق على كل لغة ، فإنه مرحلة تلي مرحلة تشكيل البني اللغوية الأساسية أصواتا وصيغا وجملا ... ،

وبهذا نخلص إلى أن الاقتصاد اللغوى نماء لأنه يستثمر القليل والمحدود المتاح للتعبير عن المعاني غير المتناهية .

أما طلب الخفة (الاقتصاد في الجهد) فهو تقليل من الجهد المبذول عضليا عند الأداء (الكلام) ، ولعل مما يعضد هذه القضية ، أن اللغة منطوقة ، وهي إذا كانت كذلك تتكئ على القرائن المتضافرة في السياق وعلى قرينة الحال ،وتسمح تبعا لذلك بتساقط العديد من الكلمات والأصوات.

يقول ماريوباى في تفسير بعض التغييرات الصوتية التي يصعب على السامع إدراكها : " هنا يأتي دور السياق لينقذ السامع من الاضطراب ، ويساعد على توصيل الرسالة بصورة صحيحة ليمكن ترجمتها على الرغم من صورتها الصوتية المبهمة " . (١)

وبعد : هل يصلح مبدأ " الاقتصاد في الجهد العضلي " لتفسير التغيرات الصوتية ؟

وللإجابة على ذلك نسوق أولا نصا لهنرى فليش يقول فيه بعد أن تطرق لعدد من الكراهات في اللغة العربية ككراهة توالي الأمثال ، " يبدو أن هذه الكراهات لم تكن ظاهرة سطحية ، أو أثرا لطريقة في النطق أقل أو أكثر انتشارا

---

(١) أسس علم اللغة ٩١ .

وإنما هي رد فعل قوى أكثر عمقا نطلق عليه كراهة لأننا لا نملك تحديده أكثر من ذلك " .(١)

ويبدو أن هذه الكراهات التي لا يستطيع " فليش " تحديدها هي المستثقلات الصوتية التي اقتضت تغييرا نفسره نحن بالتخفيف أو الاقتصاد في الجهد العضلي .

ولكن يظل القول بعدم الإطلاق في الحكم مبدأ لنا ونحن نتصدى لهذا الموضوع لأنه ليس بالضرورة أن يكون التغير الصوتي صالحا لأن يفسر دائما بالخفة أو الثقل ،بل يرجع الأمر الى قضايا أخرى لا ندركها الآن وليس أمامنا إلا أن نصفها بالتغير الاعتباطي حتى نجد الوجه الذي يمكن أن تحمل عليه ، غير أنني أشير قبل أن أختم هذا التمهيد الى أن عددا من التغيرات الصوتية يخضع لأمر مهم وهو " أمن اللبس " فقد يعمد إلى تغيير ما ويكون مطردا (كإسكان لام الفعل عند إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك) "لا يجاد الفرق بين سلسلتين صوتيين متشابهتين"(٢) كل التشابه ، ويعمد إلى إحداث تغيير صوتي هدفه الفرق ليس إلا ، وإن شابه في مواطن أخرى مقوله ككراهة توالي أربع متحركات ، وستجد في ثنايا البحث عددا مما حمل على أمن اللبس ، وبخاصة في البحث الأخير حيث فسرت عددا من المهملات في التأليف الصوتي بناء على هذا الأساس .

كما أن ترك الثقيل على ثقله ،يحد من اطلاق العنان لمبدأ "الاقتصاد في الجهد العضلي "غير أنه يمكن أن يفسر على أنه قد يقود إلى ثقل جديد ، فيترك الثقل الأول على حاله ، كالهمزة الأولى في الكلمة لا تسهل إذا ابتدئ

---

(١) العربية الفصحى (هنرى فليش) ٢٠٤ .
(٢) دروس في الألسنية العامة ٢٤٠ .

بها ، وكالادغام المؤدي إلى التقاء ساكنين ممتنع ، لثقل الساكنين ، وقـــد يحتمل الثقل لأمن اللبس ، وكأنما اللغة تسعى إلى الوضوح فتحتاط دائمـــا وتوفر أمن اللبس في المستويات اللغوية المختلفة ، وحتى في التغييرات السياقية. (١)

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٦٣ .

الفصل الأول

ثقل توالي الأمثال

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

المبحث الأول : الإدغام

المبحث الثاني : الحذف

المبحث الثالث : المخالفة

المبحث الرابع : الفصل بين الأمثال

(الفصل الأول)

- ثقل توالي الأمثال -

تمهيد :

إن كراهة التماثل والنزوع إلى التخالف مبدأ لغوي عام لا ينتظم لغة بعينها، ولكنه ظاهرة توجد في اللغات جميعا ذلك أن الناطقين باللغات المختلفة يمتلكون جهازا صوتيا واحدا، ولكنه يخضع لاعتبارات اللغة المكتسبة منذ الصغر وهذا يؤدي إلى إيجاد التلاؤم بين الجهاز الصوتي والنظام الصوتي المكتسب . والأمم على اختلاف لغاتها تسعى إلى إيجاد قدر من التخالف بين الأصوات المُرَكَّبة لألفاظها ، وإذا كان ذلك كذلك فإن قدرا من التماثل والتقارب لا بد وأن يخترم هذه الرغبة في التخالف بسبب محدودية الدوال الصوتية من جهة ، وجهل الفرد الواحد بالامكانات اللغوية المتاحة بسبب اعتماده على معجم لغوي خاص يتطور زيادة ونقصا مع نموه من جهة أخرى .

واللغة إذا كانت تحوي الآلاف من الكلمات فإن الانسان فردا أو على المستوى الجماعي المباشر لا يستخدم سوى ألفاظ قليلة بالقياس إلى ما يحتويه المعجم . ولكن كل لغة تختلف عن الأخرى في توجيهها هذا المبدأ "التخالف" وتطبقه بطرق مختلفة وللعربية شأنها الخاص في ذلك وإن اتفقت مع اللغات الأخرى من حيث المبدأ .

وقبل أن نبدأ الحديث عن مبدأ ثقل توالي الأمثال ، أو كراهة ذلك التوالي في العربية ، يحسن بنا أن نقول: إنه قد يطرق هذا الموضوع عند الدارسين للأصوات اللغوية ، تحت ما يعرف في دراساتهم " بالتماثل أو المماثلة " ، ونحن نفترق عن طريقة تناولهم للموضوع ، ذلك أننا نهدف الى بيان وجهي الثقل والخفة ، ولذلك كان لزاما علينا أن نجترئ على ما قدم الباحثون قبلنا ، ونعيد صياغته باعتبار الثقل المفضي إلى اتباع سبيل من سبل

التخفيف .

لذا سنتناول في هذا البحث ثلاثة عناصر رئيسية وهي :

أ) تعيين موضع الثقل وتحليله .

ب) تعيين الطريقة التي اتُّبعت للتخلص من هذا الثقل .

جـ) محاولة بيان السبب الذى من أجله آثرت اللغة طريقة على أخرى من طرق التخفيف .

وسأذكر الأول من هذه العناصر في تمهيد هذا الفصل ، أما الآخران فسيأتي الحديث عنها في مواضعها .

موضع الثقل في توالي الأمثال وتحليله :

بتتبع المواطن التي كره العرب فيها توالي الأمثال نجد الآتي :

أ) تتابع صوتين مثلين (تكرار نفس الوحدة الصوتية) مثل الدال في " مَدَدَ " ونحوها . ويمكن أن يقال عنه : إنه تتابع مقطعين قصيرين مفتوحين(١) في كلمة واحدة ، أو في كلمتين على نحو (ص ح ص ح) يكون الصامت في كليهما واحدا بغض النظر عن اختلاف قيمة الحركتين القصيرتين في المقطعين ، بمعنى أن اختلاف حركتي المقطعين لا يعني بالضرورة انتفاء الثقل أو الكراهة .

ب) تتابع صوتين متقاربين في نفس النسق الصوتي السابق أو في نسق آخر يكون فيه أحد الصوتين جزءاً من مقطع متوسط مقفل ، والآخر مقطع قصير مفتوح على نحو كلمة " أَخَذْتُ ــ أَخَتُّ " فالذال هي الجزء الأخير أو قفلة المقطع المتوسط (ص ح ص) وتاء المتكلم هي المقطع القصير

---

(١) انظر في مقاطع العربية " مناهج البحث في اللغة " ص ١٧٢ / ١٧٣ .

المفتوح (ص ح) .. أو نحوها .[1]

جـ) تتابع صوتين صامتين نتيجة لحذف حركة المقطع القصير المفتوح في الوقف ، ويكون الصامت الأول آخرَ مقطع متوسط مقفل ، نحو كلمة "عَضّ" و "عَبْدٌ" موقوفا عليهما ، فيكون المثلان هما الصامتان (الساكنان) في مقطع نحو "ص ح ص ص" ، مما وافق الحد المقبول لغويا لالتقاء الساكنين ، أو جاوزه .

د) تتابع مقطعين متوسطين مقفلين (ص ح ص) في موقع "مفصلي" كما في قوله تعالى "يا أَيُّها الذين آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم" (المائدة ١٠١) . فقد قيل إن كراهة توالي المثلين تكمن في الهمزة وحركتها والتنوين ، والهمزة وحركتها والتنوين (إن الشرطية) ولذلك منع من الصرف حتى لا يلتقي المقطعان المثلان .[2]

وكما رأينا المواطن التي اجتمع فيها الثقل فان مصدر الثقل فيها هو توالي صوتين صامتين مثلين أو متقاربين كما في الحالتين (أ ، ب) أو تتابع صوتين صامتين ليسا ـ أو ليس أحدهما ملتبسا بحركة كما في الحالة الثالثة (جـ) وهو ما يعرف "بالتقاء الساكنين" وله موضعه الذى سنتناوله فيه .

أما الحالة الأخيرة وإن وافقت الحالتين الأوليين في تكرار المقطعين

---

(١) أعني بنحوها هنا أن يكون توالي المتقاربين بين كلمتين كما هو الحال في الإدغام الكبير المشهور عن أبي عمرو بن العلاء حيث كثيرا ما أسكن أواخر الكلم ليدغم الصوت الأخيرين الكلمة في الصوت الأول من الكلمة التالية لها مباشرة وسنرى أمثلته عند بيان ما يدغم وما لا يدغم من أصوات العربية فيما يلي من المبحث الأول في هذا الفصل إن شاء الله .

(٢) التطور اللغوى علله وقوانينه ٤٦ .

(ءً ، إن) ما يوهم اشتمالهما عليه . فإنهما على الحالة التي يتخلص فيهـا من أحد صامتي المقطعين ، يلتقي لدينا مقطعان جديدان من نـوع (ص ح) هما الهمزتان " ءَ ، إ " من قوله تعالى " " أشياءَ إن " وبالتالي فإنهـا لا تدخل معنا في حديثنا عن المثلين إلا عن طريق تناولنا للحالتين الأوليين .

ويشير القدماء إلى هذا الثقل الناتج عن توالي صوتين صامتين فأكثـر وذلك حين يقول سيبويه عن كراهية التضعيف : " وذلك لأنه يثقل عليهـم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له ، فلما صار ذلك تعبا عليهـم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة ، كرهوه وأدغموا ، لتكون رفعـة واحدة وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك " . (١)

ويروى أبو زرعة في معرض احتجاجه لقراءة أبي عمرو " ذَلِكَ الكِتَـابُ لا ريبَ فِيهِ هُدَى لِلْمُتَّقِين " (٢) بالإدغام تشبيهها للخليل يصف فيه حال اللسـان الناطق للمثلين " كحال المقيدِ إذا رفع رجلَه في موضعٍ ثم أعادها إليه ثانية " . (٣)

ومعنى ذلك عند علماء اللغة المحدثين أن اللغة تميل إلى التخلـص من تـوالي المثلين ، لتحقيق حدٍ أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركـات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها . (٤)

---

(١) سيبويه ٤/ ٤١٧ : التضعيف عند سيبويه مصطلح عام غير محدد قـد يشمل (المضاعف المدغم) وغيره ، وإن كنّا نرى أنه في النص المنقـول يعبر عنه في حال الفك ، بدليل أنه قبل هذا النص كان يشير الـى أن الأبنية : " فعلّل ، وفعلّل ، لم تأت من الثلاثي إلا قليلا ـ نحـو ضربّب " .
والخليل يسميه التضعيف أيضا ويجعل المضاعف مختصا بالرباعي الـذى حرفا عجزه مثلُ حرفي صدره " أنظر العين ١/ ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) سورة البقرة الآية (٢) .

(٣) حجة القراءات ٨٤ ، وانظر كذلك السبعة ١٢٥ .

(٤) دراسة الصوت اللغوى ٢٣٢ .

والصوتان المتقاربان لهما حكم المثلين – في الإدغام خاصة . ذلك أنه يرى في تواليهما ما يرى في توالي المثلين من الثقل وإن كان متفاوتا في المتقاربين ، ذلك أن الصوت مخالف أصلا ، ثم إن درجات التقارب متفاوتة بحسب البعد والقرب بين الصوتين في المخرج والصفة ، على ما سنراه من خلال حديثنا عما يدغم وما لا يدغم من الأصوات .

ويمكن أن يرد هنا ، أن النطق بالمثلين أمر ليس ثقيلا ، أو بعبارة أخرى أن ثقل المثلين أمر نسبي ، لا يرقى إلى القول بالكراهة ، والثقل ، بدليل الأمثلة اللغوية الكثيرة التي تتوالى فيها أمثال لم تدغم ولا سبيل إلى إدغامها نحو الفعل المضعف المسند إلى تاء الفاعل في " رَدَدْتُ ومَدَدْتُ وسَرَرْتُ . . " .

ويمكن أن يفسر مثل هذا في ضوء النقاط التالية :

الأولى : أن الأمثلة أو النماذج الوارد فيها أمثال متكررة غير مسلوك بها طريق التخفيف كالفعل المضعف المسند إلى الفاعل ، إنما وردت هكذا لأنه لا سبيل إلى التخلص من تواليهما بطريق غير ملبس .

الثانية : أن احتمال ثقل المثلين ، قد يكون تهربا من ثقل جديد قد يفضي إليه استخدام واحد من طرق التخلص من الأمثال ، الأمر الذى جعل مثلا الفك عند الاسناد مطلبا ضروريا حتى لا يلتقي ساكنان وهو أمر أثقل من أن يلتقي مثلان أو متقاربان .

الثالثة : أن اللغة في توجهها إلى الاقتصاد في الجهد المبذول لأدائها ، إنما تختار الطريق الذى يفي بهدفها الأساسي " الايصال " ويؤدى إلى التقليل من المشقة المبذولة عضليا في نفس الوقت ، فتعارض في اللغة هدفان " الوفاء ، والجهد " أعني الوفاء بالمعنى والجهد الأقل ، وهي تختار الوفاء بالمعنى دونما التفات إلى تقليل الجهد

العضلي المبذول كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد ، ولعل هذا ما جعل اللغة تنظر إلى الأمثال والمتقاربات ، نظرة تجعلهما موطن البؤر الثقيلة في السلسلة الكلامية المنطوقة ، لما في مواطن توالي الأمثال في العربية من تضافر القرائن اللفظية والمعنوية التي يعول عليها في حال التخلص من توالي المثلين ، لتصحيح الوضع – إن جاز هذا التعبير – الذى أدى إليه التخفيف وسيظهر هذا الاعتماد على القرائن في حالات الإدغام والحذف والمخالفة ... مما سَنُبَيِّنُهُ في موضعه .

ونرى من الجدير في هذا المقام أن نشير إلى مصطلحات أربعة يكثر ورودها عند الحديث عن الأمثال وتواليها في العربية .

أولها : مصطلح التضعيف :

وهو مصطلح سيبويه ويعني به أن يتكرر في الكلمة الواحدة صوتان صامتان مثلان ، وذلك قوله (والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد " .[١] وهو مصطلح يشمل المثلين في حالة الفك فقط ، بدليل وضعه لإدغام المثلين عنوانا هو قوله " هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه ".[٢] وقد يشتق سيبويه من نفس المادة مصطلحين آخرين هما " المُضَعَّف ، والمُضاعف " وهما مصطلحان غير محددين إذ يحملان الاصطلاح المعجمي "للمضعف الثلاثي والرباعي ".[٣] وأرى التفريق بينهما خصوصا الأخيرين على المضعف للثلاثي ، والمضاعف للرباعي ، ثم إنه يجب

---

(١) سيبويه ٥٢٩/٣ وهو أيضا مستخدم لدى المبرد بنفس المفهوم ، انظر المقتضب ٢٥١/١ .

(٢) سيبويه ٤٣٧/٤ .

(٣) انظر كتاب العين ص ٦٢/١ ، ٦٣ .

تحقيق ما إذا كان المشتمل على مثلين مدغما أحدهما في الآخر يكـون مضعفا أو مضاعفا ذاك ما سنعرفه عند الحديث عن الإدغام .

ثانيها : مصطلح اجتماع الأمثال :

وهو مصطلح يعني نفس المفهوم الذى ذكره سيبويه عن التضعيف وهو إن كان بصيغة الجمع " الأمثال " الا أنه يشمل المثلين.واصطلـح بالجمع ليشمل المثلين والثلاثة .(١)

ثالثها ورابعها : مصطلحا المماثلة والتماثل :

وهما من مصطلحات المحدثين وترد كثيرا عند الحديث عـــن القوانين الصوتية المفسرة للتغييرات التركيبية للأصوات(٢) ، فقانـــون المماثلة يدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب على حد تعبـير الدكتور رمضان عبد التواب ، بينما هو يشمل عند الدكتور احمد مختـار عمر " الحديث عن المثلين أصلا ، والمتقاربين " وذلك حين يتحـدث عما أسماه (المماثلة الكاملة)(٣) ، وان كان قد أشار في موضع سابق الى نفس المفهوم الذى عناه الدكتور رمضان عبد التواب ،(٤) وهو أيضا نفـس المفهوم لدى الدكتور ابراهيم أنيس ، وجميع هؤلاء يضعون مضادا لهذا المصطلح " قانون المخالفة " بمعنى أنه يدعو صوتين متماثلين إلـــى التخالف والتباعد ، وأرى أن استخدم مصطلح الأمثال أو المثلـــين بحسب مرات التكرر للصوت كذلك أنني أضع المخالفة في إطار الطـــرق

---

(١) انظر في هذا المصطلح " الأشباه والنظائر " ١٩/١ وفيه مصطلح آخر هو " التكرير " .
(٢) التطور اللغوى ، مظاهره وعلله وقوانينه ص ٢٢ .
(٣) دراسة الصوت اللغوى ٢٣٢ .
(٤) المصدر نفسه ٣٢٤ .

التي يتخلص بها من ثقل المثلين أو الأمثال وذلك ما دعاني إلى ترك المصطلحين الأخيرين (المماثلة والتماثل) .

وهذه الكراهية لتوالي الأمثال والمتقاربات يعدها البلاغيون معيارا لفصاحة الكلمة، إذ كان أحد شروط الفصاحة على مستوى الكلمة المفردة حين قالوا : "أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي ، فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق " (١) . نحو كلمة "الهعخع" وكذلك على مستوى الكلام كالشاهد :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ (٢)

ولما كان الأمر بما وضحنا من ثقل توالي الأمثال والمتقاربات . كان على اللغة أن توجد لنفسها وسائل التخلص من هذا الثقل المكروه ، وكانت وسائلها المختارة للتخلص من ثقل المثلين أربع وسائل هي :

أولا : إدغام أحد المثلين أو المتقاربين في الآخر .

ثانيا : حذف أحد المثلين أو المتقاربين .

ثالثا : تحويل أحد الصوتين المثلين صوتا آخر وهو ما عرف في الدراسات العربية القديمة " بالإبدال " وفي الدراسات المعاصرة بالمخالفة .

رابعا : الفصل بين المثلين بصائت طويل (الألف) كالفصل بين الهمزتين بمدة طويلة .. أو غيرها .

ولا نستطيع هنا أن نفاضل بين هذه الوسائل ، ولكنّا نقول : إن الإدغام أشيع هذه الوسائل في اللغة العربية ، وله مواطن يمتنع فيها مما يدفع اللغة إلى اختيار وسائل أخرى كالحذف والمخالفة مثلا ، وكذلك نستطيع أن نقول إن الفصل ليس شائعا شيوع الثلاثة الأولى مما دعانا أن نتناوله آخرا .

وسنتحدث عن كل وسيلة من وسائل تخفيف ثقل المثلين أو الأمثال فيما يأتي :

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة / ٤ .
(٢) المصدر نفسه / ٥ .

المبحث الأول :

(الإدغام)

تعريفه :

الإدغام في الاصطلاح : "أن تصل حرفا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة ". (١)

ويعرفه السيوطي بقوله : "رفعك اللسان بالحرفين دفعة واحدة ، ووضعك إيّاه موضعا واحدا ". (٢)

ويعرفه ابن الجرزى بقوله : "هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا". (٣)

وتعريف ابن الجرزى أكثر بيانا عن حال الإدغام ، ذلك أنه خصّه باللفظ وهو مناط الثقل من جهة ، ثم إنه وصفه بقوله : "مشددا" وهو وصف مهم في اعتبارنا لحال الإدغام . ذلك أنه وإن عُدّ الصوتان حال إدغامهما بحرفين في الميزان ، إلا أنهما حرف واحد باعتبار ما صارا إليه لفظا .

كيفية الادغام :

يعبر سيبويه عن كيفية الإدغام بالإدخال وذلك حين يقول : "والإدغام إنما يدخل فيه الأول في الآخر ، والآخر على حاله ، ويقلب الأول فيدخل في الآخر ، حتى يصير هو والآخر من موضع واحد ، نحو "قَدْ تَرَكْتُكَ" ويكون الآخر على حاله ". (٤) والتخلص من الثقل في توالي المثلين ، يحصل هنا بالنطق

---

(١) أسرار العربية ٤١٨ .
(٢) همع الهوامع ٦/٢٨٠ .
(٣) النشر في القراءات العشر ١/٢٧٤ .
(٤) سيبويه ٤/١٠٤ ، ١٠٥ ، والإدغام بتشديد الدال مصطلح البصريين ، وبالتخفيف بهمزة قطع مصطلح الكوفيين .

بالمثلين صوتا واحدا مشددا ، إذ لم يكونا إلا صوتا ، يطول النطق به عن النطق بالصوت غير المدغم ، وهذا الطول في نطق الصوت المدغم ، ناتج عن وقفة قصيرة عند النطق به نحو "كَلَّمَتْنِي "(١) و "عَلَّمَ " لا تنهي هذه الوقفة إلا حركةُ المثل الثاني وصلا .

ومعنى هذا أن الإدغام يغير في التوزيع المقطعي لأبنية العربية على نحو يتحول فيه البناء المكون من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة مثلا كالفعل المضعف في نحو : شَدَّ ومَدَّ ونحوها، إذ الأصل فيها شَدَدَ ومَدَدَ فيتحول التوزيع المقطعي من ص ح - ص ح - ص ح في كلتيهما ، إلى ص ح ص - ص ح . وبنظرة إلى التجريد المقطعي يلاحظ أن الصوامت المكونه للمقاطع الثلاثة الأولى قبل الإدغام ما زالت موجودة بعده ، إلا أن الحركة التابعة الحركة التابعة للصامت الثاني " الأول من المثلين " قد حذفت .

وكذلك كانت نظرة علماء العربية القدماء حين جعلوا الأصل البنائي " للفعل المضعف " متحرك (العين) أعني عين (فَعَل) أو (فَعِل) الصيغتين اللتين يرد بهما المضعف دائما .(٢) وكلا النظرتين ، أعني نظرة القدماء ، والتوزيع المقطعي عند المحدثين لا تصفان الواقع المنطوق للمدغمين (المشدد) ، وإن كانتا تشيران إلى ضرورة اعتبار المشدد مكونا من صوتين صامتين عند المحدثين ينتمي أحدهما إلى المقطع السابق (ص ح ص ص ح) إلا أنه اعتبار بحكم الوظيفة التي يؤديها الصوتان الصامتان ، أو حتى حركة الأول منهما ، في كونهما تحمل دلالة على صيغة الفعل ، وكما نعلم دلالة الصيغة لها اعتبار كبير في الدلالة على المعنى المراد ، من حيث التعدي

---

(١) علم اللغة المبرمج (٩٢) .

(٢) لم يرد من المضعف الذي يرى أن أصله بضم العين (فعل) الا بناء واحد ينسبه سيبويه وغيره الى يونس : " ذلك قول يونس : أن من العرب من يقول " لببت : تلبّ ، كما قالوا ظرفت ، تظرف " سيبويه ٤ / ٣٧ .

واللزوم ، أو حتى من حيث دلالة الفعل على الأعراض أو الخصال التي تكون في الأشـــــياء[(١)] ... الخ .

ولنا في هذا وجهة نظر مؤداها : أن التوزيع المقطعي وتأويل الأصل في الألفاظ المدغم فيها صوتان مثلان أو متقاربان ، قد أديا إلى إضعاف دور الإدغام في التخفيف ، لأنهما يصدران حالة المنطوق كحال المجرد ، وسأذكر نموذجا يوضح الفارق بين المنطوق فعلا، والأصول الموضوعة مقطعيـــة كانــت أو صرفيـــــة .

فان التوزيع المقطعي لكلمة مثل : سَدَّ ـ هو :

(سَدْ ـ دَ) أي ـ ص ح ص ـ ص ح . وهو نفسه المقطعــــان الأخيران من كلمة (أَخَذْتُ) الذى هو (ص ح ـ ص ح ص ـ ص ح) ، ويلحظ الفارق هنا أنك اذا أظهرت الذال في (أخذت) أو أدغمتها لم يختل التوزيع المقطعي ، فهو في كلا الحالين (ص ح ـ ص ح ص ـ ص ح) ، إلا أننـــا نلاحظ الفرق بين النطق في حالي الإدغام والإظهار في كلمة (أخذت) ، كما هو موضح في الترتيب المنطقي التالي :

في الإظهار ← (أَ ـ خَ ـ ذْ تُ ـ) يعمل الجهاز الصوتي كالتالي :

تنطــق الهمزة ـ ثم فتحتها ـ ثم الخاء ـ ثم فتحتها ـ ثم الذال ـ ثم التاء ـ ثم ضمتها .

وفي الإدغام (أَ ـ خَ ـ تْتُ ـ) يعمل الجهاز الصوتي على النحـــو التالــــي :

تنطق الهمزة ـ ثم فتحتها ـ ثم الخاء ـ ثم فتحتها ـ ثم التاء (طويلة) ثم ضمتهــــا .

---

(١) سيبويه ٤ / ٢٨ .

وعلى هذا فإنه في الإدغام ذهبت حركة عضوية كان يقوم بها اللسان لإخراج (الذال) واكتفى نيابة عن ذلك بالقيام بتثبيت اللسان في موضع (التاء) مدة أطول منها في حالة الإظهار ، وكأنما هذه الإطالة ترمي إلى نوع من الإيماء الى ذلك الصوت المدغم (المثل أو المقارب الأول) .

وعلى هذا فإن الإدغام ليس إلا : "إزالة الحدود بين الصوتين المدغمين ، وصهرهما معا ، أو هو إحلال صوت ساكن طويل (مشدد) محل الصوتين الساكنين القصيرين " .[1] وهذه الحدود المزالة بين الصوتين المدغمين ، ليست إلا حركة المثل أو المقارب المدغم (الصوت الأول) إن كان متحركا ، ومن ثم تحويل الصوت الأول إلى مثل الثاني — في حالة المتقاربين — وعندها يتحقق الإدغام بين المثلين إذا سكن أولهما ، وهو تحقق لا مناص منه إذ يتحقق شرط الإدغام وهو وجود المثلين مع سكون الأول .[2]

وعلى هذا فإن التغييرات التي يحدثها الإدغام في المثلين في الصيغة لا تبعد الكلمة كثيرا عن أصل وضعها ، لأنه لا يرتكب لأجله من تغيير إلا حذف الحركة ، حالةَ كون الأول متحركا على ما قدمنا .

تقسيمات الإدغام :

ويقسم علماؤنا الإدغام إلى عدة تقسيمات ، لعدة اعتبارات هي : —

أولا : يقسم بحسب مخرج الصوت وصفته الى مثلين ومتقاربين وجنسين .

ثانيا : ويقسم باعتبار الحركة إلى إدغام كبير وصغير ، وسمي الكبير كبيرا على ما يرى السيوطي[3] :

١) لكثرة وقوعه ، ذلك لأن الكبير أول الحرفين فيه متحرك فسمي

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٣ .
(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٩٤ طبعة بيروت .

كبيرا لأن الحركة أكثر من السكون .

٢) وقيل : لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه .

٣) وقيل : لما فيه من الصعوبة .

٤) وقيل : لأنه يشمل (نوعي) المثلين والجنسين والمتقاربين.

ويرى أن هذه التسمية تنطلق من منظورات ثلاث :

أولها : مناسبة التسمية للكم والشيوع ، فجاء على ذلك التعليلان ، كثرة وقوعه ، وشموله (نوعي) المثلين والجنسين والمتقاربين .

ثانيها : مناسبة التسمية لما يحدثه الإدغام الكبير من حذف للحركة المصاحبة للصوت الأول (المدغم) وعلى ذلك جاء قولهم " لتأثيره في إسكان المتحرك " .

ثالثها : مناسبة التسمية لما يحدثه الإدغام من صعوبة ، وهي صعوبة في النطق وهنا يتعارض هدف الإدغام من التخفيف مع ما يحدثه من صعوبة ، وعلى ذلك فلا يتوجه هذا القول إلا على أن الادغام الكبير إنما اشتهر[1] عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان كثيرا من المواطن التي يدغم فيها من هذا النوع يلتقي فيها ساكنان سواء أكان أولهما صحيحا (صامتا) أم حرف مد ، فنشأ عن التقائهما ثقل التقاء الساكنين الذى أفضى بالخروج من ثقل المثلين إلى ثقل جديد ، فكانت التسمية من هذا المنظور .

ولابن جني رأى في الإدغام،فيقسّمه إلى أكبر وأصغر إذ يرى الأول — وهو المألوف المعتاد عنده — : "إنما هو تقريب صوت من صوت"[2] .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ١/٩٤ .
(٢) الخصائص ٢/١٣٩ .

أما الآخر : فهو عنده تقريب صوت من صوت وإدناؤه منه من غير إدغام[1] كالإمالة ، وقلب تاء الافتعال طاء حين تكون فاؤها مطبقة .

ولا يستقيم معنا تقسيم ابن جني ، ذلك أن تعريفه للإدغام "بالتقريب" فيه عدم إدراك لحقيقة الإدغام ، وهدفه ، ذلك أن الإدغام لا يكون إلا في المثلين والمتقاربين ، فكيف يكون هو تقريبا ؟ والذى أراه إنما هو تخلص من تقاربهما أو مثليتهما التي أوجدت ثقلا كان الادغام سبيلا إلى التخفيف فيه ، أما ما عده ابن جني إدغاما صغيرا فهو التناسب بين صوتين من غير إدغام وهو ما سأتحدث عنه خلال الفصل الثاني .

وسآخذ فيما يلي على أن الإدغام يكون في المثلين ، والمتقاربين جاعلا الحديث عن المتقاربين شاملا المتجانسين ،ذلك أن التقارب إن لم يكن في المخرج كان في الصفة على ما ستراه بينا — في الحديث عن إدغام ما يجوز إدغامه من الأصوات :

ولن أشير إلى الإدغام الكبير عنوانا منفصلا ، ذلك أنه يتحول إلى إدغام صغير إذا أسكن أول المثلين أو المتقاربين ، إن كان متحركا .

وإليك الحديث عن الإدغام في المثلين والمتقاربين :

إدغام المثلين :

يدغم المثلان إذا التقيا سواء أكان ذلك في كلمة أم كلمتين إذا ما تحقق شرط الإدغام وهو سكون الأول .

أولا : إدغام المثلين في كلمة واحدة :

أ) إدغام المثلين في أول الكلمة :

إذا كان المثلان في أول الكلمة يمتنع إدغامهما إن كانت

---

(١) الخصائص ٢/١٤١ .

الكلمة خالية من الزوائد نحو كلمة " ددن " ، وعلة ذلك إحداثه لثقل آخر ، يحتاج إلى التخلص منه ، وهو الابتداء بالساكن — إذ أول المدغم أبدا ساكن — .

فان كان المثلان الأولان في كلمة مزيدة ، فالأرجح عدم الإدغام ، لذات العله السابقة ، وقد أجازه الرضى ، ذلك قوله : " فإن كان المثلان في أوله (أى الفعل) فأما أن يكون ماضيا كـ " تَتَرَّسَ ، وتَتَارَكَ " أو مضارعا كـ " تَتَنَزَّلُ ، وتَتَثَاقَلُ " فالأولى في الماضي الإظهار ، ويجوز الإدغام مع اجتلاب همزة وصل في الابتداء ، . . . .

. . . .

. . . . ، فإن أدغمت في الماضي أدغمت في المضارع والأمر والمصدر ، وكل اسم أو فعل هو من متصرفاته نحو " يَتَّرَّس ، ومـتَّرِس ، ومتَّارِك . . . . " (١)

والأصوب أنه لا يدغم هذا في الماضي إلا في الدرج فقط لأن اعتماد نطق الساكن الأول على الحركة في الكلمة السابقة عليها ، وأما المضارع وأبنيه الفاعل والمفعول . . فمتحركة الأول ، ويجوز إدغامها ، لعدم الابتداء بالساكن ، وعليه قوله تعالى : " اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ " (٢) . وقوله تعالى قالوا اطَّيَّرْنَا بِكَ (٣) ، فإدغام المتقاربين هنا في الدرج ، وسياق الآيتين لا يحتمل الاستئناف ، وإن قال به الأخفش . (٤)

---

(١) شرح شافيه ابن الحاجب ٢/ ٢٤٠ .
(٢) التوبه (٣٨) .
(٣) النمل (٤٧) .
(٤) معاني القرآن للأخفش الأوسط ٢/ ٣٢١ ، ٣٣٠ في الآيتين .

ب) إدغام المثلين في وسط الكلمة :

لالتقاء المثلين في وسط الكلمة وجهان :

أحدهما : تكرار أحد الأصوات الأصول المتوسطة في الكلمة وذلك نحو الصيغ المصنفة فَعَّل ، وفَعَّال ونحوها ، مما يلزم فيه الإدغام لا محالة ، لسكون أول مثلي المضعف ، وذلك قولك " قطع ونحوهما وهذا الموضع هو الذى يجوز فيه تضعيف الهمزة نحو رأّس وسأّل .(١)

والآخر : أن يلتقي المثلان بطريق إتفاق الصوت الزائد ، مع صوت مماثل من الأصول ، وحينئذ ، لا يلزم الإدغام بل يصح الوجهان للاعتبارين ، اعتبار الصيغه الذى لا يعني أن يكون هناك تماثل بين الصوت الزائد والأصلي — في وسط الكلمة — واعتبار الأصوات الأصول للكلمة الذى قد يكون أحدها مماثلا للزائد وسطا ، وذلك نحو بناء " افْتَعَل " ، فإنه قد يأتي من مواد تماثل فيها تاء الافتعال ، عين المادة الأصل ، وذلك نحو " اقْتَتَل " فيصح حينئذ الإدغام فنقول فيها قتّل ، قِتّل ، بالاستغناء عن همزة الوصل بعد نقل الحركة إلى الفاء ، أو تحريك الفاء بالكسر ،(٢) والإظهار الأوجه ، يليه الادغام مع كسر الفاء ، أما الإدغام مع نقل الحركة فانه يؤدى إلى الالتباس بصيغة " فَعّل " بالتشديد كَقَطّع وكَسّر وقَتّل .

---

(١) انظر الممتع في التصريف ٢ / ٦٣٣ .
(٢) انظر هذه الأوجه في المنصف ٢ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

جـ) إدغام المثلين في آخر الكلمة :

إذا التقى المثلان في كلمة واحدة فلا يخلو أن يكون الأول منهما ساكنا ، أو متحركا ، فان كان ساكنا فالإدغام واجب لا محالة ، تقول في " رَدَّ " ساكن الأول بالادغام فقط ، ومثله وزن فَعَّل وفَعَّال ـ اللذين يقع المثلان فيهما وسطا ، فلا محالة من اللفظ بالمثلين صوتا مدغما ، قال ابن يعيش : " واعلم أن التقاء المثلين على ثلاثة أضرب . أحدها أن يسكن الأول ويتحرك الثاني ، وهذا شرط المدغم فيحصل الإدغام ضرورة سواء أريد أم لم يرد ، إذ لا حاجز من حركة ولا غيرها نحو " لَمْ يَرُحْ حَاتِم ، ولَمْ أَقُلْ لَكَ "(١) ومثل ابن يعيش بالمنفصل لاستحالة فك المتصلين في الكلمة لفظا وخطا .

وهذا الإدغام مطرد في الأفعال الثلاثية ، وما كان على زنتها من الأسماء ما عدا بناء " فَعَل " فانه لم يدغم لخفة البناء ، اذ الفتحة أخف من الضمة والكسرة فلا يدغم نحو " طَلَل وشَرَر "(٢) . فأما ما كان على " فَعِل وفَعُل " من الأسماء أدغم لشبهه بالفعل مع ثقل البناء ، فتقول في " فَعُل وفَعِل " من رَدَدْتُ : رَدٌّ ، وأصله : " رَدُدٌ " و رَدِدٌ " ويقول ابن عصفور : " والدليل على أن : " فَعِلا " يدغم قولهم طَبٌّ وصَبٌّ والأصل طَبِبٌ ، وصَبِبٌ ، لأن الفعل على وزن " فَعِل " تقول " صَبِبْتُ

---

(١) شرح المفصل ١٠/١٢١ .
(٢) الممتع في التصريف ٢/٦٤٤ ، ٦٤٥ .

وطَبِبْتُ ".(١) وكذلك لا يدغم من الأسماء ما هو على بنـاء " فَعِل ، وفُعُل ، وفُعِل " وفي ذلك يقول المبرد : " وان لم يكن شيء على بناء الفعل من الثلاثة ، فالإظهار ليس غير وذلك قولك : فيما كان على مثال : " فُعُل ... ودُرَر ، وقُذَذ كما قلت في الواو : سُوَر ، وما كان على " فِعَل " فكذلك ، تقول : قِدَدٌ ، وشِدَدٌ ، وسِرَرٌ ... ، وكذلك في " فُعُل " تقول فيه: خُضُضٌ وسُرُرٌ ... "(٢) ، ويلحقها في الامتناع ما كان على وزن صدره يُشْبِهُ هذه الأوزان (٣) ، نحو : خُشَشَاء ودُدَاء ، ودَجَجَان ، وقُرُرَه ، لأنه لم يشبه وزن الفعل فلم يدغم ، قال ابن مالك معللا لهذا الفك : " ووجب لـ " فِعَل وفُعَل ، وفُعُل " لمخالفتها الفعل في الوزن ، إذ الإدغام فرع على الإظهار فخصّ بالفعل لفرعيته ".(٤) وكذلك خُرِّج ما كان مدغما منه على أنه مخفف بالسكون على حد تخفيف غير المضاعف نحو : رُسْل ، وعُنْق ، وعُضْد ، وما شاكلها مما سكن وسطه تخفيفا ، وكذلك يروى من المضعف على هذا الوجه قولهم في الصدر : " قَصّ ، وقصص " وعده المبرد من الساكن للتخفيف ، وكذلك ذكر سيبويه قولهم في جمع عَمِيمَة : عَمّ "(٥) على أنه مخفف وأصله بضمتين عمم " . ويفهم من هذا أنه لما لم تماثل العين اللام سكنت العين تخفيفا ولكنها لا تسكن فيما تماثلا فيه ، لعدم الالتباس بالمضعف المبني

---

(١) الممتع في التصريف ٢/ ٦٤٤ ، ٦٤٥ .
(٢) المقتضب ١/ ٢٠١ .
(٣) شرح الكافية الشافيه ٤/ ٢١٧٩ ، ٢١٨٠ وما بعدها وكذلك همع الهوامع ٦/ ٢٨٣ .
(٤) شرح الكافية الشافيه ٤/ ٢١٨٠ .
(٥) سيبويه ٤/ ٤٢١ ، وانظر المقتضب ١/ ٢٠١ .

للمجهـول .

فإن زاد البناء عن الثلاثة أدغم سواء أكان فِعْلا أم اسما وفي هذا يقول سيبويـه :

" واعلم أن كل شيء من الأسماء جاوز ثلاثة أحرف فإنه يجرى مجرى الفعل الذى يكون على أربعة أحرف إن كان يكون ذلك في اللفظ فِعْلاً ، أو كان على مثال الفِعْل ولا يكون فِعْلاً ، أو كان على غير واحد من هذين ، لأن فيه من الاستثقال مثل ما في الفِعْل ، فان كان الذى قبل ما سكن ساكنا حركته ، وألقيت عليه حركة المسكن ، وذلك قولك : مُسْتَرِدّ ومُسْتَعِدّ ومُعِدّ ومَعَدّ ومُسْتَعَدّ وإنما الأصل مُسْتَعْدِدٌ ومُعْدَدٌ ومُسْتَعْدَدٌ ... فإن كان الذى قبل المسكن متحركا تركته على حركته . وذلك قولك مُرْتَدٌّ ، وأصله مُرْتَدِدٌ ، كانت حركته أولى فتركته على حركته إذ لم تضطر إلى تحريكه . وان كانت قبل المسكنة ألف لم تغيّر الألف ، واحتملت ذلك الألف لأنها حرف مدّ ، وذلك قولك : رادُّوا ومادُّوا ، والجادَّةُ ، فصارت بمنزلة متحرك ". (١)

امتنـاع إدغـام المثلين في كلمـة :

قد مر بنا بعض ما امتنع الإدغام فيه ما كان في آخره مثلان ، وهو مـا جاء على الأبنية " فَعَل وفَعِل وفُعُل " ، ويزاد عليه امتناع إدغام ما زاد عن الثلاثة ، إذا كان أحد المثلين فيه مزيداً للإلحاق ببناء آخر نحو " قَرْدَدٍ " فإنّه لو أدغم لبطل الإلحاق بجَعْفَر ، وكذلك مَهْدَدٌ ، ومثله اقْعَنْسَسَ لأنـه ملحق باحْرَنْجَمَ ، وجَلْبَبَ الملحق بدَحْرَجَ ، لأن الإدغام يخِلّ ببقاء الكلمة على حركاتها وسكناتها التي ساوت بها كلمة أخرى فألحقت بها ، لذلك عُدَّ فـكّ الإدغام المجتمع مع الزيادة التي لا تفيد معنى موجبا دليلا على الإلحاق ويمتنع

---

(١) سيبويه ٤/٤١٨ .

من هذه الجهة ـ أيضا ـ إدغام المثلين المسبوقين بمزيد للإلحاق نحو "هَيْلَل" و"أَلَنْدَد"، وعلة ذلك عدم فوات المقابلة، كما قال ابن مالك (١).

ومما يمتنع إدغامه في الكلمة الواحدة من المثلين ما كان ثانيهما متحركا عرضا لالتقاء الساكنين أو بأثر ما قبله نحو: "أردد القوم" وقوله تعالى "على أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ" (القيامة ٤٠).

فالأول محرك عرضا لالتقاء الساكنين، والآخر محرك عرضا لأن الياء الأخيرة هنا لا تثبت على حال، فهي ألف في حالٍ ومحذوفة للجزم في حالٍ أخرى، ولا يكون فيه ـ على رأى ـ إلا الإخفاء، وهو بين الإدغام والبيان (٢).

ويلحظ هنا أن التوجيه الأجدر لامتناع الإدغام في المثلين عموما القول بعدم إفضاء الإدغام إلى ثقل آخر يتمثل غالبا في التقاء الساكنين والابتداء بالساكن، أو القول بعدم إفضائه ـ أي الإدغام ـ إلى اللبس، وهو قول تؤيده هنا النماذج السابقة التي حوفظ فيها على المثلين منفصلين، وكذلك عدم مجيء الفعل المضعف على بناء "فَعُل" وهو مبنى مختص بمعنى وضع له إلا لفظين لا تعد مع شيوع إتيان المضعف من "فَعَل وفَعِل" شيئا حتى أننا نستطيع أن نحكم بسهولة على كثير من أبواب المضعف "المفتوح والمكسور" على أن مجيئه كذلك مبنيٌ على ما يسمى بتداخل اللغات التي لا تعترف أحيانا بحركة واحدة لعين الفعل، كما أن هذا التوجيه يُرَجِّح عندما تلحظ فيما يلي من هذا الفصل تعدد الطرق التي خفف بها ثقل توالي المثلين.

---

(١) شرح الكافية الشافيه ٤/٢١٧٨.
(٢) معاني القرآن للأخفش الأوسط ٢/٥١٨.

ثانيا : إدغام المثلين من كلمتين :

إذا التقى المثلان من كلمتين منفصلتين ، فإن سكن الأول منهما ، فالإدغام لا محالة كما قال ابن يعيش [(١)] ، وهذا شرط المدغم سواء أريد أم لم يرد ، إذ لا حاجز بين المثلين ، نحو "لم يَرُح حَاتِم" و "لم أَقُل لَكَ" فالسكون هنا للجزم لا لغرض الإدغام ، فلما سكن ، ووافق وقوعَ المِثْلِ بعدَه حَصَلَ الإدغامُ .

أما إذا تحرك المثلان ، فإن الإدغام حينئذ جائز ، ويتفاوت حُسْنُ الإدغام والبيان بحسب كثرة المتحركات في الكلمتين ، فكلما قَلَّت المتحركات لم يحسن الإدغام ، ويزداد الادغام حُسْنًا مع تواليها قال سيبويه : "فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين أن تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعدا ، ألا ترى أن بنات الخمسة وما كانت عدته خمسة لا تتوالى حروفها متحركة ، استثقالا للمتحركات مع هذه العدة ، ولا بد من ساكن ، وقد تتوالى الأربعة متحركة في مثل "عُلَبِط" ، ولا يكون ذلك في غير المحذوف" [(٢)].

ويدلل سيبويه على ذلك بقوله "ومما يدلك على أن الإدغام فيما ذكرت لك أحسن أنه لا يتوالى في تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة ، وذلك نحو قولك "جَعَلَ لَكَ ، وفَعَلَ لَبِيد" [(٣)] ويَحْسُن الإدغام في المثلين من كلمتين إذا وقع بعد ثاني المثلين ساكن نحو يَـدَّاود ، لأن فيه اعتدالاً على رأي سيبويه .

---

(١) شرح المفصل ١٠/١٢١ .
(٢) سيبويه ٤/٤٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ٤/٤٣٧ .
(٤) المصدر نفسه ٤/٤٣٧ .

إذ يقع المثل الثاني بين ساكنين هما المثل الأول المدغم ، والساكن (الألف) بعدهما . ففي هذه الحالات يكون الإدغام أحسن من البيان ، وان كان البيان فيها حسناً ولغةً حجازيةً؟ ويحدث العكس فيفضل البيان الادغام ، وتتأخر مرتبة الإدغام في الحسن لا لذاته ، ولكن لوجود علة يكون الإدغام معها أقل حسنا . ويكون ذلك في الحالات التالية :

الأولى : أن يقع المثلان المنفصلان بعد حرف مد ، فحينئذ الأحسن البيان ، تقول " المال لَّك " و " هُمْ يَظْلِمُونِّي " و " هُما يَظْلِمَانِّي " والبيان في جميع هذا أحسن ، ومثله " دَار رَّاشِد ، وجَيْب بَّشِير ، وثَوب بَّكْر " والبيان أحسن لأن الإدغام يؤدي الى اجتماع ساكنين ، والذي أجازه هنا ــ كون الساكن الأول حرف مد كما أشار إلى ذلك ابن عصفور : " وإنما جاز الجمع بين ساكنين لما في الساكن الأول من اللين ، ولما في الحرف المشدد من التَشَبُّثِ بالحركة ، ولأن التقاء الساكنين فيها غيرُ لازمٍ إذ قد يزول بالإظهار ، والبيان هنا أحسن من البيان في " جَمَل لَّك " ، (١) ويعلل سيبويه لجواز الإدغام في هذا بقوله: " ومما يدلك على أن حرف المد بمنزلة متحركٍ ، أنهم إذا حذفوا في بعض القوافي لم يجز أن يكون ما قبل المحذوف إذا حذف الآخر إلا حرف مد ولين ، كأنه يعوض ذلك ، لأنه حرف مطول . (٢)

---

(١) الممتع في التصريف ٢/٦٥١ .
(٢) سيبويه ٤/٤٣٨ .

وهذا الذى أشار إليه سيبويه من أن أحرف المد بمنزلة المتحرك ، يدعونا إلى القول بعدم سكونه سكونا كما هو الحال في سكون الصوامت ، وعليه يردّ التفسير الذى يقول باجتماع ساكنين فيما جاء من ألفاظ من نحو " الصاخّة ـ الدابّة ـ الضالّ . . . " ونحوها مما يقع فيه المشدد بعد صائت طويل .

ويرى الدكتور داود عبده أن الألف في " قال وباع " ليست نتيجة قلب الواو أو الياء ألفا في اللتين تردان أصلا لهما إنما هما نتيجة سقوط الواو ، أو الياء وهما صوتان شبيهان بالعلة (الحركة) ومن ثم التقت حركتان هما حركتا فاء وعين الكلمة وشكلت صائتا طويلا " قـَـَ ل " ، (بـَـَع)[1] وهذا يعني أن هناك حركة بغير صامت تلتبس به فاجتمعت مع حركة الصامت السابق وكونت صائتا طويلا ، وعليه فإن ما قبل المشدد حركة وليس سكونا .

ولكن يرد هنا سؤال هو : ما الذى جعل القدماءَ تَعُدُّ الصوائتَ سواكن ؟ أعني أصواتا مشكولة أو ملتبسة بحركة ؟ .

أعتقد أن الجواب يتضح عندما نلاحظ النقاط التالية :

أ) لهذه الصوائت (الألف والواو والياء) موقعيات تقف بإزاء موقعيات تأتي فيها صوامت ساكنة منها :

قَـال بإزاء قَـلّ

قَاطَـع = قَطّـع

---

(١) دراسات في علم أصوات العربية ١٤٦ .

ب) أنها تأتي بدلا من صوامت ساكنة كالهمزة الساكنة،وكثير من الأمثال المجتمعة التي يتحول أحدها إلى صامت طويل ليس هو إلا حركة الصامت مزيدا عليها حركة أخرى من جنسها ، تؤدى وظيفة السكون .

جـ) إن الحركة الزائدة (في الصائت الطويل) يعتد بها سكونا في أوزان الشعر ، الأمر الذى يعني أنها توازى من حيث الكم المنطوق والمسموع كَمِّيَّة الساكن ، وهذا — أيضا — يعني أن الساكن مدغما أو غير مدغم له نفس الكمية ، وإن لم يكن له نفس الحركات العضوية عند إحداث هذه الأصوات ، إذن فالحركة والسكون يؤديان وظائف إيقاعية وعروضية يكونان فيها على قدم المساواة .

د) ثم إن أحرف المد السواكن في نظر القدماء تستعمل ضمائر للمثنى والجمع والمخاطبة وهي في هذه الحال معدودة من السواكن ، وإن كانت تقوم بوظائف اسمية الضمير ومعناه العددي .

هـ) وبالإضافة إلى ما سبق فإن حذف الحركة أو تسكين لام المضارع يعد دلالة على الجزم ، لكنه في المعتلات يكون بحذف حرف العلة،وهو في الحقيقة ليس إلا حذفا لإحدى الحركتين المكونتين للصائت الطويل (حرف العلة) في آخر الفعل .

نحو لم يخش فهي تتكون مقطعيا من ص ح ص — ثم ص ح ، الأصل أن يكون المقطع الأخير من نوع (ص ح ح) ثم حذفت

الحركة للجزم . معنى ذلك أن الحركة الثانية من حركتي الصائت الطويل في المعتل ليست في المستوى التجريدى إلا لامَ الفعل،ومن ثم قابلت في غير المعتل صامتا .(١)

الثانية : أن يقع المثلان المنفصلان بعد حرف ساكن ، وحينئذ يمتنع الإدغام ، قال سيبويه : " وإذا كان قبل الحرف المتحرك الذى بعده حرفٌ مثله سواءٌ ، حرفٌ ساكنٌ ،لم يجز أن يُسَكَّن ، ولكن إن شئت أخفيت ، وكان بزنته متحركا من قِبَل أن التضعيف لا يلزم في المنفصل كما يلزم في "مُدُقٍّ" ونحوه مما التضعيف فيه غير منفصل "(٢) وذلك قولك : ابنُ نُوح واسْمُ مُوسَى(٣)،ودليله على رأى سيبويه ثبات ألف الوصل ، لأنه لو أدغم لنقلت الحركة كما تنقل في " قِتَّلُوا ، وخِطَّفَ " وقد اشتهر عن أبي عمرو بن العلاء في قراءته بالإدغام الكبير في كلمتين ، إدغام المثلين المؤدي إلى التقاء الساكنين محتملا الثقل الناتج عن التقائهما في قوله تعالى : " الرُّعْب بِّما " (آل ـ عمران ١٥١) ، " وخُذِ العَفْو وَّأمُرْ بالمعروف" (الأعراف ١٩٩) ، و " عَنْ أَمر رَّبِّهم " (الذاريات ٤٤) ، و " ذِكْر رَّحْمَةِ رَبِّكَ " (مريم ٢) ، و (مِنْ خِزْيِ يَّوْمِئذٍ " (هود ٦٦) ، و " شَهْر رَّمَضَان " (البقرة ١٨٥)

وقد اختلف حول قراءة أبي عمرو على رأيين :

أحدهما : إن أبا عمرو أدغم في هذه الآيات ومثلها

---

(١) انظر دراسات في علم أصوات العربية ٣٩ .
(٢) سيبويه ٤/ ٤٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٨ .

كما تدغم في قولك " جَعَل لَّكَ " واحتجوا بأن أبا عمرو لم يكن ليقرأ إلا بما قرئ به ، لأن القراءة سنة متبعة ، وجعلوا غايةً في ذلك أنه لغةٌ قليلةٌ ، وذهب إليه أبو حيان ونقله السيوطي عنه[١] وعزاه ابن يعيش للقراء[٢] .

بل نجد ابن مجاهد في كتابه " السبعة " يؤكد على الإدغام لا على الإخفاء – كما سيأتي – إذ يقول : " وكان أبو عمرو إذا التقى الحرفان ، وهما من كلمتين على مثال واحد متحركين أسكن الأول وأدغمه في الثاني ، ولا يبالي أكان ما قبل الأول ساكنا أو متحركا ، بعد أن لا يكون من المضاعف مثل : " أُحِلَّ لَكُم " (البقرة ١٨٧) ، و" مَسَّ سَقَرَ " (القمر ٤٨) ، " وكُنَّ نِسَاءً " (النساء ١١) ولم يكن يدغم هذا الجنس لأن فيه إدغاما " .[٣]

والآخر : إن أبا عمرو في مثل هذا يختلس اختلاسا – يخفي كما يعبر عنه سيبويه –[٤] ، وقد قال ابن مجاهد في موضع آخر : " وكان – أي أبو عمرو – يُشِمُّ الحرفَ الأول إذا أدغم إعرابَه في الإظهار من الرفع والخفض في كل ما أدغم إلا الميم مع الميم ، والباء مع الباء ، والباء مع الميم ، والميم مع الباء ، ولا يُشِمّ في النصب " .[٥]

وقد ردّ أبو عليّ الفارسيّ هذا الوجهَ المرويّ عن أبي عمرو مع الإدغام ، حيث قال في الحجة :عن قوله تعالى " لا رَيْبَ

---

(١) همع الهوامع ٦/ ٢٨٤ .
(٢) شرح المفصل ١٠/ ١٢٣ .
(٣) السبعه ١١٦ ، ١١٧ .
(٤) سيبويه ٤/ ٤٣٨ .
(٥) السبعه ١٢٢ .

فيه هُدًى " (البقرة ٢) ، قال : " قال : أبو بكر في رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يُشِمُّ ويُدْغِمُ : هذا محالٌ لا يمكن الإدغام مع شيء من هذا ، وذلك أنه لا فصل بين الحرفين إذا أُدْغِما بحال من الأحوال ، لا بقطعٍ ولا حركةٍ ولا ضَرْبٍ من الضُّروب ، وإنما يصير كالحرف للزوم اللسان لموضع واحد ، وإنما كان أبو عمرو يختلس اختلاسا ويُخْفِي فيظنُّ به الإدغام ، وكيف يكون متحرك مدغماً ، فيجب أن يكون متحركا ساكنا ، قال : وقال أبو حاتم : أراد أبو عمرو ونافع الإخفاءَ فلذلك أَشَمَّا الضم والكسر ، ولو أدغما إدغاما صحيحا أسكنا الهاء الأولى ، قال : وكان من شأن أبي عمرو الإخفاء لكراهية الحركات والإشباع " (١) .

فهذا النص يؤيد اختلاس أبي عمرو لحركة المثل الأول أو إخفاءه لها ، والإشارة لها بالإشمام، ولذلك لم يُشِم حين أدغم الباء والميم ، في حالتي التماثل والتقارب ، لاشتغال الشفتين بموضع الإشمام .

والأرجح أنه يخفي ، وفي مثل هذا قال ابن يعيش : " وإنما هو عندنا على اختلاس الحركة وضعفها لا على إذهابها بالكليّة " (٢) .

الثالثة : أن يكون المثلان واوين أو يائين منفصلين (صائت واوي أو يائي ثم صامت واوي أو يائي) وحينئذ يكون الأول منهما حرفَ مد فيمتنع الإدغام حتى لا يذهبَ الإدغام بالمدِّ سواءٌ أكان في آخرٍ مزيدا

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع ١ / ١٢٣ .
(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٢٣ .

أم مبدلا من غيره نحو : يغزُو واقدٌ ، واضربي ياسراً ، قال سيبويه " وإذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة ، فإن واحدةً منهما لا تدغم إذا كان مثلها بعدها ، وذلك قولك : ظَلَمُوا واقدًا ، وأظلِمي ياسرًا ، ويغزُو واقدٌ ، وهذا قاضي ياسرٍ ، لا تدغم ، وإنّما تركوا المد على حاله في الانفصال كما قالوا " قد قُوول " حيث لم تلزم الواو ، وأرادوا أن تكون على زنة " قاوَل " فكذلك هذه ، إذ لم تكن الواو لازمةً لهما أرادوا أن يكون " ظَلَمُوا " على زنة " ظلما واقداً وقَضَى ياسرًا " ولم تقو هذه الواو عليها كما لم يقو المنفصلان على أن تُحَرَّكَ السينُ في " اسمُ موسَى " .(١)

وألمس في قول سيبويه هذا تأييدا لما ذهبت اليه آنفا من أن السكون والصوامت الطويلة ، إنما العلاقة بينهما علاقة وظيفية لا بد من المحافظة عليها ، وخصوصا فيما يؤديانه ، — أي الحركة الزائدة المطيلة للصائت والسكون — من حيث الإيقاع الصوتي للغة ، ولذلك كان سيبويه يشير في النص إلى الزنة بين موضعي الصوائت الطويلة .

الرابعة : يمتنع إدغام المثلين إذا كانا همزتين منفصلتين نحو:" قَرَأَ أَبُوك " و " أَقْرِئْ أَبَاكَ " لأنهما لا تحققان على الأرجح بل لهما طرق أخرى يخفف بها ثِقَلُ اجتماعهما .

قال سيبويه:" لأنك لا يجوز لك أن تقول:" قرأَ أَبُوك " فتحققهما فتصير كأنك إنما أدغمت ما يجوز فيه البيان ، لأن المنفصلين

---

(١) سيبويه ٤/٤٤٢ .

يجوز فيهما البيان أبدا ، فلا يجريان مجرى ذلك "(١) حتى لو كان أول الحرفين ساكنا (٢)

إدغـــام المتقاربـــين :

الإدغام في المتقاربين على التشبيه بالأمثال ـ كما قال ابن يعيـش (٣) ـ فكلما كانا أشد تقاربا كان الإدغام فيهما أكثر ، وكذا كلما بَعُدَ أو قَلَّ التقارب قل الإدغام ، فإذا التقى المتقاربان حصل الإدغام ، بعد قلب أولهما صوتـــا كالثاني ، فيصيران صوتا واحدا .

وإنما فصل حديث المتقاربين عن نظيره في المثلين ، لعدم حصول ذلك الثقل الذى يحدثه التقاء المثلين ، إذ مهما بلغت شدة التقارب ، فهنـــاك تخالف واقع بينهما ، هو الذى يجيز الفك .

والذى يحكم حسن الإدغام أو حسن البيان في المتقاربين ، ورود همـا معا في كلمة واحدة أو منفصلين ، فمثل الأول يَحْسُن الإدغام فيه إن كـان الأول منهما ساكنا كما تقول : "وَدٌّ وَعَدٌّ في وَتْـدٍ وَعَتْدٍ " الساكني الوسط تخفيفا ، وهذا وإن قل في الكلام اطراده في مثل هذا ، لمنع الإلباس بـ" وَتِدٍ وعَتِدٍ " مضعفـــا إلا أنه أحسن في نحو امّحـــىٰ وهمَّـــرِش (٤) ، حين أمن اللبس ، فالإدغام في الكلمة أحسن منه في غيرها ولنفس السبب ـ امتنع من الإدغام في المتقاربين ، فـــي الكلمة الواحدة ما حَقُّه أن يكون مدغما كالنون الساكنة التي تليها ، واو أو ياء أو غيرها مما تدغم فيه ؛ ذلك أنه يؤدى إلى أن يلتبس بالمضعف ، فالنون الساكنة في نحو "كُنْيَةٍ ، وشَاةٍ زَنْمَاءَ " وصِنْوانٍ ونحوها . رغم سكون الأول من المتقاربين لا لأجل الإدغام بل أصلا في البناء ، إلا أنه امتنع الادغام منعا للبس فلا يقـال

---

(١) سيبويه ٤٤٣/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٤٤٢/٤ ، وهمع الهوامع ٣٨١/٦ .

(٣) شرح المفصل ١٣٢/١٠ .

(٤) المصدر نفسه ١٣٢/١٠ ، وقال سيبويه : " وأما اصَّبَرُوا واظَّلَمُوا ويَخِصِّمونَ ومُضَّجِعٌ وأشباه هذا فقد علموا أن هذا البناء لا تضاعف فيه الصاد والضـاد والطاء فهذه الأشباه ليس فيها التباس" سيبويه ٤٧٤/٤ .

كَيَّـةً وشاةً زَنَّـاءُ وصَوَّانٌ . . . (١)

ولقد كان مدار قواعد النحاة وتوجيهاتهم للإدغام في المتقاربات على الأمور الآتيـة :

الأول : مخـرج الصـوت .

الثاني : صفـة الصـوت .

الثالث : كثرة الاستعمـال .

يستوى في ذلك القدماء والمحدثون وإن اختلفت وجهة نظر كل منهم حول كل أمر من الأمور السابقة مما سيأتي بيانه لاحقا .

فمخرج الصوت يحدد الجواز والامتناع في إدغام المتقاربين ، فأصوات الحلق مثلا يمتنع إدغام غيرها فيها ، ويدغم بعضها في بعض بشرط ألا يدغم الأقرب إلى الفم في الأقرب إلى الحلق والعكس جائز ، وعلة ذلك كما يقول النحاة أن الادغام أصل في حروف الفم واللسان كما يذكره سيبويه والمبرد (٢)، كما أنه اذا تباعدت المخارج وفي الصفة شيء من التقارب لا تدغم ، ويكون البيان في هذه الحال أحسن ، قال سيبويه : " فالإظهار في الحروف التي من مخرج واحد وليست بأمثال سواء أحسن ، لأنها قد اختلفت وهو في المختلفة المخارج أحسن لأنها أشد تباعدا ، وكذلك الإظهار كلما تباعدت المخارج ازداد حسنا " (٣).

وصفة الصوت لها أثرها في تحقق الإدغام ، فأصوات الصفير مثلا لا تدغم ويدغم فيها وعلـة ذلك امتيازها عن بقية الأصوات بصفة الصفير ، وكذلك الـراء جعلها التكرير ، مما لا تدغم ويدغم فيها ..

وأما كثرة الاستعمال أو شيوع الصوت (٤) فهو عامل مهم ، للإدغام في

---

(١) شرح المفصل ١٠ / ١٣٢ .
(٢) سيبويه ٤ / ٤٤٨ ، والمقتضب ١ / ٢٠٧ .
(٣) سيبويه ٤ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ .
(٤) انظر في أثر شيوع الأصوات وتغيرها ــ الأصوات اللغوية ــ (أنيـس) ٢٢٧ ، إذ يقول : " الصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام كان =

المتقاربين ،إذ الأصل في المتقاربين الاختلاف ، ولكن التشابه فيهما من جهة وكثرة الاستعمال من جهة أخرى ، أوجبا ادغام المتقاربين في بعض الحالات كما هو الحال في "لام" المعرفة حيث تدغم وجوبا في ثلاثة عشر حرفا مقاربا لها ، ومثلها النون التي تؤدي دورين في اللغة باعتبارها حرفا* وباعتبارها وحدة صوتية صرفية* ذات وظائف متعددة . ولذلك تجد علل النحاة وقواعدهم في تفسير ما يدغم من المتقاربات تدور حول الثلاثة الأمور السابقة من نحو :

١) القرب من الحلق يمنع الإدغام أو يزيد البيان حسنا .

٢) الدنو من حروف الفم يزيد الإدغام حسنا "الخاء مع الغين" والقاف مع الكاف" .

٣) الحرف الذي له فضل صفة على سائر مجموعته أو سائر الحروف لا يدغم فيها ، وقد تدغم هي فيه .

٤) إذا تساوى الصوتان في المزية والصفة ، تساوى حسن الإدغام والبيان .

٥) إذا تباعدت مخارج الحروف ازداد البيان حسنا .

٦) الإدغام ليس أصلا في حروف الحلق "انظر رقم (١) " .

٧) الإدغام أصل في حروف الفم واللسان "انظر رقم (٢) " .

٨) حروف التفشي والاستطالة تقترب من مخارج أصوات أخرى ، كاللام والضاد والسين ...

= عرضه لظواهر لغوية نسميها حينا إبدالا ، وحينا آخر إدغاما، وقد تتعرض للسقوط من الكلام . ويلحظ هنا أن نسبة شيوع الراء واللام مثلا تأتي في المراتب الأولى في جدول الشيوع للجذور الثلاثية ، ومع ذلك جاء إدغام اللام كثيرا ولم يقع ذلك في الراء ، ولعل الشيوع له علاقة بسهولة الصوت في ذاته ، وبقوة اسماعه إذ اللام والراء من الأصوات المائعة الأكثر وضوحا سمعيا بعد الصوائت ولشبهها بها في الوضوح السمعي سميت "مائعة" جذور الصحاح ٥٩ والأصوات اللغوية (أنيس) ٦٣ .

* phoneme

* Morphophneme

ويلحظ منها أن كثرة الاستعمال أو شيوع الصوت لا يعتد بها إلا إذا حصّل التقارب في المخرج والصفة وكأنما هو تعليل مساعد أو مرجح للإدغام .

ويرى المحدثون من علماء اللغة تفسير ظاهرة الإدغام في المتقاربين من الأصوات في ضوء قانون مجاورة الأصوات ، وقانون قوة الصوت (١) ، فينسبون إلى الصوت تأثيرا وقوة لا يتعلقان بمخرجه بقدر ما يتعلقان بصفته فيجعلون :

للشدة أو الانفجار تأثيرا وقوة في مقابل الرخاوة أو الاحتكاك .

وللجهر في مقابل الهمس .

وللتفخيم في مقابل الترقيق .

وقانونا المجاورة والقوة هنا يلغيان دور المخرج الذى به كان إدغام المتقاربات أو عدم إمكان ادغامها .

ومع تسليمنا بتأثر الأصوات المتجاورة في النسق الصوتي الواحد خاضعة فيها الأصوات الضعيفة للأصوات القوية ، إلا أنه لا يمكن أن يكون ذلك هو التفسير الأوحد لحالات الإدغام في المتقاربات إلا في حالات قليلة نأخذ فيها بتفسير التأثر فقط .

ذلك أن الإدغام يتأثر سلبا أو إيجابا بالمخرج والصفة للصوتين المتجاورين وللصوت الأول منهما على وجه الخصوص ، إذ هو بمخرجه أو صفته يخضع أَوْلا يخضع للإدغام في الصوت الثاني ، على حين قد يخضع الثاني منهما للتأثر بالصوت الأول ومن ثم يدغم فيه الأول على أنهما مثلان ، ولتحقق إدغام المتقاربين فإنه لا بد من إجراء آخر قبل الإدغام . وهو تحويل الصوت " الأول " إلى مثل " الثاني " ومن ثم إدغامه .

وهذا الأمر يوضح لنا السبب الذى من أجله أدغم المتقاربان من حيث

---

(١) دراسة الصوت اللغوى ٣١٩ ويعرف القانون باسم " قانون جرامونت " وجرامونت هو الذى صاغ هذا القانون .

شبههما بالمثلين أو الأمثال أى باتفاق موطن الثقل في نوعي الإدغام .

ولنفس الأسباب التي أدت الى امتناع المثلين من حيث افضاءها إلى ثقل آخر ، أو إلى اللبس فإنها أيضا تنسحب معنا هنا فتؤدى إلى امتناع إدغام المتقاربين وفي ذلك يقول سيبويه : " والحروف المتقاربة مخارجها إذا أدغمت فإن حالها حال الحرفين اللذين هما سواء في حسن الإدغام ، وفيما يزداد البيان فيه حسنا ، وفيما لا يجوز فيه إلا الإخفاء وحده ، وفيما يجوز فيه الإخفاء ، والإسكان " .(١)

وسنورد فيما يلي حديث إدغام المتقاربين مرتبين أصوات العربية هجائيا لترى ما يدغم منها وما لا يدغم ، وما يدغم ولا يدغم فيه، وما يدغم فيه ولا يدغم.

الهمـــزة :

الهمزة صوت حنجرى شديد (انفجارى) مجهور (٢) ، ولست أتفق مع الدكتور كمال بشر في وصفها " أنها صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور"(٣) إذ يحسن بها أن تكون مجهورة ذلك أنه توفر " نظريا " في خروج هوائها إعاقة للهواء في منطقة الوترين الصوتيين مما يعني تذبذبها ، وذلك لا يتنافى قياسا على أن مخرج الصوت وصفته كلها في منطقة واحدة كما هو الحال في الأصوات (خ غ ق) التي تسمى عند القدماء " مستعليه " وهي مطبقة تماما كأصوات (ط ظ ص ض) إلا أن صفة إطباقها حدثت في مخرجها نفسه لأن اللسان يعمل مؤخره لإخراجها فتشكلت حجره الرنين التي يتم بها الإطباق ، ولعل هذا ما جعل القدماء يفرقون بين الإطباق والاستعلاء رغم أنهما صوتيا صفة واحدة إلا أن الإطباق يحدث بحركة عضوية إضافية تجعل الإطباق يصاحب الصوت.

---

(١) سيبويه ٤/٤٤٥ . (٢) سيبويه ٤/٤٣٤، سر الصناعة ١/٦٩

(٣) انظر في وصف الهمزة علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢ ، ويرى الدكتور تمام أن الهمزة صوت مهموس (مناهج البحث في اللغة) ١٢٥ .

والهمزة لا تدغم ولا يدغم فيها ، وقد مر بنا في المثلين أنها لا تدغم إلا في حال واحدة ، ذلك إذا وقعت عينا مضعفة ، كما هو الحال في " سآل ورآس " ويشير سيبويه إلى أن المانع من إدغامها ، إنما هو كونها لا تخفف إلا بالتغيير والحذف بقوله : " ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم في مثله ، وذلك الحرف الهمزة لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف وذلك لازم لها وحدها كما يلزمها التحقيق ، لأنها تُسْتَثْقَل وحدها ، فإذا جاءت مع مثلها أو مع ما قَرُبَ منها أجريت عليه وحدها ، لأن ذلك موضع استثقال كما أن هذا موضع استثقال " .(1)

إلا أننا هنا يجب أن نشير إلى حالات قلبت فيها الهمزة الثانية من الهمزتين المجتمعتين أول الكلمة الى صوت كالذى يليها ومن ثم أدغم في الذى قلبت الهمزة إلى مثله وذلك : مثل إتَّخَذَ ، واتَّمَرَ ، واتَّزَرَ ، إذ الأصل ← إأْتَخَذَ ، وإأْتَزَرَ ، وإأْتَمَرَ " . فقلبت الهمزة تاء ثم أدغمت في التاء ، وأوافق الباحثين(2) الذين يذهبون إلى أنه لا علاقة صوتية بين الهمزة وما قلبت إليه ، وهو القول الذى يأخذ بالعلاقة الصوتية بين المدغم من المتقاربات وفي نفس الوقت فإن الهمزة هنا لا تقلب مباشرة إلى التاء بل تمر بمرحلة تنقلب فيها الهمزة إلى صامت من جنس حركة ما قبلها أي أنها في الأمثلة " اِتَّخَذَ ، واتَّكَلَ واتَّمَرَ " تقلب فيها إلى (ياء) ومن ثم تقلب تاء ، كما تقول في افتعل من وَزَنَ ووَعَدَ = اتَّعَدَ واتَّزَنَ ، إذن فما العلاقة بين الواو والياء وبين التاء ؟

يرى ابن جنى أن العلاقة قرب في المخرج فيقول " وكانت التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة ، فأبدلوها تاء ،

---

(1) سيبويه ٤٤٦/٤ .
(2) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٧٦ .

وأدغموها في لفظ ما بعدها وهو التاء فقالوا : إتَّعَدَ واتَّزَنَ ، وقد فعلوا هذا أيضا في الياء ، وأجروها مجرى الواو فقالوا في افتعل من اليُسْر واليُسْر : اتَّبَسَ واتَّسَرَ . . "(١)

والحقيقة أن ما ذهب اليه ابن جنى من علاقة القرب المخرجية ليس صائبا،إذ ليس للشفةفي إخراج الواو والياء إلا علاقة تشكيلية كنوع من التمايز في حجرة الرنين التي يتشكل فيها الصوت ، أما مخرج الواو فهو أقصى الحنك والياء من وسطه .(٢)

إلا أن ابن جنى يذكر توجيها سليما لانقلاب الواو والياء إلى التاء ذلك قوله " والعلة في قلب هذه الواو في هذا الموضع تاء أنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقول : إيْتَزَنَ وإيْتَعَدَ ، وإيْتَلَجَ فإذا إنْضَم ما قبلها رُدَّتْ إلى الواو فقالوا : مُوتَعِد ، ومُوتَزِن ، ومُوتَلِج ، وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفا ، فقالوا : يَاتَعِد ، ويَاتَزِن ويَاتَلِج ، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاءً صائرين من قلبها مرة ياءً ومرة ألفا ومرة واواً ، إلى ما أريناه ، أرادوا أن يقلبوها حرفا جَلْدًا تتغير أحوال ما قبلَهُ وهو باقٍ بحاله ."(٣)

فعلى هذا أيضا توجه الهمزة ، أما لو تساءلنا لم قلبت إلى التاء بالذات ولم تقلب إلى أي صوت صامت (جلد) آخر ؟ فلأجل الإدغام كان القلب إلى التاء وهو أمر لا يتحقق بغيرها ولهذا كان ابن جنى يرى اطراد قلب الواو والياء (الهمزة) في صيغة افتعل وما تصرف منه(٤) وتحمل الإبدالات غير القياسية في شل تجاه من الوجه ، وتراث من الإرث ، على هذا من حيث

---

(١) سر صناعة الإعراب ١٤٨/١ (طبعة دمشق) .

(٢) علم اللغة العام (الأصوات) /١٣٣ . ويتفق القدماء والمحدثون على مخرج الياء .

(٣) سر صناعة الإعراب ١٤٧/١ ، ١٤٨ وانظر سيبويه ٣٣٤/٤ حيث يصف الواو والياء في هذا الموقع بالضَعْف .

(٤) سر صناعة الإعراب ١٤٧/١ .

توهم أصالة التاء لاطرادها في الصيغة السابقة "افتعل" وما تصرف منها .

وعلى توهم أصالة التاء جاءت فاء "أخذ" مرة بالهمزة ومرة بالتاء،

فيقال : اتَّخَذَ وتَخِذَ يَتَّخِذُ ويَتْخَذُ ، فالزمت التاء الحرف كأنها أصلية

وعليه قراءة من قرأ "لتَخِذْتَ" (الكهف ٧٧) مخففا .[1]

الباء :
=======

صوت شفوي شديد مجهور ،[2] له من مخرجه مقاربان يدغم فيهما هما الفاء والميم وذلك قولك في : اصْحَبْ مَطَرا ، واذْهَبْ فَي ـــ اصْحَمَّطَرا واذْهَفّي بالإدغام . وقُرئ في قوله تعالى "يا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنا" (هود ٤٢) و "إنْ تَعْجَب فَّعَجَبٌ" (الرعد ٥) بالإدغام .[3] ولا يحدث العكس ، فلا يدغم فيها ما أدغمت فيه فلا يقال : اكْرِمَّكْراً في اكْرِمْ بَكْرا ، وعلة ذلك صفة الغنة في الميم ، لأنه لو أدغمت لما جاز أن تدغم إلا بغير غنه ، لأنها إن أُدْغِمَت بالغنة لكانت ميما إذ يكفي لإخراجها إخراج الغنة وغلق الشفتين ، ولذلك كان إقلاب النون الساكنة ميما عند الباء ، فمُنع إدغام الميم في الباء لهذا .

ورُويَ أن أبا عمرو كان يدغم الميم في الباء إذا تحرك ما قبل الميم ، نحو "مَرْيَم بُّهْتَاناً" (النساء ١٥٦) و "لِكَيْلا يَعْلَم بَّعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً" (النحل ٧٠) "وأَلَيْسَ اللّهُ بأَعْلَم بّالشَّاكِرين" (الأنعام ٥٣) ، وهو عند النحاة على الإخفاء والاختلاس ، لا على الإدغام[4] ، والملاحظ عمليا عند إسكان الميم أنه عند إخراجها بغنتها تعمل الشفتان عملا واحدا في الميم والباء ، فلعل قراءة أبي عمرو هذه من هذا القبيل خصوصا وأنه يروى عنه كثيرا الإسكان في أواخر الكلم .

---

(١) اللسان مادة (أخذ) ص ٤٧٥ ، والقراءة لابن كثير وأبي عمرو انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٧٠ .

(٢) انظر سيبويه ٤ / ٤٣٤ ، ومناهج البحث في اللغة ٩١ ، وعلم اللغة العام(الأصوات)١٠١ .

(٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤) التبصرة والتذكرة ١ / ٦٦١ .

ولا تدغم الفاء في الباء فلا يقال : اعْرِف بَّكْرا ، لبعد الباء في المخرج عن حروف الفم والأقرب إلى الفم لا يدغم في الأ بْعَدِ هذا قول سيبويه (١) وفي شرح المفصل امتنع إدغامها في الباء لما في الفاء من التأفيف (٢) ويسميه بعضهم التفشي (٣) . فالعلة المانعة عند النحاة كما ترى تأخذ بالقيمة الخلافية للصوت من حيث مخرجه وصفته . وقد قرأ الكسائي بإدغام الفاء في الباء في قوله تعالى (٤) " نَخْسِف بِّهِمُ الأَرْضَ " (سبأ ٩) .

التـــــــاء :

صوت أسناني لثوى شديد مهموس ، من الأصوات التي لم يختلف مخرجها ولا صفتها عند القدماء والمحدثين (٥) . وتدغم التاء في أحد عشر حرفا من مخرجها وما جاور مخرجها أو اتصل به بتفشٍ أو استطالة وهذه الأحد عشر هي : الطاء والدال ،والظاء والثاء والذال ، والسين والصاد والزاى ،والشين والجيم والضاد، وذلك لحصول صفة القرب المخرجية ، لأن التاء من حروف الفم وحروف الفم متقاربة من جهة كون أكثرها على طرف اللسان وما يقابله من اللثة والأسنان ، أو متصل بها لتفشيه واستطالته (٦) .

- فالتاء مع الطاء نحو : انْعَتْ طَالِباً ـــ انعَطَّالِباً ، وقوله تعالى " قَالَت طَّائِفَةٌ " (آل عمران ٧٢) .
- والتاء مع الدال نحو : انْعَتْ دُلاماً ـــ انْعَدُّلاماً ، وكل فعل لامه دال أُسند إلى تاء الفاعل كقَعَدْتُ وقوله تعالى " فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا "

---

(١) سيبويه ٤ / ٤٤٨ .
(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٣٤ .
(٣) الإيضاح في شرح المفصل ٢ / ٤٩٥ .
(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ١٥٦ .
(٥) انظر سيبويه ٤ / ٤٣٣ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) / ١٠١ .
(٦) انظر حديث سيبويه عن إدغام التاء في الضاد والشين في ٤ / ٤٦٥ ، ٤٦٦ ولم يذكر ادغامها في الجيم وقرأ به أبو عمرو انظر السبعة ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

(الأعراف ١٨٩) .

- والتاء مع الظاء نحو : انعَتْ ظَالِمًا ← انْعَظَّالِمًا ، وقرأ أبو عمرو بالإدغام في قوله تعالى " كَانَتْ ظَّالِمَةً " (الأنبياء ١١) .

- والتاء مع الذال نحو : قالَتْ ذَلِكَ ← قالَذَّلك ، وقرأ أبو عمرو "والذاريات ذَّرْوًا " (الذاريات ١) بالإدغام .

- والتاء مع الثاء نحو : انْعَتْ ثَابِتًا ← انْعَثَّابِتًا وقرأ أبو عمرو مُدْغماً قوله تعالى " بِمَا رَحُبَت ثُّمَّ " (التوبة ٢٥) .

- والتاء مع السين نحو : ذَهَبَتْ سَلْمَى ← ذَهَبَسَّلْمَى ، ويَسَّمَعُ وأصلها يَتَسَمَعُ ، وقرأ أبو عمرو مدغما قوله تعالى " أَنبَتَتْ سَبْعَ سَّنابِلَ " (البقرة ٢٦١) .

- والتاء مع الصاد نحو : انْعَتْ صَابِراً ← انْعَصَّابِراً ، وقرأ أبو عمرو " حَصِرَت صُّدُورُهُم " (النساء ٩٠) بالإدغام .

وأورد سيبويه على هذا قول الشاعر " ابن مُقْبِل "(١) :

فَكَأَنَّمَا اغْتَبَقَصَّبِيرَ غَمَامَةٍ ... بِمَرًا تُصَفِّقُهُ الرِيَاحُ زُلالا

- والتاء مع الزاى نحو : ذَهَبَتْ زُبيدة ← ذَهَبَزُّبيدة ، وقرأ أبو عمرو في قوله تعالى " كُلَّمَا خَبَت زِّدْنَاهُم " (الإسراء ٩٧) .

- والتاء مع الشين نحو : انْعَتْ شَيْئًا ← انْعَشَّيْئًا ، وقرأ أبو عمرو " أَرْبَعَةَ شُّهَدَاءَ " (النور ٤ ، ١٣) بالإدغام .

- والتاء مع الضاد نحو : انْعَتْ ضَرَمَة ← انْعَضَّرَمَة ، قرأ أبو عمرو " والعادِيَاتِ ضَّبْحًا " (العاديات ١) بالادغام .

ويورد سيبويه هذا الشاهد على إدغام التاء في الضاد :

---

(١) سيبويه ٤ / ٤٦٣ . وانظر القراءات الواردة في إدغام التاء في السبعة ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

(ثَــارَ فضَجَّضَجَّةً رَكَائِبـهُ) (١)

ـ والتاء مع الجيم : أدغمها أبو عمرو في قوله تعالى " نَضِجَّت جلودُ هُــم" (النساء ٥٦) ، وقوله "عَمِلُوا الصَّالِحَات جُّنَاح " (المائدة ٩٣) (٢)

ولم يذكر سيبويه إدغامها في الجيــم .

ويتردد الإدغام والبيان بين الحسن والقبح (٣) لاعتبار المخرج ، فيكون الإدغام حسنا بين الأصوات من نفس المخرج (د ــ ط) ويقل الحسن فــــي (ظ . ذ . ث) ، وكذلك مع الأصوات الصفيرية . . وهكذا .

ونسجل هنا ملاحظة مفادها أن جميع الأمثلة التي استشهد بها هنــا كانت التاء فيها تتراوح في أمثلة سيبويه بين التاء الأصلية وتاء التأنيث ، بينمــا الوارد منها في القراءات كانت التاء فيه للتأنيث في الفعل أو الاسم مفـــردا أو جمعا ، كما في قوله " قالَتْ طَّائِفَةٌ " (آل عمران ٧٢) ، و" أَرْبَعَةِ شُّـــهَداء" (النور ٤)و" الصالِحات جُّناح " (المائدة ٩٣) ، ويستنتج من هذا فــي الإدغـــام أن هذه التاء ذات الوظيفة الصرفية في إفادة معنى التأنيث تكثــر في الاستعمال وهي ذات موقعية متأخرة مما ساعد على إدغامها فيما بعدها .

كما يمكن أن يلحظ في نماذج سيبويه أنه أراد أن يطلق إدغام التـــاء فيما أدغمت فيه سواء كانت أصلية أو زائدة للتأنيث .

الثــــــــــاء :

صوت بين أسناني رخو مهموس تدغم فيما أدغمت فيه التاء ــ إلا الجيم ـ لذات السبب الذى أدغمت من أجله التاء :

ـ فتدغم في الذال نحو : ابْعَثْ ذَلِك ← ابْعَذّلِك ، وقُرِئ " يلْهَث

---

(١) سيبويه ٤/٤٦٥ .

(٢) السبعة ١١٩/١٢١ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/١٥٨ .

ذَلِكَ " (الأعراف ١٧٦) بالإدغام .

- وفي الظاء نحو : ابْعَثْ ظَالِما ← ابْعَظَّالِماً .
- وفي الطاء نحو : ابْعَثْ طَالِباً ← ابْعَطَّالِباً .
- وفي التاء : ابْعَثْ تِلْكَ ← ابْعَتِّلْكَ وقرئ " لَبِثْتُم " (الإسراء ٥٢) بالإدغام .
- وفي الدال : ابْعَثْ دُلاما ← ابْعَدُّلاماً .

ويرى سيبويه أن هذه الأصوات ـ د . ط . ت . ذ . ظ . ث ـ لا يمتنع بعضها عن بعض وذلك لأنهن متقاربات في المخرج وليس بينهن الا ما بين طرف الثنايا وأصولها .(١)

وتدغم الثاء في حروف الصفير :

- ففي السين نحو : ابْعَثْ سَلْمَى ← ابْعَسَّلْمَى ، وقرئ " وَوَرِثَ سُلَيْمانُ " (النمل ١٦) بالإدغام .
- وفي الصاد نحو : ابْعَثْ صَابِرا ← ابْعَصَّابِرا .
- وفي الزاي نحو : ابْعَثْ زَيْدًا ← ابْعَزَّيْداً .
- وتدغم في الضاد لمخالطتها لأحرف الثنايا وطرف اللسان نحو : ابْعَثْ ضَرَمَةَ ← ابْعَضَّرَمَةَ(٢) ، وقرئ بالإدغام " حَدِيثُ ضَيْفِ " (الذاريات ٢٤).
- وتدغم في الشين لتفشيها واستطالتها حتى اتصلت بحروف طرف اللسان والثنايا وذلك نحو :

ابْعَثْ شَنَبَاء ـــ ابْعَشَّنْبَاء ، وقرئ " ثَلاثِ شُعَبٍ " (المرسلات ٣٠) بالإدغام ، ولم يدغم أبو عمرو الثاء إلا في أحرف هي : الذال والسين والشين والضاد والتاء .(٤)

---

(١) سيبويه : ٤/٤٦٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٤/٤٦٥ ، وانظر التبصرة والتذكرة : ٢/٩٤٥ .
(٣) التيسير ٢٦ .
(٤) التيسير ٢٦ .

الجيـــــــم :

صوت شديد رخو(مركب) غـــارى مجهور ، تدغم في الشين نحـــو : أبْعَجْ شَبَثًا ـــ ابْعَشَّبَثًا ، والإدغام والبيان حسنان لأنهما من مخرج واحـد وهما من حروف وسط اللسان . (١)

وتدغم في التاء على قراءة أبي عمرو حيث قرأ " من الله ذي المعـــارج ، تّعْرُجُ الملائكةُ " (المعارج ٣ ـ ٤) . (٢)

الحـــــــاء :

صوت حلقي رخو مهموس ، لا تدغم في شيء من حروف الحلق ،لأن مـا كان أقرب إلى الفم كان أقوى على الإدغام (٣) ثم إن حروف الحلق ليست أصــلا للإدغـــام . (٤)

فإذا سبقت الحاء العين نحو " امْدَحْ عَرَفَة " صح أن تحول العين حاء وتدغم الحاءين ، وقُرِئ " فَمَنْ زُحْزِح عَّن النَّار " (آل عمران ١٨٥) أدغم أبو (٥) عمرو الحاء في العين وقرأ عينا مشددة .

ويرى سيبويه بأن خلاصة حديث الإدغام في حروف الحلق أن الأقــــرب إلى الفم لا يدغم في الأبعد مع صحة العكس ، ويمكن أن نشير اليه بالرسم التالي :

يصح الإدغام
إلى الفم ←
هـ ـ ع ـ ح ـ غ ـ خ
يمتنع الإدغام

فكل من المجموعتين (ع ـ ح) ، (غ ـ خ) يصح إدغام أحــــــد صوتيها في الآخر . إلا أن سيبويه استثنى إدغام الحاء في العين فلم يجـزه إلا

---

(١) سيبويه : ٤٥٢/٤ .
(٢) النشر في القراءات العشر ٣٩٢/١ (محمد سالم محيسن) .
(٣) في سيبويه : ٤٤٩/٤
(٤) في سيبويه : ٤٤٤/٤ .
(٥) اتحاف فضلاء البشر ١٨٣ .

أن تحول العين إلى الحاء كما مرّ سابقا . وذكر إدغام العين في الحاء لا تحاد المخرج ، ولم يعلل لمنع إدغام الحاء في العين ، إلا أنهم يَفِرُّون إلى الحاء إذا وقعت الهاء مع العين ،(١) في نحو قول بني تميم :« مَحُّم »(٢) يريدون: معهم » .. " وكذلك لو سبقت الهاء نحو " اجْبَهْ عَّنَبَةَ " تدغم اذا حولتهما حائين .

ولست أرى مجيء الحاء بديلا للهاء والعين سببا وجيها يمنع إدغامها في العين ، إذ الفرار إلى نسقٍ صوتيٍ يعني إهمال غيره منعا للإلباس .

وذكر المبرد إدغام الحاء في الغين نحو : امْدَحْ غَالِبًا = امْدَغَّالِبًا وفي الخاء نحو : امْدَحْ خَلَفًا ـ امدخْ خَّلَفًا وهو الأقيس .

الخـــــاء :
==========

صوت لهوى (حلقي عند القدماء) رخو مهموس . يدغم في الغين في نحو " اسْلَخْ غَنَمَك " والبيان أحسن لعدم أصالة الإدغام في حروف الحلق ولما بين الصوتين من اختلاف في الجهر والهمس ، ويرى سيبويه أنه " جاز فيها الإدغام لأنها من المخرج الثالث(٣) وهو أدنى مخارج الحلق إلى الفم وعلى دنو مخرجها من الفم وجه سيبويه إخفاء النون عند الخاء والغين في نحو: " مُنْخُل ومُنْغُل " في لغةٍ بعض العرب .(٤)

الـــدال :
==========

صوت أسناني لثوي شديد مجهور ، يدغم في أحد عشر صوتا هي " التاء والطاء والظاء والثاء والذال وأصوات الصفير والشين والجيم والضاد ".

---

(١) سيبويه : ٤/٤٥١ .
(٢) المصدر نفسه : ٤/٤٥٠ .
(٣) المصدر نفسه : ٤/٤٥١ .
(٤) المصدر نفسه : ٤/٤٥١ .

- فالدال مع التاء نحو انقُدْ تِلك = انقُتِّلك ومثله قَعَدْتُ ومَدَدْتُ وقرأ الجمهور قوله تعالى " قد تَّبيَّن " (البقرة ٢٥٦) بالإدغام ، والفك ثقيل لأنهما شديدان .
- والدال مع الطاء ، نحو : انْقُدْ طَالِباً = انْقُطَّالِباً .
- والدال مع الظاء ، نحو : أُرْدُدْ ظَالمًا = أُرْدُ ظَّالما ، وقـــرى " لَقَد ظَّلَمَك " (ص ٢٤) بالإدغام .
- والدال مع الذال ، نحو : انْقُدْ ذَلك = انقُذَّلك ، وقرى (لَقَـــد ذَّرأْنا " (الأعراف ١٧٩) بالإدغام .
- والدال مع الثاء ، نحو : انْقُدْ ثَابتاً = انْقُثَّابتاً ،وقرى " يُرِد ثَّواب " (آل عمران ١٤٥) بالإدغام .
- والدال مع أصوات الصفير ، في السين نحو " قدْ سَمِعتْ = قَسَّمِعَتْ ، وقرى " قَد سَّمِعَ " (المجادلة ١) . وقوله تعالى " يكاد سَّنا برقِـــه " (النور ٤٣) بالإدغام .
- وفي الصاد نحو : انْقُدْ صَابِرا = انْقُصَّابِرا ، وقُرِى " ولَقَد صَّرَّفْنَـــاه " (الفرقان ٥٠) مدغما ، وقوله تعالى " في المَهْد صَّبيا " (مريم ٢٩) كذلك .
- وفي الزاى نحو " انقُدْ زَيداً = انْقُزَّيداً ، وقُرِى " ولَقَد زَّيَّنا السَّـــماء " (الملك ٥) وقوله تعالى " يكاد زَّيْتُها " (النور ٣٥) بالإدغام .
- وتدغم في الشين تقول نحو : انْقُدْ شَبَثاً = انْقُشَّبَثاً ، وقُرِى " قد شَّغَفَها حُبّاً " (يوسف ٣٠) ، وقوله تعالى " وشَهِد شَّاهِدٌ " (يوسف ٢٦) بالإدغام في كليهما .
- وتدغم في الجيم تقول : انْقُـدْ جَابِرا = انْقُجَّابِـرا ، وقُرِى " قد جَّاءكم " (النساء ١٧٠) ، وقوله تعالى " وقَتَلَ داود جَّالوت " (البقرة ٢٥١)

بالإدغام .

— وتدغم في الضاد ، تقول :أوْقدْ ضَرَمَةَ = أوْقَضَّرَمَةَ بالإدغام وقُرئ " ولَقَدْ ضَرَبْنَا " (الروم ٥٨) ، وقوله تعالى "مِنْ بَعْدِ ضَرَّاء" (يونس ٢١) (١) بالإدغام في كليهما .

والملاحظ في الاستشهاد بالآيات الكريمة أن دال "قَدْ" قد اتفق على إدغامها في هذه الحروف على خلاف بين القراء في المواضع ولعل كثرة استعمالها سبب في هذا الاتفاق وإدغام الدال في حال كونها دال "قَدْ" أحسن من اظهارها ، لسكونها اللازم ولكثرتها في الكلام .

الـــــــذال :
============

صوت بين أسناني رخو مجهور يدغم فيما أدغمت فيه الدال والتاء ، ويحسن إدغامها إذا كانت ذال "إذ" لكثرة دورانها في الكلام ولملازمتها السكون ، فساعد هذا على جعل الإدغام أحسن من الإظهار ، ولكنه يقل حين تختلف الذال وتَفْقِدُ لزومها للسكون ، ويتفاوت حسن الإدغام والإظهار بحسب الصوت الذي أدغمت فيه الذال ، فيكون الإدغام أحسن مع الثاء والظاء لاتحاد المخرج ويقل حسنا مع الدال والتاء والطاء لقرب المخرج ، ويكون أقل حسنا مع أصوات الصفير ، ويفضل الإظهارُ الادغامَ حين يكون ما بعد الذال شينا أوجيما أو ضادا لاختلاف المخرج ، وإليك الأمثلة :

— فتدغم في الظاء نحو : خُــذْ ظَالِمــاً = خُظَّالِماً ، وقرئ "إذ ظَّلَمْتُمْ" (الزخرف ٣٩) .

---

(١) انظر في القراءات المستشهد بها في صوت الدال كتاب السبعة ١١٩ حيث ذكر ابن مجاهد إدغام ابي عمرو لدال "قَدْ" في هذه الحروف (الأصوات) ووافقه بعض القراء في إدغامها ، انظر النشر ١ / ٣٩٤ (محمد سالم محيسن) حيث ذكر ما أدغم من الدال في هـــــذه الأصوات وكانت الدال غير دال "قد" ..

- وفي الثاء نحو : خُذْ ثابتًا = خُثَّابتًا .
- وفي التاء نحو : خُذْ تِلْكَ = خُتِّلْك ، وقُرِئ "إذ تَّسَوروا" (ص ٢١) بالإدغام ، وقرأ نافع[(١)] "اتَّخَذتُّم" (البقرة ٥١) بالإدغام .
- وفي الدال نحو : خُذْ داود = خُدَّاود ، وقُرِئ "إذ دَّخلتَ جَنَّتَك" (الكهف ٣٩) .
- وفي الطاء نحو : خُذْ طَالِبًا = خُطَّالِبًا .
- وفي السين نحو : مُذْ ساعةٍ = مُسَّاعةٍ ، وقُرِئ "إذ سَّمِعتُمُوه" (النور ١٢) و "فاتَّخَذ سَّبِيلَه" (الكهف ٦١ ، ٦٣)بالإدغام .
- وفي الصاد نحو : خُذْ صَابِرًا = خُصَّابِرًا ، وقُرِئ "وإذ صَّرفنا" (الأحقاف ٢٩) و "ما اتَّخَذ صَّاحِبَة" (الجن ٣) بالإدغام .
- وفي الزاي نحو : مُذْ زمانٍ = مُزَّمانٍ ، وقُرِئ "وإذ زَّين" (الأنفال ٤٨) بالإدغام .
- وأدغم أبو عمرو ذال إذ في الجيم فقرأ وحده[(٢)] "إذ جَّاءُوكم" (الأحزاب ١٠) بالإدغام .
- وتدغم في الشين تقول : خُذْ شَيْئًا = خُشَّيْئًا .
- وتدغم في الضاد نحو : خُذْ ضَرَمَةً = خُضَّرَمَةً .[(٣)]

---

(١) السبعة ١١٤ مذهب نافع المدني .
(٢) المصدر نفسه ١١٩ .
(٣) انظر المصدر نفسه،وفيه مذهب أبي عمرو حيث ذكر ابن مجاهد إدغامه ذال إذ في هذه الحروف عدا التاء والطاء والشين والضاد ، والنشر ١/ ٢٩٥ ، حيث ذكر إدغامها في قوله تعالى : "فاتَّخَذ سَّبِيلَهُ" و "ما اتَّخَذ صَّاحِبَة" .

الـــــــــــــــراء :

صوت لثوى متوسط مجهور مكرر ، لا يدغم في شيء سواء على الأرجح وروى عن أبي عمرو إدغام الراء في اللام فقط .(١)

ويرى سيبويه امتناع إدغام الراء في غيرها : "لأنها مكررة وهي تغشى إذا كان معها غيرها ، فكرهوا أن يُجحِفوا بها ، فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر"(٢) .

وقرأ أبو عمرو بالإدغام في قوله تعالى "هُنَّ اطْهَرلَّكم" (هود ٧٨) وقوله تعالى "يَغْفِرلَّكم" (نوح ٤) ... ، ونقل الصيمرى عن الكسائي والفراء إدغامها في اللام قال : "والحجة في ذلك أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما ، ولفظ اللام أسهل وأخف من أن تأتي براء فيها تكرير وبعدها لام ، وهي مقاربة للفظ الراء فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من موضع واحد"(٣).

فالصيمرى يَعُدّ الراء صوتين لأنها مكررة ، والأصح عدم إدغامها كما أسلفنا ، وليس في تكريرها خروج عن كونها صوتا واحدا ، بدليل حصول العكس وجواز إدغام اللام في الراء في نحو "هَل رَّأيْتَ" .

الـــــــــــــــزاى :

صوت أسناني لثوى رخو مجهور صفيرى ، لا يدغم إلا في السين والصاد وهما من مخرجه ويتصفان مع الزاى بصفة الصفير فتقول في : أَوْجِزْ صَابِرًا ـ أَوْجِصَّابِرًا ورُزْ سَلَمَة = رُسَّلَمَة . ويدغم في الزاى غيرها كالتاء والدال والثاء والذال .. ،

الســـــــــــــين :

صوت أسناني لثوى رخو مهموس صفيرى كالزاى لا تدغم في غير أختيهـــا

---

(١) السبعة ١٢١ ، والنشر ١/٢٩٥ .
(٢) سيبويه ٤/٤٤٨ .
(٣) التبصرة والتذكرة ٢/٩٥١ .

تقول في احْبِسْ صَابِرًا = احْبِصَّابِرًا ، وفي أحْبِسْ زَيداً = احْبِزَّيداً ، وقُرِىء " وإذا النُّفُوسُ زُوِّجَت "(١) (التكوير ٧) بالإدغام .

وروى عن أبي عمرو إدغامه الزاى في الشين في قوله تعالى " واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَّيْباً "(٢) (مريم ٤)

الشين :
=========

صوت غاري رخو مهموس متفشٍ لا تدغم ولا يدغم فيها إلا الجيم ، قال سيبويه : " والشين لا تدغم في الجيم ، لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء ، فصارت منزلتها منها نحوا من منزلة الفاء مع الباء ، فاجتمع هذا فيها والتفشى ، فكرهوا أن يدغموها في الجيم كما كرهوا أن يدغموا الراء ، ... وقد تدغم الجيم فيها ... وذلك : أخْرِشَّبَثاً ".(٣) يريد أخرج .

الصاد :
==========

صوت أسناني لثوى رخو مهموس مطبق صفيرى ، يدغم في السين والزاى تقول في : افْحَصْ سَالِماً = افْحَسَّالِماً ، وفي افْحَصْ زَيداً = افْحَزَّيداً ، ويجوز اذهاب الإطباق وبقاؤه ، إلا أن إذهابه مع السين أقل ، لأنها والصاد مهموستان ، والبيان عربي جيد .(٤)

الضاد :
==========

صوت أسناني/لثوي شديد مجهور مطبق ، عند المحدثين من علماء الأصوات اللغوية(٥) ، وسنأخذ بقول القدماء الذين يرون أنها صوت رخو مخرجه أول حافة

---

(١) النشر في القراءات العشر (تحقيق محيسن) ١/ ٣٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٩٥ .

(٣) سيبويه ٤/ ٤٤٨ فما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ٤/ ٤٦١ ، وكذلك انظر قوله في السين والزاى .

(٥) انظر اللغة معناها ومبناها ٧٩ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ١٠٤ .

اللسان وما يليه من الأضراس .[1]

لأن اختلاف المخرج والصفة (أعني صفة الشدة والرخاوة) بين القدماء والمحدثين ، يوجب اختلاف الحكم . فالقدماء يرون امتناع ادغامها في غيرها لاعتبار أنها وحيدة في مخرجها ، ثم لاعتبار صفتي الاستطالة والإطباق ، وهذا المنع ينتفي حين تنتفي اعتباراته السابقة فهي عند المحدثين من مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية (ص ـ س . ز . ت . ط . د) ومقاربة جدا لمجموعة (ظ . ذ . ث) الأسنانية فأمكن أن يجرى الإدغام بينها على اعتبار اتحاد المخرج أو قربه من جهة ، ومن جهة أخرى انتفت صفة التفشي (الاستطالة) المعتبرة عند القدماء .[2]

وعلى هذا فهي صوت لا يدغم في غيره لانفرادها بمخرجها ، إذ يقول سيبويه : " ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس من موضعها غيرها "[3] لأنها صوت مطبق متفش ، وهاتان صفتان معتبرتان في منع إدغام الصوت .

وروى عن أبي عمرو إدغامه الضاد في الشين في قوله تعالى " لِبَعْض شَأْنِهِم " (النور ٦٢) ووجها السيرافي[4] على جواز ذلك لتفشي الشين وقربها من مخرج الضاد .

الطاء :

أسناني لثوي شديد مهموس مطبق، تدغم فيما أدغمت فيه التاء والدال ،

---

(١) سيبويه ٤/٤٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ٤/٤٦٦ .
(٣) المصدر نفسه ٤/٤٣٦ .
(٤) التبصرة والتذكرة للصيمرى ٢/٩٥٤ .

إذ هي معهما من مخرج واحد ولا يفرق بينهما وبين التاء عند القدماء إلا أن هذه مطبقة بخلاف تلك .

فتدغم في التاء نحو " انقطْ تَوأماً = انقتَّوأماً " والأرجح إبقاء الإطباق معها إذ التاء مهموسة مرققة فخالفتها في الإطباق ، ومنه تقول " أحَطْتُ " بالإدغام وقرأ أبو عمرو " أَحَطتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ " (النمل ٢٢) و " فَرَّطْتُم في يُوسُفَ " (يوسف ٨٠) بالإدغام[(٢)] وذكر سيبويه[(٣)] لغة عن العرب إخلاص الطاء تاء عند الإدغام في مثل " حُتُّهم " يريدون: حُطْتُهم ، وتدغم في الدال نحو : اضْبِطْ دَلاماً " وإبقاء إطباقها حَسَنٌ .

وتدغم في الظاء نحو : اهْبِطْ ظَالِماً = اهْبِظَّالِماً . وتدغم في الذال نحو : اربِطْ ذَلِكَ = اربِذَّلك . وتدغم في أصوات الصفير ففي الزاي نحو : اضْبِطْ زَيداً = اضْبِزَّيداً ، وفي السين نحو اضْبِطْ سَالِماً = أضْبِسَّالِماً ، وفي الصاد نحو اضْبِطْ صَالِحاً = اضْبِصَّالِحاً .

وتدغم في الضاد نحو : اضْبِطْ ضَرَمَةً = اضْبِضَّرَمه . [(٤)]

وفي الشين نحو : اضْبِطْ شَيْئاً = اضْبِشَّيْئاً . والبيان في كل ذلك جائز إلا أنه " يثقل التكلم بهن لشدتهن ، وللزوم اللسان موضعهن لا يتجافى عنه " .[(٥)]

---

(١) يرى المحدثون من علماء اللغة أنها صوت مهموس في حين رآها القدماء صوتا مجهورا ، انظر سيبويه ٤/٤٣٤ ، واللغة العربية معناها ومبناها ٧٩ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ١٠٢ ، وأفاض الأخير في تحليل الخلاف بين القدماء والمحدثين في وصف الطاء .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٩ .

(٣) سيبويه ٤/٤٦٠ .

(٤) المصدر نفسه ٤/٤٦٠ وما بعدها .

(٥) المصدر نفسه ٤/٤٦١ .

ويلاحظ هنا مسألة بقاء الاطباق حين تدغم الطاء في صوت غير مطبق وهو أمر لا يمكن حدوثه ، ذلك لأن الإدغام يعني فناء صوت في صوت مماثل له أو مقارب ، فإن كان مقاربا فانه يعني تحول الأول الى مثل الثاني . فإذا ادغمت الطاء في التاء والدال مثلا ، كان من سبيل إدغامها أن تُحَوَّلَ إلى تاءٍ أو دالٍ ، ومن ثم تدغمها ، فان أبقيت الإطباق كان عملك في الصوت الثاني أن تُحَوِلَهُ إلى مثل الأول ومن ثَمَّ تُدغِمْ فيه الأول ، فتحول التاء أو الدال إلى طائين ومن ثم تدغم الطاء (الأولى) فيهما ، ومثل هذا يقال في إدغام صوتي الصاد والظاء. فكأن التأثير هنا ليس تأثيرا رجعيا ، يتأثر فيه الأول بالثاني ،بل تأثيراً تقدمياً تأثر فيه الصوت الثاني بالأول . (١)

الظـــــاء :

صوت بيني أسناني رخو مجهور مطبق ، ليس بينه وبين الذال إلا الإطباق يدغم فيما أدغمت فيه الطاء ، ففي الذال نحو : احْفَظْ ذَلِكَ = احْفَذّلِكَ ، وفي الثاء نحو : احْفَظْ ثابتا = احْفَثّا بِتاً . وفي التاء نحو : احْفَظْ تِلْكَ = احْفَتِّلِكَ وفي الدال نحو احْفَظْ دُلاماً = احْفَدّلاماً ، وفي الطاء نحو : احْفَظْ طَالِباً = احْفَطّالِباً ، وفي أصوات الصفير ففي السين نحو : احْفَظْ سَلَمَه = احْفَسّلَمه ، وفي الزاى نحو : احْفَظْ زَيداً = احْفَزّيداً ، وفي الصاد نحو : احْفَظْ صَالِحاً = احْفَصّالِحاً وتدغم في الضاد نحو : احْفَظْ ضَرَمَه = احْفَضّرَمه ، وتدغم في الشين نحو : احْفَظْ شَنْبَاء = احْفَشّنْبَاء ، ولم يذكر سيبويه إدغامها في الجيم .

والبيان في كل ذلك حسن لاختلاف المخرج إلا مع أختيها التاء والذال؛ فان الإدغام أفضل لاتحاد المخرج،وكذلك مع الطاء والضاد لاتفاق صفة الاطباق .

---

(١) الأصوات اللغوية (أنيس) ١٨٠ ، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٩ .

والأفضل بقاء الإطباق عند إدغامها في غير المطبق كالثاء والذال والتاء، ويكون توجيهها حينئذٍ على ما قدمنا في آخر حديثنا عن الطاء .

العـــــــين :

صوت حلقي رخو مجهور ، يدغم في الحاء فقط ، نحو اقْطَعْ حَمَلا = اقْطَحَّمَلا ، لاتحاد المخرج،والبيان حسن لاختلاف الصفة ، فالعين مجهورة والحاء مهموسة ، ولم تكن حروف الحلق أصلاً للإدغام.(١)

وإذا التقت العين مع الهاء ، والعين سابقة نحو اقْطَعْ هِلالا ، فإن أدغم حول الصوتان ــ الهاء والعين ــ إلى حاءين أدغمتا مثلين ، لبعد مخرج الهاء عن العين ، ولقرب العين من حروف الفم ، ومثل ذلك قول بني تميم في " مَعَهُم = مَحُّم " وفي " مَعَ هَؤُلاء = مَحَّاؤلاء "(٢) ولهذا كانت قراءة أبي عمرو " زُحْزِح عَن النار " (آل عمران ١٨٥) بالإدغام جائزةً إذ أدغم الأبعد في الأقرب إلى الفم .(٣) وأجاز المبرد إدغام العين في الغين والخاء عملا بأن الأبعد يدغم في الأقرب إلى الفم .(٤)

الغـــــــين :

صوت لهوي رخو مجهور (مفخم) ، تدغم في الخاء فقط ، نحو: ادْمَغْ خَلَفًا = ادْمَخَّلفا . والبيان أحسن لأنها من حروف الحلق،وليست بأصل في الإدغام ، وللمخالفة بينهما في الجهر والهمس،وأما جواز الإدغام فلكون الغين والخاء من المخرج الثالث من مخارج الحلق،وهو المخرج الأقرب إلى الفم ،فحملت على الإدغام في حروف الفم ، ولهذا سمع اخفاء النون عند الغين والخاء في نحو :

---

(١) سيبويه ٤/ ٤٥١ .
(٢) المصدر نفسه ٤/ ٤٥٠ .
(٣) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٣ واحتج لذلك بقوله : " والحاء تدغم في العين في حرف واحد قوله تعالى: " زحزح عن النار " فسقط لطول الكلمة وتكرار الحاء ، ولذلك تظهر فيما عداه نحو " لا جناح عليكم ... " .
(٤) المقتضب ١/ ٢٠٨ .

" مُنْخُل ، ومُنْقُل "[1] والمبرد يرى عكس ما يراه سيبويه إذ يرى إدغام الغين في الخاء أحسن[2] .

الفـــــاء :

صوت شفوي أسناني رخو مهموس ، لا يدغم في غيره لبعده عن حروف الفم لأن مخرجه من باطن الشفة السفلى والثنايا العليا ، فلم يتصل بالحروف التي يكثر فيها الإدغام ، وقرأ الكسائي[3] بإدغامها في الباء في قوله تعالى " تخسف بهم الأرض " (سبأ ٩)[4] .

القـــــاف :

صوت لهوي شديد مهموس (مفخم) ، من الأصوات التي عدّها القدماء مجهورة ، ويراها المحدثون[5] مهموسة ، وهي التي يقرأ بها القرآن الكريم ، وينطق بها المتخصصون ، بل إن بين القدماء والمحدثين خلافا في تحديد مخرجها فحين يراها القدماء تخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى[6] تاليةً للغين والخاء في المخرج ، يراها المحدثون لهوية تسبق الغين والخاء في المخرج .[7] وهذا الخلاف هو الأهم إذ بحسب مخرجها يتحدد إن كانت تدغم أوْ لا تدغم إذا اعتبرنا مسألة البعد والقرب من حروف الفم، فهي عند القدماء تالية للغين والخاء ، الأمر الذى يمنع إدغامها فيهما . وهي عند المحدثين سابقة على الغين والخاء ، وحينئذ يصح قياسا (كقياس المبرد السابق) أن تدغم في

---

(١) المقتضب ١/ ٢٠٩ ، سيبويه ٤/ ٤٥١ .
(٢) المقتضب ١/ ٢٠٩ .
(٣) الكشف ١/ ١٥٦ .
(٤) انظر حرف الباء فيما سبق ص
(٥) انظر علم اللغة العام (الأصوات) ١٠٩ .
(٦) سيبويه ٤/ ٤٣٣ ، علم اللغة العام (الأصوات) ١٠٩ .
(٧) علم اللغة العام (الأصوات) ١٠٩ وما بعدها .

الغين والخاء ويمتنع العكس لأنها أقربُ إلى الفم في رأى المحدثين والأقرب إلى الفم لا يدغم في الأبعد وهي على وصف القدماء ، تدغم في الكاف نحو : الْحَقْ كَلَده = الْحَكَّلده .

وقد قرأ أبو عمرو بإدغامها في الكاف في قوله تعالى " خَلَقَكم " و " رزَقَكم " في جميع القرآن (١) . إلا أنه لا يُدغمها إلا إذا تحرك ما قبلها وكان بعدها ميم للجمع (٢) .

الكـــــاف :

صوت طبقي شديد مهموس ، تدغم في القاف نحو قولك : انْهَك قَطنا = انْهَقَّطنا ، وإدغام القاف فيها أمثل من إدغامها في القاف بحسب القرب والبعد إلى الفم ، ولكونهما قريبين من مخرج الغين والخاء المعدودين من أصـــوات الحلق التي يمتنع فيها الإدغام .

وقُرئ قوله تعالى " حتى إذا خَرَجُوا من عِنْدِك قَّالُوا " (محمد ١٦) بالإدغام بشرط تحرك ما قبل الكاف (٣) .

وفي تبادل إدغام القاف والكاف دليل على قرب مخرجهما ، ودليل آخر يُعَضِّد ما ذهب إليه القدماء من تحديد مخرج الصوتين بأنه من أقصى اللســان وما يليه من الحنك الأعلى،ولا تعارض في هذا بين القدماء والمحدثين،إذ تتطور أصوات اللغة تطورا يبعدها كثيرا عن أصلها القديم في كثير من الحالات كالقاف والضاد . إلا أنه يبقى دليلا على سلامة منهج القدماء من جهة وعدم ثبـــات الأصوات اللغويـــة من جهة أخرى .

---

(١) السبعة ١١٨ .
(٢) النشر ١/٢٨٧ ، وانظر السبعة ١١٨ ، ١٢١ .
(٣) انظر التيسير ٢٣ .

اللـــــــــام :

صوت لثوي متوسط مجهور ، ولإدغامه حالتان :

أولها : أن تكون هذه اللام ليست للمعرفة ، وهي نوعان : نوع ملازم للسكون في جميع حالاته كلام هَلْ وبَلْ ، وفي هذه يجوز إدغام اللام وإظهارها فتدغم — جوازا — في الحروف التي تدغم فيها لام المعرفة ، وقُرئ بذلك على خلاف بين القراء ، قال سيبويه " فإذا كانت غيرَ لام معرفةٍ نحو لام هلْ وبلْ ، فإن الإدغام في بعضها حَسَنٌ، وذلك قولك هَل رَّأيت ، لأنها أقربُ الحروف إلى اللام ، وأشبهُها بها ، فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد ، والإظهار لغة لأهل الحجاز.[١]

وتدغم أيضا في الطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين ، ولكن ليس ككثرته مع الراء لتراخي هذه الحروف عنها،وليس منهن انحراف وجاز الإدغام لاتصال اللام بحروف طرف اللسان ، وهي مع الظاء والتاء أقل حسنا ، وأبعد في الضاد والشين لاختلاف المخرج ، وإدغامها في النون جائز ، والإظهار أحسن لأنهم استوحشوا أن يدغموا في النون ما أدغمت فيه.[٢]

فتدغم لام هل وبل في الراء نحو قولك : هَلْ رَأَيْتَ = هَرَّأَيْت وقُرِئ " بَل رَّان " (المطففين ١٤) بالإدغام . إلا في رواية حفص عن عاصم[٣] وقوله تعالى " بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ " (النساء ١٨٥) .

---

(١) سيبويه ٤/٤٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٥٦ .

(٣) أجمع القراء السبعة إلا ابن عامر على إدغام اللام من هل وبل في الراء واختلفوا في الباقي ، فأدغمها الكسائي في التاء والثاء والسين والراء والطاء والظاء والصاد والنون والزاى ، ووافقه حمزة في الأربعة الأولى وكذلك أبو عمرو في التاء والثاء فقط،والباقون مجمعون على إدغامها في الراء ، الا أن ابن عامر ورواية حفص عن عاصم بالسكت على (بل) في (بَلْ رَان) سواء أكانت هل وبل أم لام قل.انظر السبعة ١١٣ -١٢٥ بتصرف .

— وفي الطاء قرأ الكسائي "بَل طَّبع اللهُ" (النساء ١٥٥) بالإدغام .

— وفي الظاء قرأ الكسائي "بَل ظَّننتم" (الفتح ١٢) بالإدغام .

— وفي التاء قرأ الكسائي وحمزه قوله تعالى "بل تُّؤثِرُون" ... بالإدغام ، وأدغمها أبو عمرو في التاء في موضعين في الحاقّة "فهل تّرى لهم من باقِية" ، و" وهَل تّرى مِنْ فُطُور" من سورة الملك . وذكر سيبويه قول الشاعر :

فَدَعْ ذا ولٰكِنْ هَتَّعِينُ مُتَيَّماً   على ضَوْءِ بَرْقٍ آخرَ الليل ناصبِ (١)

— وفي الثاء قرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة "هَل ثُّوِّبَ الكُفَّارُ" (المطففين ٣٦) بالإدغام .

— وفي الزاى قرأ الكسائي قوله تعالى "بَل زُّيِّنَ" (الرعد ٣٣) بالإدغام .

— وفي السين قرأ حمزة والكسائي "بَل سَّولت" (يوسف ١٨) بالإدغام .

— وفي النون قرأ الكسائي "بَل نَّحْنُ" (الواقعة ٦٧) بالإدغام .

— وفي الضاد قرأ الكسائي "بَل ضَّلُوا" (الأحقاف ٢٨) بالإدغام .

وروى عن الكسائي أيضا إدغامه اللامَ في الذال في قوله تعالى: "وَمَن يَفْعَل ذّلِك" (البقرة ٢٣١) (٢) . ولم يذكر ابن مجاهد أن من السبعة من أدغمها — أى لام بل وهل — في الشين والدال والجيم وإنْ سُمع عن العرب إدغامهم لام هل في الشين . قال الشاعر :

تَقُول إذا اسْتَهلَكْتُ مالاً لِلَذّةٍ   فُكَيْهَةُ هَشَّيءٌ بِكَفَّيكَ لائقُ (٣)

والنوع الآخر من اللام التي ليست للمعرفة ، اللام التي لا يلزمها السكون في نحو قُلْ ، ومَنْ يَفْعَلْ،ونحوهما لِتغير حركة اللام هنا بحسب نوع الفعل ، قال

---

(١) سيبويه ٤/٤٥٩ .
(٢) انظر القراءات الواردة هنا في مذاهب القراء في كتاب السبعة ص٢١ فما بعدها .
(٣) سيبويه ٤/٤٥٨ .

سيبويه: " واللام مع الراء نحو ، اشْغَل رَّجَبَه " لقرب المخرجين ، ولأن فيهما انحرافا نحو اللام قليلا ، وقاربتها في طرف اللسان ، وهما في الشدة وجرى الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج والإدغام أحسن .[1] ومثل هذه اللام لا تدغم إلا في الراء على الأحسن ، وأدغمها الكسائي في الذال في جميع القرآن[2] في قوله تعالى " مَنْ يَفْعَل ذَّلِك " . أما الباقون من السبعة فأجمعوا على إدغامها (أى اللام غير الملازمة للسكون) في الراء في نحو قوله تعالى " قُل رَّبِّ " (المؤمنون ٩٣) .[3]

والحالة الثانية : لام المعرفة :

وهذه إدغامها واجب في ثلاثة عشر صوتا مقاربا لها ، وعلة الوجوب هنا كثرة الاستعمال ، التي تُعَضِد التقارب بينها وبين هذه الثلاثة عشر صوتا ،

قال سيبويه " ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز فيها معهن إلّا الإدغام ، لكثرة لام المعرفة في الكلام ، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان وهذه الحروف أحد عشر حرفا، منها حروفُ طرف اللسان وحرفان يخالطان طرف اللسان. فلما اجتمع هذا وكثرتها في الكلام لم يجز إلّا الإدغام " .[4]

ومن إحدى روايات القراءات السبع نستشف ملاحظة هامة ، ففي رواية حفص عن عاصم أنه لم يدغم اللام في الراء من قوله تعالى " بَلْ رَان " وكذلك النون في الراء في " مَنْ رَاق " ، ولم يروعنه الوصل ـ أيضا ـ بل كان يَسْكُت سكتة لطيفة على اللام من " بل " وعلى النون من " مِنْ " والسكت هنا هو العلة المانعة

(١) سيبويه ٤ / ٤٥٢ .
(٢) السبعة ١٢٣ .
(٣) المصدر نفسه ١١٤ .
(٤) سيبويه ٤ / ٤٥٧ وروى عن الكسائي أنه كان يظهر لام المعرفة مع كل الأصوات إلا الراء واللام والنون، ويحكى ذلك لغة عن العرب . انظر ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٩ .

من الإدغام ، إذ لو أدغم لأدىٰ إلى اللبس "بِبَرَّان" على فَعْلان ، و"بِحَرَّاق" على فَعَّال ، وهذا يعني إمكان الإدغام في لام "بَلْ وهَلْ" لو أمن الالتباس ولكنه لم يؤمن كما أمن حين تكون اللام للمعرفة ، لأنها إن كانت كذلك أمن اللبس للحاقها في أول الاسم ، ولوجود قرينة لفظية خطية ، هي همزة الوصل ، مع تعذر وجود مثل ذلك في لام بل وهل،أو لام أي فعل مجزوم آخره لام ، فعلة أمن اللبس هي التي أوجبت إدغام لام المعرفة ، والأخرى أجازت الادغام إن لم تكن اللام الساكنة لام معرفة .

الميـــــم :

صوت شفوي متوسط مجهور مغنون ، لا يدغم في غيره من الأصوات حتى الباء وهي من نفس مخرجه على رأي سيبويه الذي يقول في ذلك"ولم يدغموا الميم في النون لأنها لا تدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين ، فكذلك لم يدغموها فيما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة"(١)

وروى عن أبي عمرو إدغامه الميم في الباء إذا كان ما قبلها متحركا،(٢) نحو قوله تعالى "بِأَعْلَم بِالشَّاكِرِين" (الأنعام ٥٣) ، وهو عند النحاة على إخفاء الحركة واختلاسها .(٣) وفيما أثر عن أبي عمرو من إسكانه أواخر الكلم كثيرا تفسير لما روى عنه من إدغام الميم في الباء . ذلك أنه إذا لقيت الميم الساكنة الباء كان حكمها الإخفاء ، مع بقاء الغنة(٤) وهذا هو ما كان يفعله أبو عمرو ، وما جعل بعض القدماء يترجمون ذلك بقولهم "إدغام وليس بادغام"(٥) ، وأراه على أي تسمية إدغاما ـ ما دامت الغنة ـ ذلك أنك إذا أسكنت الميم وأردت إخراج الباء كُنْتَ

---

(١) سيبويه ٤٥٦/٤ .
(٢) السبعة ١١٨ .
(٣) التبصرة والتذكرة ٩٦٢ وهو رأي السيرافي .
(٤) النشر في القراءات العشر ٢٩٧/١ فما بعدها .
(٥) انظر التبصرة والتذكرة ٩٦٢ ، وإدغام القراء لأبي سعيد السيرافي ص٥ وما بعدها .

ناطقا ميما ــ لا محالة في ذلك ــ وكان العمل العضوى للشفتين واحدا في إخراج الصوتين (الميم والباء) . ويؤيد ما ذهب اليه أبو عمرو من إسكان الميم إذا لقيت الباء قول ابن مجاهد " وكان يشم الحرف الأول إذا أدغم إعرابَه في الإظهار من الرفع والخفض ، في كل ما أدغم إلا الميم مع الميم والباء مع الباء، والميم مع الباء والباء مع الميم ، ولا يشم في النصب " (١).

إلاّ أنك إن أردت الإخفاء ، كما هو عند القراء كان عليك أن تُخْرِج الغنةَ ثم تنطق الباء مع عدم إطباق الشفتين على بعضهما تماما . وذلك هو الانفراج اليسير الفارق بين الإدغام والإخفاء .

النـــون :

صوت لثوى متوسط مجهور (مغنون) ، لها في قراءة القرآن أربعة أوجه :

الأول : إدغامها في خمسة أحرف هي اللام والراء والواو والياء والميم ، وقد اختلف في كيفية الإدغام فيها على النحو التالي :

١) تدغم في الميم نحو " مِنْ مَا = مِمَّا " وتبقى فيها الغنة بلا خلاف،إذ كل من المدغم والمدغم فيه مغنون ، وتبقى غنة الأخير (الميم) ، وتدغم في الباقي بلا غنة .

٢) تدغم في الواو والياء بغنة ، وفي اللام والراء بلا غنة ، وهو الذى عليه جمهور القراء وأئمة التجويد (٢).

٣) تدغم في الجميع بغنة .

وبقاء الغنة أحدث إشكالا في إدغام النون الساكنة والتنوين

---

(١) السبعة ١٢٣ .
(٢) النشر في القراءات العشر ٢ / ١٦٢ .

واتخذ هذا الإشكال إتجاهين :

أولهما : في الإدغام حيث اختلف في بقاء الغنة مع اللام والراء والواو والياء ، فذهب بعض القراء إلى أنه إخفاء لبقاء الغنة ، وذهب بعضهم إلى تسميته إدغاما ناقصا — كما قال ابن الجزرى (١) .

وأما سيبويه فيقول " وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا أدغمتَ بغنةٍ فليس مخرجُها (أى النون) من الخياشيم ولكن صوت الفم أُشْرِب غنةً ، ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها في الواو الياء والراء واللام حتى تصيرَ مثلَهن " (٢) .

والآخر : هو أن الفارق بين الإخفاء والإدغام مع النون الساكنة هو بقاء الغنة ، قال مكي ابن أبي طالب " ... وذلك أن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان وأطراف الثنايا (يقصد أصولها) ومعها غنة تخرج من الخياشيم ، فإذا أخفيت لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها ، وبقي ما كان يخرج من الخياشيم ظاهرا " (٣) .

وهذا الإشكال يفرض السؤال التالي : هل يكون الإدغام بغنة نوعا من الإخفاء أولا ؟

والإجابة تتضح في الآتي :

أولا : تحديد موقع الغنة : فالإدغام كما عرفناه ، إدخال صوت في صوت ، ولذلك كان موقع الغنة مع الإدغام على الحرف الثاني

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢ / ١٦٩ .

(٢) سيبويه ٤ / ٤٥٤ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ١٦٦ .

" الصوت المشدد " على حين تكون الغنة مع الاخفاء قبل الحرف الثاني، ولذلك كان يقول سيبويه: " ولكن صوت الفم أشرب غنة " أى أن الصوت المشدد مغنون سواء أكان واوا ، أو ياء أم لاما أم راء ، ولذلك ــ أيضا ــ كان يقول مكي " تقول أخفيت النون عند السين ولا تقل في السين .... وأدغمت النون في اللام ، ولا تقل عند اللام .(١)

ثانيا : أن النون الساكنة إذا أدغمت في الراء ، ذهبت غنتها ، لأن وجودها يؤدى إلى تكرار الراء لأن مقدارها حركتان ، وهذا بالتأكيد يؤدى إلى النطق بالراء مكررا " .

ثالثا : إن الواو والياء حرفا مد ولين ، وهذان مخرجهما متسع لذلك كان إخراج الغنة معهما من الخيشوم ممكنا ، بيد أن هناك ثقلا في نطق الغنة مع الراء واللام ، وهذا ما جعل رأى الجمهور على إدغامها في اللام والراء بلا غنة .

اخفاء النون :

النون تخفى عند سائر حروف الفم ، وقد تخفى عند بعض أصوات الحلق كالخاء والغين . فقد ذكر سيبويه أن اخفاء النون في نحو " مُنْخُل ، مُنْغُل " لغة لبعض العرب .(٢)

ويرى جمهور النحويين والقراء قلبها ميما إذا سكنت قبل الباء ، والأصح أنها تخفى عند الباء كما تخفى سائر حروف الفم على ما ذهب اليه الفراء فيما نقله السيرافي عنه .(٣)

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١ / ١٦٢ .
(٢) سيبويه ٤ / ٤٥١ .
(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٧ .

ولم يَلْقَ رأيُ الفـراء هذا حظَّه من الشهرة ، بل نُقِدَ ورُدَّ ، فَعَل ذلك السيرافي مرجحا رأى سيبويه والبصريين ، وإن أردنا أن نجد التوجيه المناسب للرأيين المشهور منها والمغمور . كان علينا أن نفرق بين شيئين أساسيين في عملية الكلام وهما :

١) الأداء " النطــق " .

٢) السماع .

ذلك أن جانب الأداء ينبغي فيه أن تخفى النون عند الباء ، فــــإذا أخفيتها أذهبت مخرجها الفـــوى (موضع طرف اللسان على اللثة) وأبقيــت غنتها ، ثم تهيأت لنطق الباء ، فتطبق شفتيك لتخرجها فتنطق الميم ــ لا محالة في ذلك ــ وتخرج الباء بعد فتح الشفتين إذ هي شديدة (انفجارية) هـذا هو الأداء النطقي ، والحركات العضوية كاملة لإخراج النون إذا سكنت قبل الباء وهذا القول نهدف منه إلى شيء : ذلك أن العرب كانت تخفي النون مع حـــروف الفم جميعـها من القاف من مؤخر الفم إلى الباء في الشفتين ــ عدا ما أدغمــت فيه ــ ، لأنها لو كانت تظهر لأظهرت النون مع الباء وهي أحق بالإظهار ، لأن الإخفاء يؤدى بها فيما يُسْمَع إلى (ميم) .

أما جانب السماع فهو يؤيد جمهور النحويين والقراء ، ولا يرد قـــول الفراء لأن الأداء شيء والسماع شيء آخر ، ولكلٍ جهازه .

ولعل هذا ــ أى جانب سماع النون المخفاة عند الباء ميما بطريق حتمي لا مناص من الأداء بغيره عند إرادة الإخفاء ــ ما جعل العرب تُغْفِلُ المــواد الممكن تأليفها من الميم والباء متعاقبين فاء وعينا،أو عينا ولاما ، فلا تجد فــي المعجم العربي مواد من مثل (م + ب + أى صوت آخر) ، وكذلك (أى صوت + م + ب)،لأن العربي ناطق لا محالة ما كان من المواد مثل (ن+ب + أى

صوت آخر) وكذلك (أى صوت + ن + ب) أو أى مادة أخرى وقعت فيها النون والباء متعاقبتين بطريق الأصالة كان تعاقبها كما مُثل ، أو بطريق الزيادة ...(١) عند سكون الأولى بإخفاء النون ، فَتُسْمَعُ ميما فتخْتَلِطُ المباني .

ويرد سؤال هنا ، هو لِمَ لَمْ تهمل العرب استخدام هذا المنقلب سماعا إلى ميم ؟ أعني المواد المؤلفة من (ن + ب) في موضعي الفاء والعين ، أو العين واللام ؟ ، قد يكون ذلك الاحتمال وقوعهما متعاقبين في حال زيادة الأولى (النون) حين تكون وحدة صرفية كما هي في " انفعل " فيما جاء مِمَّا فاؤه باء نحو " انبرى " فلما كان ذلك كذلك لزموا في التأليف النون والباء واهملوا الميم والباء لأمن اللبس . وليس لما يؤلان إليه من ثقل ، فالميم والباء من مخرج واحد ، وأداؤهما يكون بحركة عضوية واحدة تغلق الشفتين ثم تفتحهما لتخرج ميما ساكنة ثم باء .

الهـــــاء :

صوت حنجرى رخو مهموس تدغم في الحاء نحو " اجْبَه حَمَلا "(٢) والبيان والإدغام حسنان ، إلا أن الإدغام ليس أصلا في حروف الحلق ، وإنما جاز الإدغام لاتفاق الصوتين في الهمس والرخاوة ولقرب مخرجيهما ويمتنع إدغام الحاء في الهاء لقرب مخرجها من الفم ، وقالوا إن الأدنى إلى حروف الفم لا يدغم في الأدنى إلى الحلق .

الــواو واليـــاء :

الواو صوت شفوى متوسط مجهور ، والياء غاري (شَجْرى) متوسط مجهور

---

(١) انظر دراسة احصائية لجذور تاج العروس ص ١٧٧ ، ٢٤٥ ، وقد قال بذلك المبرد في ١ / ٢٢٠ من المقتضب .

(٢) سيبويه ٤ / ٤٤٩

كذلك ، وهذان الصوتان يدغمان على نحو يكونان فيه ياء مشددده وهو ما أسموه الاعلال بالقلب ، نحو سَيِّدٍ و مَيِّتٍ أصلهما سَيْوِد ومَيْوِت فقلبت الواو ياء ، وأدغمتا مثلين ، ولا يخفى هنا قول الصرفيين المشهور " إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء .

ومثل قولك : طَيّاً ولَيّاً ، أصلهما : طَوْياً من طَوَيْتُ ، ولَوْياً من لَوَيْتُ .

وهما أي الواو والياء إذا اجتمعتا تقلب الواو إلى الياء لا العكس ، قال الصيمري : " لأن الياء أخف من الواو ، فلما اجتمعتا ، ووجب الإدغام للمقاربة قُلِب الأثقل إلى الأخفِ تقدم أو تأخر ، ولأن قلب الواو إلى الياء أكثر في كلام العرب من قلب الياء إلى الواو للخِفَّة التي ذكرنا ، ولأنّ مخرج الياء أمكن من مخرج الواو لأن الياء من وسط اللسان والحرف المتوسط أمكن وأولى أن يرد غيره إليه " . (١)

ونقول بعد هذا البيان لما أدغم وما لم يدغم من الأصوات إن العرب تصرفت في أداء أصوات لغتها ، تخفيفا من الجهد العضلي المبذول مع عدم المساس بهدف اللغة (الإيصال) فأدت هذا الهدف بأقل مجهود ، مع محافظتها على تحقيق هذا الهدف بعدم إدغام الأصوات ذات التَمَيُّز الصوتي الذي به يتحقق للحرف قيمته الخلافية كعنصر فرق في النظام الصوتي فأعطت للمخرج تحقيقه القيمة الخلافية فمنعت إدغام الضاد لتفردها في المخرج . (٢) وأعطت للصفات المفردة في بعض الأصوات كالصفير والتكرير تحقيقها القيمةَ الخلافية

---

(١) التبصرة والتذكرة للصيمري ٢/٨٢٥ ، ٨٢٦ .

(٢) هذا التفرد لا يكون إلا في الضاد القديمة ، أما نطقها المعاصر فقد اتحدت في المخرج مع الدال والطاء والتاء إذ هي النظير المفخم للدال فيما يقرأ به الآن ، انظر (علم اللغة العام (الأصوات)) ١٠٤ .

فمنعت إدغام أصوات الصفير (س . ص . ز) ، والصوت المكرر (ر) .

وبين هذا وذاك اتخذت سبيلها في التخفيف من ثقل المتقاربات في مواطن يؤمن فيها اللبس ، فان أمكن المحافظة على الصفة المفردة المحققة للقيمة الخلافية للصوت أدغمت كما فعلت ذلك في صوتي الإطباق (ط . ظ) وصوت (ن) الذى كان لمخرج غنته أثر في إدغامه إذ أمكن المحافظة عليها مع غالب أصوات الفم في حالتي الإدغام والإخفاء ، وامتنع الإدغام إذ لم يكن المحافظة على صفة الغنة لو أدغمت لاعتبار مخرج أصوات الحلق ، ومخرجي النون الأنفي والفموى .

المبحث الثاني :

(حذف أحد المثلين)

إذا امتنع الإدغام ، بقي المثلان على صفتهما المؤدية إلى الثقل في الأداء ، فكان من شأن اللغة أن أوجدت لها طريقا آخر للتخلص من هذا الثقل ، وهذا واحد من طرقها ، ذلك هو اسقاط أحد المثلين من الكلمة الملفوظ بها ، فلا يبقى إلا صوت واحد ، فتخِفُّ الكلمة بذلك ، سواء أكان التقاء المثلين في الكلمة بطريق الأصالة أم بطريق الزيادة ، مما يوافق أصلا أو زائدا مثله .

وهذا الحذف يسوغ كثيرا إذا امتنع الإدغام (١) طريقا إلى التخفيف ومن ثم ساغ الحذف إن أُمِنَ اللبس وإلا احتمل الثقل لأجل المعنى .

ويرى كارل بروكلمان أن السبب في حذف أحد المثلين أو الأمثال المتتالية يتمثل في الارتباط الذهني بينهما ، فيكتفى بواحد منهما (٢) .

في حين يراه برجستراسر نوعا من التخالف ، إذ قال: " ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف وهو حذف أحد مقطعين متتاليين أولهما حرفان مثلان أو شبهان نحو " تَذَكرون " بدل : تتذكرون ... " (٣) .

وليس هو كما قال برجستراسر ، إذ التخالف حذف وإبدال،أو بعبارة أخرى وضع صوت موضعَ أحد المثلين أو الأمثال تيسيرا للنطق ، والحذف والتخالف يسعيان لغاية واحدة هي التخلص من ثقل توالي الأمثال أو المتقاربات .

وقد يكون لما قاله بروكلمان وجه من الصحة في أن الارتباط الذهني بين

---

(١) انظر امتناع الإدغام فيما سبق ص ٤٣ .

(٢) فقه اللغات السامية ٧٩ ، وانظر بحوث ومقالات في اللغة (رمضان عبد التواب) ٢٧ .

(٣) التطور النحوي للغة العربية ٧٠ ، وانظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٧ .

المثلين حاصل بينهما، بدليل اختصاص الحذف تخفيفا بمواطن اشتهر فيها توالي المثلين ، كما أن فيه إلماحا الى إستعمال الحذف وسيلةً من وسائل التخفيف فيما أمن فيه اللبس .

وسنأتي فيما يلي على المواضع التي حذف فيها أحد المثلين تخفيفا ، مصنفة بحسب موقع المثلين من الكلمة أولا أو وسطا أو آخرا .

أولا : حذف أحد المثلين في أول الكلمة :

(١) المضارع الذى تجتمع فيه تاءان أو ثلاث ، مما توافق فيه تاء المضارعة تاء أصلية أو زائدة للمطاوعة ، من مثل بناء " تفعّل وتفاعل " ، مما تاؤه زائدة كـ : تَقَطّع وتَذَكَّر وتَغَافل وتَجَاهل . . إذا لحقته تاء المضارعة أولاً يصير " تَتَقَطّع وتَتَغَافل " أو تكون تاؤه الثانية أصلية وزيدت عليها تاء المطاوعة نحو " تابع " ، تصير "تتابع" ماضيا ، أو تزاد عليه تاء المضارعة نحو "تتتابع" أو تجتمع الثلاث في أول ذى التاء الأصلية نحو " تَتَابع " مما زيدت فيه تاء المضارعة والمطاوعة ، فتحذف إحدى التاءين ، لما لم يُقدَر على الإدغام لما يحدثه من سكون الأول ، فيُحتاج إلى همزة الوصل للإبتداء بها ، وهي لا تدخل على المضارع [(١)] ، فامتنع الإدغام ، وجاز الحذف لعدم اللبس ، تقول في تَتَذَكرون = تَذَكَّرون ، بالحذف ، ويجوز أن تذكر التاءان جميعا ، فتنطق بالتاءين متحملا للمستكره ، وقد ورد الأمران في القرآن الكريم في قوله تعالى : " تَتَنَزَّلُ عليهم الملائكةُ " (فصلت ٣٠) ، وقوله تعالى:

---

(١) ذكر الرضي في شرح الشافيه جواز إدغام المثلين في أول المضارع في الدرج ٣ / ٢٤٠ ، وعليه أجاز الأخفش الأوسط الإدغام في مثل قوله تعالى: " ولا تتمنوا " (النساء ٣٢) لجواز التقاء الساكنين ، معاني القرآن ١ / ٢٣٥ بتصرف . وانظر المبحث السابق ص ٢٧

" تَتَجَافَى جُنُوبُهم عن المَضَاجِع " (السجدة ١٦) ، وقوله تعالى: " ولقد كُنْتُم تَمَنَّون الموتَ " (آل عمران ١٤٣) ، وقوله تعالى " تَنَزَّلُ الملائِكَةُ والرُّوحُ فيها " (القدر ٤) .

فإذا حذفت إحداهما لم يجز أن تحذف الأخرى إذا التقت بمثل أو مقارب من أصول الكلمة ، أمنا للبس.(١)

وإذا لم تحذف إحدى التائين ، وكان بعدهما مقارب لهما جاز إدغام المثل الثاني " تاء المطاوعة أو التاء الأصلية " في مقاربها فيقال في " تَتَدَعون = تَدَّعون " بالإدغام ، ويبقى الابتداء بتاء المضارعة المتحركة .

ويلزم حذف إحدى التاءات إذا ما كانت عِدَّتُها ثلاثا في كل ما كان من الأفعال فاؤه تاء اجتمعت معها تاء المطاوعة والمضارعة فيقال في " تتفاعل " من ترك = تتتارك " فتُحذف واحدة منها .

وحول أيّ التاءات المحذوفة ، خلاف بين البصريين والكوفيين ذكره ابن الأنباري(٢) إذا كانت التاء الثانية أصلية فيما هو مثل " تَتْلُون " ، وكان خلاصة المسألة على أن البصريين يرون أن المحذوفة الثانية ، وحجتهم مجيء التاء الأولى لمعنى المضارعة فكان على حسب قولهم " حذف ما لا معنى له أولى من حذف ما له معنى "(٣) ، واحتج الكوفيون بزيادة تاء المضارعة وقالوا بضعف الزائد وقوة الأصلي ، فلما حذفت إحداهما كان " حذف الأضعف أولى من حذف الأقوى ".(٤)

ويرى سيبويه حذف الثانية لكون الأولى " تاء المضارعة " جاءت لمعنى ويضيف أن الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تَسْكُن وتُدْغم في قوله تعالى:

---

(١) سيبويه ٤/ ٤٧٦ .
(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٦٤٩ .
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٤٩ ، وانظر الأصول للدكتور تمام حسان ص ٢٢٨ .
(٤) الإنصاف ٢/ ٦٤٩ ، وانظر الأصول للدكتور تمام حسان ص ٢٣٢ .

" فادّارأتمُ فيها " [البقرة ٧٢] ، " وازّينت " [يونس ٢٤] وهي التي يفعل بها ذلك في " يذّكرون " (الأنعام ١٢٦) بتشديد الذال ــ فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك .[1]

وقد رجح عدد من النحاة[2] حذف الثاني ، لأن الاستثقال حصل عند النطــق بــه .

وأرى حذف إحدى التاءين بدون تحديد ، لأن التاءيـــــن ــ سواء أكانتا زائدتين أم إحداهما أصلية والأخرى للمضارعة ، أم كانتا للمضارعـــة أو المطاوعة ــ متحركتان بالفتح ، فإن حُذفت إحداهما بقيت الأخرى مفتوحة ، فلا يدرى أيهما حُذف حقيقة ؟ ، والمعول عليه في معرفة مضارعية الفعل عند حذف إحدى التاءين حالُه في الإعراب ، إذ في إعرابه قرينة على كونه مضارعا ، وقـــد تكون علامة إعرابه فرعية إذا كان من الأفعال الخمسة كما في " تظاهرون وتسآلون " وحينئذ تكون آكد في الدلالة على كونه مضارعا ، فيحسن حذف إحدى التاءيـن بلا تحديـــــد .

أما إذا كان الفعل ماضيا نحو " تابــع " وزيدت عليه تاء المطاوعة ، فلا حذف لوجود اللبس،إذ لو حذف لأدى إلى التباس (تابع) فلا يدرى أهـــو تابع على فاعـل أو تفاعـل .[3]

فإن كان هذا المضارع المبدوء بتاءين مبنيا للمجهول نحو " تُتَحَمَّـــل " لم يجز الحذف ولا الإدغام لاختلاف الحركتين ، فلا تستثقلان كما تستثقـــــل الحركتان المتفقتان ، ولمنع اللبس بين ما هو مبني للمجهول ، وما هو مبــــني للمعلوم ، إذا حذفت الأولى[4] ، والتفسير الثاني أوجه خاصة إذا ما ذكرنا أنــه

---

(١) سيبويه ٤/٤٧٦ .

(٢) ذهب إلى ذلك الأخفش الأوسط في معاني القرآن ١/٢٢٤ ، ٢/٣٥٨ وابن جني في الخصائص ١/٣٩٨ ، والسيوطي في الأشباه والنظائر ١/٧٦ وابن الحاجب في شرح الشافيه ٣/٢٩٠ وابن عصفور في الممتع ٢/٦٣٦ .

(٣) الممتع في التصريف ٢/٦٣٦ .

(٤) شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٩١ .

يمكن أن يتوالى المثلان في أول الكلمة ولا يحذف أحدهما وذلك في صيغ اسم المفعول ، واسم المكان ، والمصدر الميمي ... ونحوها مما تبدأ بميم زائدة ، فإذا بُنِيَتْ مِنّا فاؤه ميم توالى ميمان،ولا يحذف منها شيء لاختلاف الحركة،وهي حركة دالة ؛ ولسكون الثاني من المثلين في هذه الصيغ امتنع الإدغام .

٢) الهمزتان المتواليتان في أول الكلمة :

إذا توالت الهمزتان في أول الكلمة (أو فيما هو كالكلمة) حُذفت إحداهما تخفيفا ، ويكثر ذلك في مضارع الفعل الماضي المزيد (١) نحو أكرم ، وأحسن ، فإن مضارعها حال التعبير عن النفس يكون بزيادة همزة ، فتتوالى همزتان تُحْذف إحداهما ، وتحذف أيضا من هذا الفعل مع ياء المضارعة حملا على الهمزة التي يعنى بها المتكلم نفسه فنقول " يُكْرِم ويُحْسِن " قال ابن الأنباري:" وانما حذفت إحدى الهمزتين من (أكرم) لأن الأصل فيه "أأكرم " فلما اجتمع فيه همزتان كرهوا اجتماعهما فحذفوا إحداهما تخفيفا ، ثم حملوا سائر أخواتها عليها في الحذف ... " . (٢)

وتحذف كلتا الهمزتين في الأمر فيما هو نحو " كُلْ ــ خُذْ " كراهةَ اجتماعهما ، وحذف إحداهما يؤدى إلى الالتباس . (٣)

وهذا الحذف في أمر الأفعال السابقة معدود من الحذف غير القياسي ، لأن القياس في ذلك إبدالها ، أما الحذف فسوغه كثرة الاستعمال . (٤)

---

(١) المقتضب ٢ / ٩٧ بتصرف .
(٢) الانصاف ١ / ١٢
(٣) المقتضب ٢ / ٩٧ .
(٤) شرح المفصل ٩ / ١١٥ .

كما تحذف إحدى الهمزتين إذا كان الحاجز بينهما غير حصين فكأنهما متواليتان ، وذلك في مضارع " رأى " المبدوء بهمزة " المتكلم " أصله " أَرْأَى " فحذفت الثانية وألقيت حركتها على الساكن قبلها فأصبح الفعل " أَرَى " ثم طرد الباب على وتيرة واحدة ، تقول " أَرَى ، ويَرَى "[1] ، وجعل ابن يعيش نقل الحركة إلى الساكن سببا في كون هذا الحذف قياسيا ، وذكر ابن جني أن هذا الحذف غير قياسي ، وإنما اطراده لأنهم هجروا الأصل وتركوه .[2]

والواضح في هذا المثال أن الحذف لم يكن بسبب اجتماع الهمزتين لسكون الحاجز بينهما ، وإنما خففت الهمزة الثانية بالقاء حركتها على الساكن قبلها فأصبحت " أَرْأَى "=" أَرَاى " بألف في موضع الهمزة فالتقى ألفان حذفت إحداهما إذ هما لا تجتمعان لسكون الألف سكونا لازما ، ولذلك طرد الباب في الماضي والمضارع بالحذف ونقل الحركة إلى الساكن قبلها ، وذلك في " تَرَى ويَرَى " أصلهما " تَرْأَى ، ويَرْأَى " .

وفي القرآن الكريم مما اجتمعت فيه همزتان في أول الكلمة نماذج كثيرة من ذلك قوله تعالى " فَقَاتِلُوا أَئِمةَ الكُفْرِ " (التوبة ١٢) حيث قرأ بحذف إحدى الهمزتين نافع وابن كثير وأبو عمرو بغير مدٍ بهمزة واحدة[3] . ومما حذفت منه الهمزة قوله تعالى " أَأَنْذَرْتَهُم " (البقرة ٦) بهمزة واحدة ، ذكر ابن جني أن ذلك تخفيف لكراهة الهمزتين[4] ، حذف همزة الاستفهام لقيام القرينة الدالة على التسوية في " سواءٌ عَلَيْهِم " ولمجيء أم بعد ذلك .[5]

---

(١) شرح المفصل ٩/ ١١٠ .
(٢) المصدر نفسه ٩/ ١١٠ .
(٣) انظر السبعة ٣١٢ ، وحجة القراءات ٣١٥ ، وفي السبعة ١٤٠ : أن الكوفيين الثلاثة وابن عامر كانوا يحققون الهمز في جميع القرآن أما الحَرَميان وأبو عمرو فكانوا إلى التخفيف أميل وأجروا في ذلك جميع طرق التخفيف ، من البدل والمد والحذف . . وحققوا في بعض المواضع .
(٤) المحتسب ١/ ٥٠
(٥) المصدر نفسه ١/ ٥٠ .

ثانيا : حذف أحد المثلين المتواليين وسطا :

( ) الفعل المضعف المسند إلى ضمير الرفع المتحرك ، يفك إدغامه عند الإسناد كقولك : ظَلِلْتُ وَمَسِسْتُ . . . إذ لا سبيل الى بقاء الصوتين (المثلين) مدغمين ، (١) لسكون الثاني منهما عند الاسناد . فلما امتنع الادغام هنا ، لجأ بعض (٢) العرب إلى الحذف وسيلةً أخرى للتخلص من ثقل توالي المثلين ، فقالوا : ظِلْتُ في ظَلِلْتُ ، ومِسْتُ في مَسِسْتُ ، وأَحَسْتُ أو حِسْتُ في أَحْسَسْتُ . وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في آيتين بلا خلاف في أن الفعل فيهما من المضعف ، وهي قوله تعالى: " فَظَلْتُم تَفَكَّهُون " (سورة الواقعة ٦٥) قُرِئ فيها بالكسر والفتح ، وقوله تعالى: " وانْظُر إلى إلهك الذى ظَلْتَ عليه عاكفا " (سورة طه ٩٧) .

وأما قوله تعالى " وقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ " (سورة الأحزاب ٣٣) فمن عده من المضعف أدخله في حديثنا هذا . قال الأخفش الأوسط حول قوله تعالى " فظَلْتُم تَفَكَّهون " انما كسر أولها لأنه يقول ظَلِلْتُ ، فلما ذهب أحد الحرفين استثقالا حَوَّل حركته على الظاء . . وقال بعضهم ترك الظاء على فتحتها وحذف احدى اللامين " . (٣)

---

(١) ذكر سيبويه لغة لبكر بن وائل ببقاء الإدغام عند الاسناد إلى ضمير الرفع المتحرك نحو " رَدَّنَ ، وَمَدَّنَ ، وَرَدَّتُ ٣٠٠/٥٣٥ كما ذكر جواز فك المدغم ضرورة للشاعر كقول الشاعر :
مهلاً أعاذلَ قد جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي أَنِّي أَجُود لأقوامٍ وإنْ ضَنِنُوا
سيبويه ٣/٥٣٥ .

(٢) انظر اللهجات في كتاب سيبويه ٥٤٨ حيث عزيت اللهجة إلى بني سُلَيْم كما عزيت إلى بني عامر وأهل الحجاز .

(٣) معاني القرآن ٢٢٦/١ .

وقد وقع مثل هذا الحذف في الشعر من ذلك ما جاء في كتب النحاة من قول أَوْس بنُ مِغْراءَ (١) :

مِسْنَا السماءَ فَنِلْنَاهَا وطَالَهُمُ ... حتى رأَوا أحدًا يَهْوى وثَهْلانا

وقول الآخر (أبي زبيد الطائي) (٢) :

خَلا أن العِتَاقَ من المطَايا ... أَحَسْنَ بِهِ فهُنَّ إليه شُوسُ

وهذا الحذف عند النحاة من الشاذ ، يقول سيبويه: " ومن الشاذ قولهم : أَحَسْتُ وظِلْتُ ومِسْتُ لما كَثُرَ في كلامهم التضعيف ، وكرهوا تحريك الذى لا تصل إليه الحركة في فَعَلْتُ وفَعَلْنَ الذى هو غير مضاعف . . " (٣)

ويؤكد ما ذهب إليه سيبويه قوله في موضع آخر قال : " ومن ذلك قولهم : ظِلْتُ ، ومِسْتُ ، حذفوا وألقوا كما قالوا خِفْتُ ، وليس هذا النحو إلا شاذاً والأصل في هذا عربي كثير ، وذلك أَحْسَسْتُ وَمِسِسْتُ وظَلِلْتُ " (٤) .

بل إن سيبويه ينص على أن الحذف هنا لالتقاء الساكنين وذلك حين قال في باب ما شذ من المضاعف " وإذا كانَ في موضعٍ يحتَمِلون فيه التضعيف لكراهية التحريك ، حذفوا لأنه لا يلتقي ساكنان " (٥) .

وذهب المبرد إلى مثل ذلك حيث قال : " وليس ذلك بجيد ولا حسن " (٦)

ويتفق سيبويه والمبرد وابن جنى (٧) على أنهم حين حذفوا كان تشبيها بالمعتل في مثل خِفْتُ وأَرَدْتُ . . . ، يقول المبرد في هذا باب ماشُبِّهَ من المضاعف بالمعتل فحُذِفَ في موضعِ حَذْفِهِ " وذلك قولك في أَحْسَسْتُ : أَحَسْتُ ، وفي

---

(١) معاني القرآن ١/٢٣٦ .
(٢) الخصائص ٢/٤٣٨ .
(٣) سيبويه ٤/٤٨٢ .
(٤) المصدر نفسه ٤/٤٢٢ .
(٥) المصدر نفسه ٤/٤٢٢ .
(٦) المقتضب ١/٢٤٥ .
(٧) سيبويه ٤/٤٢٢ ، والمقتضب ١/٢٤٥ ، والخصائص ٢/٤٣٨ .

مَسَسْتُ = مِسْتُ ، وتطرح حركته على ما قبله ، وتحذفها ، تشبيها بقولك :أَرَدْتَ
وأَقَمْتُ ، كِلْتُ ، وبِعْتُ ، كما استويا في بابَ رَدَّ وقام بالإسكان " . (١)

وعلى هذا يحتمل في حذف أحد صوتي المضعف أن يكون حذفه لالتقاء الساكنين لا المثلين ، ويصح أن يكون الثاني لا الأول ، ومن حذف لم يستثقل توالي المثلين وإنما استثقل توالي ساكنين إذا أول مثلي المضعف ساكن ،فالتقى مع السكون العارض للإسناد ، فحذف أحدهما مع نقل حركته ، وإذا صح هـذا الاحتمال صح تَبَعًا له أن تكون حركة الكسر " ظَلِلْتُ " في عين المضعف المسند ليست حركة بنية على أنه من باب (فَعِل) وإنما حركة التقاء الساكنين على الأصل ونقلت الحركة إلى الأول دلالة على المحذوف كما نقلت حركة المعتل ، وهـذا المفهوم من قول المبرد في النص السابق " كما استويا في باب رَدّ وقام بالإسكان".

والأرجح أن يُحْمَل تشبيه النحاة للحذف هنا بالحذف في المعتل على وجود الثقل في كليهما لا على أنه ثقل التقاء ساكنين ، فحُذِفَ من المعتل لعدم امكان تحريكه لالتقاء الساكنين،وحُذِفَ من المضعف لعدم إمكان إدغامه لسكون الثاني .

وحكى الأشموني الاطراد عن الشلوبين وابن مالك ، إذ ذهب الأخير إلى اطراد الحذف في مكسور العين من المضعف ، قال في الشافيه الكافيه : (٢)

ظِلْتُ وظَلْتُ في ظَلِلْتُ اطَّردا ... وَقَرْنَ في أَقْرَرْنَ وقِسْ مُعْتَضِدا

ولا تَقِسْ مفتوح عـين وأرى ... مَنْ قاسَ ذا ضَمٍ حرٍ أَنْ يُعْذَرا

وليس حذفه مطردا كما ذهب إليه ابن مالك،إذ لم يسمع فيه إلا ألفاظ قليلة ، ولعل المسوغ الذى بني عليه ابن مالك قوله بالاطراد ما ذهب إليـه

---

(١) المقتضب ١/٢٤٥ .

(٢) شرح الشافيه الكافيه ٤/٢١٦٩ فما بعدها وليس لقول ابن مالك في المضموم وجه إذ لم يأتِ من المضعف مضموم العين إلا (لَبُبَ) فقط انظر سيبويه ٤/٣٧ .

ابن جني في توجيه قراءة ابن يعمر " فَمُرَّتْ به " خفيفة : " من أن الحذف في المكسور أسوغ ، لأنه اجتمع فيه مع التضعيف الكسرة ، وكلاهما مكروه ... "[١] .

وأرى أنه لم يطرد ولم يشع في لغة العرب توقيا للبس،إذ يلتبس هذا المحذوف منه لتوالي المثلين بما حذف منه لالتقاء الساكنين في الأجوف على التوجيه السابق " .

واختلف النحاة في أى المثلين في " ظَلِلْتُ " ونحوها حذف ، وقد أورد السيوطي خلافهم في هذا وجعله على قولين : الأول حذف العين ، والثاني هو حذف اللام .

والأول الأصح في رأيه ، إذ العين هي المحذوفة ، ودليل ذلك إلقاء حركة العين المحذوفة على الفاء كما ألقاها في " خِفْتُ وهِبْتُ وظِلْتُ ، وقلب أول المثلين في نحو قولك دينار في " دِنَّار " وذهب إلى ذلك سيبويه[٢] ، أما ابن مالك فذهب الى أن اللام هي المحذوفة[٣] وأرى أن نقول بحذف أحداهما والدليل على ذلك ورود اللغتين كسر وفتح الفاء ، فمن كسر الفاء لم يحول ، وإنما كسر دلالة على أن الفعل من باب " فَعِل " بكسر العين فلا حجة فيه على كون العين محذوفة . وقد نقل السيوطي عن أبي علي الفارسي في الاغفال قوله : " قد حذف الأول من الحروف المتكررة ، كما حذف الثاني وذلك قولهم " ظِلْتُ ومِسْتُ ونحو ذلك "[٤] وهذا يؤيد أن الحذف لأحد المثلين بدون تحديد .

---

(١) المحتسب ١/٢٦٩ .
(٢) الاشباه والنظائر ١/٣٧ ، وسيبويه ٤/٤٨٣ .
(٣) شرح الشافيه الكافية ٤/٢١٧٠ .
(٤) الاشباه والنظائر ١/٣٧ .

٢) ومما حذف مما التقى فيه مثلان فيما هو في وسط الكلمة قولهم على صيغة " افتعل " مما لقيت فيه تاء الافتعال تاء مبدلة من الواو وذلك في " اتّقى ، اتّخذ ، واتّجه " مما حذفت فاؤه الأصلية (الواو أو الهمزة) وعوض عنها تاء ، فحُذفت إحدى التائين ، قال سيبويه: " ومن الشاذ قولهم تَقَيْتُ وهو يَتَقي ، ويَتَسِعُ ، لما كانتا مما كثر في كلامهم وكانتا تاءين ، حذفوا كما حذفوا العين من المضاعف نحو أَحَسْتُ . . وكانوا على هذا أجرأ لأنه موضعُ حذف وبدل " . (١)

وجاء في اللسان " اتّقى ، يتّقي " كان في الأصل " اوتقى " على (افتعل) ، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وأبدلت منها التاء وأدغمت ، فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الحرف فجعلوه اتَقَى ، يَتَقى ، بفتح التاء فيهما مخففة. (٢) ومثل ذلك " تَجَه يَتَجه " (٣) ، و " تَخَذ ، يَتَخذ " (٤) وقُرِئ " لو شئت لتَخذت عليه أجرا " (٥) (الكهف ٧٧) .

٣) الفعل الأجوف في بعض تصاريفه مما يجتمع في وسطها ياءان أو واوان :

فمما اجتمع فيه ياءان وزن " فَيْعِل " نحو سَيِّد ومَيِّت وهَيِّن ولَيِّن . . . يقال فيها بالتخفيف سَيْدٌ ومَيْتٌ وهَيْنٌ . . قال المازني " فأما قولهم " هَيْنٌ ولَيْنٌ ومَيْتٌ " فإنما حذفوه وهم يريدون هَيِّنٌ ولَيِّنٌ ومَيِّتٌ ، ولكنهم حذفوه استخفافا كما حذفوا " كَيْنُونَة

---

(١) سيبويه ٤ / ٤٨٣ .
(٢) اللسان " وقى "
(٣) الخصائص ٢ / ٢٨٦ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ٢٨٧ ، ويرى فيه ابن جني أن تاء (تَخَذَ) أصلية هي فاء الكلمة وليست منقلبة عن واو أو همزة .
(٥) قرأ بحذف إحدى التائين ابن كثير وأبو عمرو وحفص . السبعة ٣٩٦ .

وقَيْدُودَة "(١) . وقد وردت لفظتا الحذف والذكر(٢) في القرآن الكريم في قوله "أَوَمَنْ كان مَيْتاً فأَحْيَيْناه " (الأنعام ١٢٢) . وقوله تعالى " أَيُحِبُّ أحدكم أَنْ يأكلَ لحمَ أخيهِ مَيْتاً " (الحجرات ١٢) ، وقوله تعالى " إنَّما حَرَّم عليكم المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزير " (البقرة ١٧٣) ، وورد كذلك لفظ(هَيِّن)في قوله تعالى " قال ربُّك هُوَ عليَّ هَيِّنٌ " (مريم ٩) . وقرئ في لفظ (ميّت) بالتخفيف والتشديد على خلاف بين القراء مما يتعذر معه ايجاد فارق في المعنى بين اللفتين .(٣)

ويدل على عدم اختلاف معناهما قول الشاعر الذى جمع بين التخفيف والتشديد في بيت واحد :

لَيْسَ مَنْ ماتَ فاسْتَراحَ بِمَيْتٍ　　　انّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحيـاءِ (٤)

وأصل " مَيِّت وسَيِّد . . . " بالتشديد — ، مَيْوِت سيود ، فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ، قلبت الواو ياء وأدغمت الياءان إدغاما لازما ، ثم حذف من المشدد إحدى يائيه تخفيفا فقيل " مَيْت ، سَيْد . . " .

ويشبه النحويون الحذف في " مَيِّتٍ وسَيِّدٍ " بالحذف في قولهم " كَيْنُونَة وقَيْدُودَة " إذ الأصل " كَيِّنُونه وقَيِّدوده " بياء مشددة حذفت إحداهما تخفيفا لازما لطول الكلمة ، كما نص عليه ابن جنى إذ قال : " اعلم ان أصل هذه المصادر(٥) " فَيْعَلُولَة " لأنها كانت في الأصل كَيْوَنُونَة وقَيْوُدودَه وصَيْرُورَة " بوزن عَيْضَمُور وحَيْزَبُون ، فاجتمعت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون ، فقلبوا الواو ياء ، وأدغموا فيها الياء الأولى فصارت في التقدير " كَيِّنُونَة وقَيِّدُودَة " فحذف الياء

---

(١) المنصف ٢ / ١٥ .

(٢) السبعه ٢٠٣

(٣) يقول بعضهم أن لفظ (ميّت) بالتشديد يطلق لمن لم يمت ، والميت بالإسكان من قد مات ، وهو قول تدفعه الرواية واختلاف مذاهب القراء السبعة ٢٠٣ .

(٤) المنصف ٢ / ١٧

(٥) يعني كينونه وصيروره .

الثانية المنقلبة عن الواو التي هي عين الفعل فصارت " قَيْدُودة وكَيْنُونَة " وألزموه الحذف ، لأنهم قالوا في " مَيِّت وهَيِّن " فحذفوا عين الفعل مع أن الكلمة على أربعة أحرف ، وخيروا بين الحذف والإثبات ، فلما كانت " قَيْدُودة وكَيْنُونة " على ستة أحرف طالت ، فألزموها الحذف ، ولم يخيروا بين الحذف والإثبات كما فعلوا في ميّت وهيّن " . (١)

واختلف النحاة في وزن " سيِّد وميِّت على ثلاثة آراء نجملها فيما يلي :

الأول : أن وزن سيِّد وميِّت . . . " فَيْعِل " بالكسر ، وهو رأى الخليل وسيبويه نقله الأخير حيث قال : وكان الخليل يقول : سَيِّد " فَيْعِل " ، وإن لم يكن " فَيْعِل " في غير المعتل ، لأنهم قد يخصون المعتل بالبناء ، لا يخصون به غيره من غير المعتل ، ألا تراهم قالوا : كَيْنُونَة والقَيْدُود ، لأنه الطويل في غير السماء ، وإنما هو من قاد يَقُود ، ألا ترى أنك تقول جمل منقاد وأقود - فأصلهما فَيْعَلُولة ، وليس في غير المعتل فَيْعَلُول مصدرا . . (٢)

الثاني : أن وزن سيِّد وميِّت " فَيْعَل " بالفتح ، ثم نُقل إلى الكسر، وقد نقله سيبويه - أيضا - إذ قال : " وقال غيره هو " فَيْعَل " لأنه ليس في غير المعتل " فَيْعِل " وقالوا غيرت الحركة ، لأن الحركة قد تقلب إذا غُيّر الاسم ، ألا تراهم قالوا : " بِصْرِيّ " وقالوا " أُمَوِيّ " وقالوا : " أُخْتٌ " ، وأصله الفتح . . . . " . (٣) ويختار سيبويه قول الخليل مرجحا له بقوله " وقول الخليل أعجب إليّ لأنه قد جاء في

---

(١) المنصف ٢ / ١٠ .
(٢) سيبويه ٤ / ٣٦٥ وانظر الانصاف مسألة ١١٥ .
(٣) سيبويه ٤ / ٣٦٥ .

المعتل بناء لم يجيء في غيره "(١) .

والرأى الثاني ينسبه ابن جني(٢) للبغداديين ويرجح عليه رأى الخليل محتجا عليهم بأنهم لو أرادوا بَحَيَّت وسَيَّد وزن (فَيْعَل) بالفتح لقالوه دون حاجة إلى تغيير البناء .

الثالث : يقول إن سَيِّد ومَيِّت أصلهما : " فَعِيل " ، وهو منسوب إلى الفراء وتقدير الأصل عنده " سَوِيد ، ومَوِيت " ، ثم حصل القلب والإدغام .

ورد هذا الرأى بشذوذ القلب وعدم قياسيته ، قال ابن عصفور : " وهذا الذى ذهب إليه فاسد ، لأن القلب ليس بقياس ، وأيضا فإنه لم يجيء على الأصل في موضع ، ولو كان الأمر كما ذكر لسمع " سَوِيد ومَوِيت " وأيضا فان " فَعِيلا " لا يحفظ مما عينه ياء ولامه حرف صحة ، ليس في كلام العرب مثل "كَبِيل" فإذا حُمل " بَيِّنا ولَيِّنا " على أن الأصل فيهما " لَيِين وبَيِين " فقد ادعى شيئا لا يحفظ في كلام العرب مثله " (٣) .

وأذهب إلى ما ذهب إليه الخليل وسيبويه ، لما في قولهما من كون المعتل خُصَّ ببناء لا يكون في الصحيح .

أما المصادر المشبه بها وهي " كَيْنُونه وقَيْدُوده " ونحوها ، فلا أرى وجها يجعلنا نقول إن أصلها " كَيَّنُونة وقَيَّدُودَه بالتشديد على فَيْعَلولة على ما ذهب إليه سيبويه وغيره (٤) . وأرى رأى الفراء الذى قال : إنها " فَعْلُوله " أصل فاءها بالضم وحُرِّكت بالفتح

---

(١) سيبويه ٤ / ٣٦٦ .
(٢) المنصف ٢ / ١٦ .
(٣) الممتع في التصريف ٢ / ٥٠١ فما بعدها .
(٤) سيبويه ٤ / ٣٦٥ ، والمنصف ٢ / ١٠ ، والاقتضاب ٢ / ٣٣٩ .

حملا على ذوات الياء نحو : صَيْرُورة وطَيْرُوره " .

ويحتج كثير مِمَّنْ ذهب إلى أنها " فَيْعَلُولة " بقول الشاعر[١] :

قَدْ فارقَتْ قرينَها القرينة وشَحَطَتْ عن دارها الظَّعِينَة

يا لَيْتَ أنَّا ضَمَّنا سَفِينَه حتى يَعُودَ الوصل كَيَّنُونَه

وحمله على الضرورة أرجح ، ويرد من كلام الفراء قوله بانضمام فاء " فَعْلَوله " إذ الأفضل أن يقال أُلْحِق البناء من الواوى بالبناء من اليائي لقلة مجيء مصادر الواوى على هذا البناء فحُمِل على ما كثر مجيئه على هذا البناء وهو اليائي[٢] .

وعلى ترجيح رأى الفراء لا يكون حذف ومن ثَمَّ لا يكون تخفيف لانتفاء ثقل المثلين .

٤) الهمزتان الملتقيتان من كلمتين :

والهمزتان لا تلتقيان وسطا في كلمة واحدة ، وإذا التقتا كانتا في وسط الكلمة عينين . كقولك : " رأّس ، وسأّل . . . . " إذ لا تسهل أو تخفف بإبدال أو حذف وهما في مثل هذا الموقع ، لأن العينين لا تكونان — أبدا — إلا مثلين[٣] .

وتلتقي الهمزتان في كلمتين بأن تكون الهمزة الأولى آخر الكلمة الأولى والثانية أول الكلمة الثانية نحو قوله تعالى " أَأَمِنْتُم مَنْ في السَّماءِ أَن " (الملك ١٦) و " أَنُؤْمِنُ كما آمن السفهاءُ أَلا " (البقرة ١٣) ونحوها ، وقد اتُّخِذ وجهان من الأداء للهمزتين

---

(١) المنصف ٢ / ١٥ .

(٢) اللسان " كون " .

(٣) الممتع في التصريف ٢ / ٦٢٢ .

لاعتبارات موقعية وسياقيه ، هذان الوجهان هما :(١)

الأول : التحقيق على الأصل وإعطاء كل همزة حقها في النطق بها محققه ، لكونهما منفصلتين كلٌّ في كلمة ، فجرى حكمهما هنا مجرى إدغام المثلين والمتقاربين في كلمتين .

الآخر : التخفيف باعتبار الأداء في حال الوصل " الدرج " ولوجود صوتين مثلين يكره تواليهما ، ثم إنه قد توالى همزتان والواحدة منها إذا انفردت خُفِّفت ، فكان اجتماع اثنتين آكد في الثقل . وأوجب في التخفيف .

والأداء الأخير هو الذى يعنينا ، إن جاء بالتخفيف ، وقد كان مذهب نافع وابن كثير وأبي عمرو(٢) إلا أن أداءهم كان يختلف في الهمزتين المتفقتي الحركة عنه في مختلفتيها .(٣)

والذى يهمنا في هذا أن أبا عمرو كان في المتفقتي الحركة تحذف احداهما في(٤) حالاتها الثلاث كقوله تعالى " هؤُلاءِ إن كُنتُم " (النساء ٢٢) و " السُّفَهاءُ أَموالكم " (النساء ٥)، و " أولياء أولئك " (الأحقاف ٣٢) ، وقد وافقه في ذلك قالون والبزى في المفتوحتين فقط . فكأنهم اختاروا الحذف ورجحوه للتخلص من التقاء المثلين اللذين يمتنع إدغامهما .

وقد حدد ابن الباذش(٥) الهمزة المحذوفة ، فذكر أنهما

---

(١) قرئ فيما التقت فيه همزتان من كلمتين في القرآن بالتحقيق على لهجة تميم ، صنع ذلك الكوفيون وابن عامر ، وقرأ بالتخفيف على لهجة الحجاز نافع وابن كثير وأبو عمرو " الحجة لأبي زرعة ٩٠ - ٩٢ .

(٢) الحجة لابي زرعه ٩١ ، وانظر الإقناع ١ / ٣٨٢ فما بعدها والتيسير ٣٣ .

(٣) انظر الحجة لأبي زرعه ٩١ ومابعدها ، والإقناع ١ / ٣٧٧ إلى نهاية الفصل .

(٤) القياس في المتفقتي الحركة أن تكون بين بين سيبويه ٢ / ٥٤٩ .

(٥) الإقناع ١ / ٣٨٠ .

الأولى ، وكذلك ذكر ابن مجاهد (١) ، حاملا ذلك على التشبيه بالإدغام وذكر أبو زرعه (٢) أنه اختُلف في أى الهمزتين المحذوفة ؟ والأنسب أن يقال حذفت احداهما ، لاتفاقهما في الحركة ، بل إن اتفاقهما في الحركة كان أدْعى للاكتفاء بواحدة في مذهب أبي عمرو من غير تحديد للمحذوفة ، ثم إن حذف إحدى الهمزتين لا يغير من التوزيع المقطعي للكلمات المكونة للآية ، سواء أحذفت الأولى أم حذفت الثانية ، لتحرك الهمزتين ، ويبقى معنا أن نقول إن حذف الأولى أو الثانية يستدل عليه بانتقال النبر، ففي قوله تعالى " السفهاءَ أَموالكم " يكون النبر مع التحقيق على الهاء ، وهو عليها إذا حذفت الهمزة الثانية " السّفهاءَ موالكمْ " ، ولكن إذا حذفت الهمزة الأولى انتقل النبر إلى " السين " السّفها أَموالكم " .

وقد يمكن أن يقال إن أبا عمرو حذف الأولى مرة والأخرى مرة حملا على ما ذكر عنه في الهمزتين المختلفتي الحركة ، من أنه كان يخفف الأولى ، ويحقق الثانية ، ويحدث العكس ، وقد قال عنه سيبويه إن كلاً عربيٌ " (٣) أى تخفيف إحدى المختلفتين فهل يمكن أن تحمل المتفقتا الحركة على المختلفتيها ؟ نعتقد ذلك .

٥) ويحذف أحد المتقاربين إذا تواليا في وسط الكلمة أو ما هو كوسط الكلمة ، وذلك قولك في " يستطيع = يسطيع " استثقلوا التاء مع الطاء ، وكرهوا أن يدغموا التاء في الطاء فتحرك السين وهي لا تحرك أبدا " . (٤)

---

(١) السبعه ١٤٠ .
(٢) الحجه لأبي زرعه ٩٢ .
(٣) سيبويه ٣/٥٤٩ بتصرف .
(٤) المصدر نفسه ٤/٤٨٣ .

قال سيبويه : " وقد تحذف الطاء فيقال " يسْتِيع " فحذف الطاء كما حذف لام " ظِلْتُ " وتركوا الزيادة (يعني التاء) كما تركوها في " تَقَيْتُ " وإن شئت قلت أبدلوا التاء مكان الطاء ، ليكون ما بعد السين مهموسا مثلها " .(١)

فكأنما يريد سيبويه أن يقول في الحالة الأخيرة (يستيع) أنه توالي اعلالان حذف التاء ثم ابدال الطاء تاء ، والأرجح في تفسيرها حذف الطاء ، كما أشار اليه أولا ، وقد قرأ السبعة غير حمزة في قوله تعالى " فما اسطاعوا "(٢) (الكهف ٩٧) بحذف التاء . وذكر الأخفش الأوسط لغتي حذف الطاء وحذف التاء .(٣)

وفي حذف التاء والطاء عن كلمة (يستطيع) دلالة على حذف أحد المثلين بدون تحديد واعتبار لمزية أحدهما دون الآخر بعدا عن الخلاف الكبير بين النحاة في أي المثلين حُذِف .

كما حذف أحد المتقاربين عند اضافة كلمة (بني) الى كل اسم قبيلة تظهر فيه لام المعرفة(٣) كقولهم في " بني العنبر ، وبني الحارث ... " بلعنبر ، وبلحارث ... ، لتقارب النون واللام وكثرة الاستعمال ،(٤) وامتناع الإدغام لسكون لام المعرفة سكونا لازما .

---

(١) سيبويه ٤/٤٨٤ .
(٢) السبعة ٤٠١ ، وانظر الكشف ٢/٨٠ .
(٣) معاني القرآن ٢/٣٩٩ .
(٤) سيبويه ٤/٤٨٤ .
(٥) المصدر نفسه ٤/٤٨٤ .

ثالثا : حذف أحد المثلين المتواليين آخرا :

يكثر توالي المثلين (الأمثال) آخرا في المواطن التالية :

أ) نون الوقاية مع نون الأفعال الخمسة .

ب) نون الوقاية مع إنّ ، وأنّ ولكنّ وكأنّ ومثلها لعلّ وليت ، ونون من وعن ، ومع قد وقط .

جـ) نون الوقاية مع النون الأصلية في الفعل (لام الفعل) .

د) نون الوقاية مع نون النّسوة .

هـ) نونا التوكيد مع نون الأفعال الخمسة .

و) ياء النسب إذا لحقت اسما وفيه ياء أصلية ، أو آخره ياء مشددة .

وسنبدأ بذكر نون الوقاية مع ما تدخل عليه ويلتقي عند دخولها مثلان أو أكثر .

١) نون الوقاية مع نون الأفعال الخمسة :

وذلك حين تلحقها ياء المتكلم نحو " تَضْرِبانِنِي وتَضْرِبونَنِي وتَضْرِبينَنِي " بنونين ، أولاهما علامة رفع الأفعال الخمسة والثانية نون الوقاية . ومعنى ذلك أنه لا تجتمع النونان إلا في حال الرفع ، وعند ذلك يحصل الثقل المفضي إلى التخفيف بإدغام أو حذف إحداهما وقد ورد ذلك في قوله تعالى " أتحاجونِّي في الله " (الأنعام ٨٠) و " تأمرونِّي أعبد " (الزمر ٦٤) حيث قرئ فيهما بالتشديد (١) . والتخفيف (٢) .

---

(١) قرأ بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي السبعة ٢٦١ .

(٢) وقرأ بالتخفيف نافع وابن عامر ، وروى عن الأخير في " تأمروني " بنونين السبعة ٥٦٣ .

فالأداء في الآيتين كله مخفف ، فمن شدد فقد أسكن الأولى وأدغمها في الثانية ، واختار الإدغام طريقا للتخفيف ، ومن خفف بالحذف ، فقد كره اجتماعهما ولم يسلك طريق الإدغام لزيادة النون الثانية .

وقد اختلف العلماء النحاة في أى النونين المحذوفة ، وقد أورد السيوطي اختلافهم في الأشباه والنظائر ، إذ قال: "إذا اجتمع نون الوقاية ونون الرفع جاز حذف إحداهما تخفيفا نحو "أتحاجونِي وتأمرونِي" وهل المحذوف نون الرفع أو نون الوقاية ؟ خلاف : ذهب سيبويه[(١)] إلى الأول ورجحه ابن مالك[(٢)] ، لأن نون الرفع قد تحذف بلا سبب كقوله :

أَبِيتُ أَسْرِي وتَبِيتي تَدْلُكي

ولم يعهد ذلك في نون الوقاية ، وحذف ما عهد حذفه أولى ، ولأنها نائبة عن الضمة،وقد عهد حذفها تخفيفا في نحو "إنّ اللهَ يأمُرْكم" (البقرة ٦٧) "وما يُشْعِرْكم" (الأنعام ١٠٩) في قراءة من سكن[(٣)] ،ولأنها جزء كلمة ونون الوقاية كلمة وحذف الجزء أسهل ، وذهب المبرد والسيرافي وابن جنى[(٤)] وأكثر المتأخرين منهم صاحب البسيط[(٥)] وابن هشام[(٦)] إلى الثاني لأنها دخلت

---

(١) انظر سيبويه ٢ / ٣٦٨

(٢) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٢٥ ، والمساعد على تسهيل الفوائد ١/ ٩٨ .

(٣) القراءة لأبي عمرو بن العلاء - السبعة ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤) المقتضب ١/ ٢٤٨ ، والمنصف ٢/ ٣٣٧ فما بعدها .

(٥) هو ركن الدين حسن بن محمد الاستراباذى (٧٧٧هـ) ، انظر حاشية الأشباه والنظائر ١/ ٧٧ (عبد العال) .

(٦) مغني اللبيب ٢ / ٣٤٤ ،وأوضح المسالك ١/ ١٠٩ ،وفي كليهما صحح ابن هشام مذهب سيبويه .

لغير عامل ، فلو كانت المحذوفة لزم وجود مؤثر بلا أثر مع امكانه ، ولأن الثقل نشأ من الثانية فهي أحق بالحذف .(١)

ومع وجاهة التحليل وحسنه في كلا الرأيين السابقين ، نجد الأداء الصوتي لا يعبر عن إحداهما بل يعبر عن حذف واحدة من النونين دون اعتبار لها ، سواء أكانت علامة أم وقاية،إذ في الباقية دلالة على المحذوفة ، وتبقى قرينة الرفع لهذه الأفعال تجردها من الناصب أو الجازم ، ودخول الناصب والجازم قرينة عدم اجتماعهما ، هذه من جهة . والأخرى أن الكسر يدخل الأفعال الخمسة في نحو " تفعلانِ ويفعلانِ " فلم نقي المكسور الكسر ؟ ثم إن النون لا يضيرها أن تتحرك بأى حركة إذ هي علامة الإعراب ، وإنما كانت نون الوقاية لتحافظ على آخر الفعل في غير باب الأفعال الخمسة .

فأما دخولها على الأفعال الخمسة ، فلشدة الارتباط بين هذه النون والياء ، الأمر الذى جعل سيبويه(٢) لا يعد (ياء) المتكلم ضميرا واحدا بل ضميرين،أحدهما المجرور وهو (الياء) في نحو (غلامى) وأما الآخر فالمنصوب وهو عنده " نـي " .

ومما يمكن أن تحمل عليه الآيتان " أتحاجونِّي في الله " و " تأمرونِّي أعبد " أن تخلو كلٌ منها من نون الوقاية ، وتكون هذه المشددة نونَ التوكيد ، إمّا الثقيلة وحينئذٍ تكون نونُ الرفع محذوفةً،أو تكون الخفيفةُ وحينئذٍ يَسلُكُ المثلان

---

(١) الأشباه والنظائر ١/٣٥ فما بعدها .
(٢) سيبويه ٢/٣٦٨

سبيل الإدغام بإسكان نون الرفع وإدغامها في نون التوكيد الخفيفة بالكسر لمناسبة الياء ، وهذا الموضع الذى ورد فيه التوكيد بالنون مما ذكره سيبويه حيث قال : " ومن مواضعها ــ أى نون التوكيد ــ الأفعال غير الواجبة التي تكون بعد حروف الاستفهام ، وذلك أنك تريد أعلمني إذا استفهمت ، وهي أفعال غير واجبه فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهي ، فإن شئت أقحمت النون ، وإن شئت تركت ، كما فعلت ذلك في الأمر والنهي وذلك قولك " هل تَقُولَنَّ ؟ وأَتَقُولَنَّ ذاك؟ وكَمْ تَمْكُثَنَّ . . . وكذلك جميع حروف الاستفهام " . (١)

وقد ورد مما التقت فيه النونان بغير حذف في قوله تعالى " وكادوا يَقتُلونَنِي " (الأعراف ١٥٠) و " أَتَعِدانِنِي " (٢) (الأحقاف ١٧) على الأصل ويرى ابن جنى : إنما جاز الاظهار في هذا ، وإن كان المثلان متحركين في كلمة ، لأنه لا يلزم الأولى أن يكون بعدها مثلها (٣) ، ويحتمل في (أتعدانِنِي) أن يكون عدم الحذف لأمن اللبس ، وذلك حين تعد النون الثانية نونا للتوكيد خفيفة ، فاذا قلت (أتعدانِي) تساوى اللفظ المؤكد مع غير المؤكد .

---

(١) سيبويه ٣/ ٥١٣ ، كما ذكر سيبويه أن النون في قوله تعالى : "أتحاجونِّي" للتوكيد ٣/ ٥١٩ .
(٢) السبعه ٥٩٧ حيث قرأ الجميع بنونين مع سكون الياء عدا الحرميين حيث فتحا الياء .
(٣) المنصف ٢/ ٣٢٧ .

٢) نون الوقاية مع إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ :

هذه الحروف إذا لحقتها ياء المتكلم ، دخلت نون الوقاية لتقيها الكسر ، لأن هذه الحروف مبنية على الفتح ، فأشبهت الفعل الماضي في حركة بنائه (١) ، فيقال : إنَّني ، وأنَّني ، وكأنَّني ولكنَّني وقد حذفت منها إحدى النونات تخفيفا فقيل : انّي وأنّي وكأنّي ولكنّي بنونين فقط ، وثالثتها حذفت كراهة توالي الأمثال .

واختلف في أي النونات المحذوفة على قولين :

أحدهما : نون الوقاية وهو رأي سيبويه (٢) وعليه الجمهور .

والآخر : نون إنَّ ، لأن نون الوقاية دخلت للفرق بين إنَّني وإنِّي وما دخل للفرق لا يحذف .

كما اختلف في أي نوني " انّ " حذفت الأولى المدغمة أم الثانية المدغم فيها؟ ذهب العكبري إلى القول بحذف الأولى فيما نقله السيوطي (٣) .

والخلاف الأخير في أي نوني " إنّ " حذفت ؟ غيرُ مجدٍ ، لأن اللغة تستخدم إنّ المشددة والخفيفة ، كل في موضع فإذا علم حذف احدى نوني " إنّ " علم أنها الخفيفة وليست المشددة . إنما الخلاف في أي النونات المحذوفة ؟ نون من نوني "إنّ" أم نون الوقاية ؟ يحتاج إلى عرض أوسع ، لكون هذه الأدوات " إنَّ وأنَّ ،

---

(١) رصف المباني ٢٠٣ .
(٢) سيبويه ٢/٣٦٨ .
(٣) انظر الخلاف في أي النونات المحذوفة في الأشباه والنظائر ١/٨٣ ، وهمع الهوامع ١/٢٢٥ .

ولكنّ وكأنّ " لها وجهان في الاستعمال أحدهما بالتخفيف ، والآخر بالتشديد ، ولكلٍ سياق ومعنى ، فلو نظرنا إلى " إنّ " من هذه الأدوات ــ مثلا ــ فانه يحتمل أن تكونْ إنْ " في " إنّي " مخففة ، اتصلت بياء المتكلم ، فاجتلبت نون الوقاية ، فأصبحت " إنّي " مُدْغَمة وحينئذ لا حذف فيها .أو تكون الثقيلة ، وحذفت احدى نونيها دون نون الوقاية ، وحينئذ لا يكون فرق في المعنى بينها ، وبين الخفيفة إذ الأصل في المشددة أن تكون آكد . . . ، ولما كنا لا ندرى أى النونات حذفت ، إذ حذف واحدة منها يبقى بَعْدَهُ نونا مشددة ، فقد تعين التخيير في حذف واحدة منها ، لقيام المعنى في المتبقي خاصة إذا ما علمنا أن الاحتمال الأول وهو كونها "إنْ " الخفيفة غير قائم ، لعدم اتصال المخففة بالضمير إلاّ شذوذاً أو لا ضرورة . قال ابن عصفور:" وأما إنّ فإنها إذا خففت يجوز إلغاؤها وإعمالها ، فإذا أعملت فإنها بمنزلة المشددة في كل شيء إلا أن اسمها لا يكون مضمرا إلا في ضرورة فتقول " إنْ زيداً لقائم " ولا تقول " إنْك لقائمٌ : تريد انّكَ لقائمٌ " [(١)] ومثلها في ذلك " أنّ " المفتوحة ، فإنها إذا خففت لا يكون اسمها إلا ضمير شأن لا يبرز إلا في ضرورة [(٢)] ، أما كأنّ اذا خففت فانه يجوز فيها أن يكون اسمها ظاهرا أو ضمير شأن ولا يكون ضميرا متصلا بها [(٣)] . هذا في مذهب من يعمل " أن " المخففة ، أما من ذهب إلى أنها لا تعمل [(٤)] فلا يقع بعدها ضمير نصب مطلقا

---

(١) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/ ٤٣٧ .

(٢) الجنى الداني ٢١٧ .

(٣) رصف المباني ٢٨٦ .

(٤) هو مذهب الكوفيين أنّ " أن " المخففة المفتوحة الهمزة لا تعمل في ظاهر ولا مضمر، الجنى الداني ٢١٩ .

وما بعدها إن لم يكن فِعْلا فهو مرفوع على أنه مبتدأ .

وكالسابقات تكون " لكنّ " إذا خُفِّفت أهملت بإجماع النحاة[١] ،
فلا يقع بعدها متصلا بها وهي مخففة ضمير نصب لعدم عملها .

وعلى هذا فإذا ما لحق " إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ " ياء المتكلم ،
وحذفت إحدى النونات ، فهي المشددة مطلقا في جميع المواطن ،
وهذا ما دعانا الى القول بالتخيير في حذف إحدى النونات منها
دون تعيين،لانتفاء اللبس وقيام الدليل على كونها هي المشددة .

٣) نون الوقاية مع نون " من وعن ومع قط وقد " :

فمن وعن وقط وقد تلحقها نون الوقاية ، ولا يجوز حذفها
فتقول " منّي وعنّي وقَطْني وقَدْني " إلا في ضرورة الشعر ، وهو ما نص
عليه سيبويه بقوله " وقد جاء في الشعر قطي وقدى ، فأما الكلام فلا
بد من النون ... "[٢] وذكر قول الشاعر :

قَدْنِي من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي ليْسَ الإمام بالشَّحِيحِ المُلْحِدْ[٣]

ومثله في الحذف للضرورة حذف نون مِنْ وعَنْ ، قال الشاعر :

أيها السائِلُ عَنْهُم وعَنِي لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ ولا قَيْسُ مِنِي

وعلة عدم حذف النون في الكلام سكون آخر الكلمة ، ولم يلجأ
في الكلام إلى الحذف لإمكان الإدغام في " منّي وعنّي " ولعدم تتابع
مثلين في " قَدْني وقَطْني ... "

---

(١) انظر رصف المباني ٣٤٧ ، ٣٤٨ حيث ذكر رأيا شاذا للسهيلي في إعمالها مخففة .
(٢) سيبويه ٢ / ٣٧١
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٣٧١

٤) نون الوقاية مع لعلّ ، وهي تدخلها كما تدخل الأفعال وقاية لها من كسر مناسبة الياء ، إلاّ أنها يجوز حذفها لوجود التقارب بين " اللام والنون " ، فأما المحذوف هنا فهو النون صراحة لا ختلاف الصوتين قال المبرد في علة حذف نون الوقاية من لعل: " إنما ذلك لأن "لعلّ" مُضَعَّفَة ، وهي أقرب الحروف من النون وتعاقبها وتدغم كل واحدة منها في صاحبتها (١) ولم ترد في القرآن (٢) متصلة بياء المتكلم الآ بالحذف من نحو قوله تعالى " لَعَلِّي آتيكم منها بِقَبَسٍ " (طه ١٠) و " لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسبابَ " (غافر ٣٦) .

٥) نون النسوة مع نون الوقاية :

في مثل قولك : " هُنَّ يَضْرِبْنَنِي " يمتنع الحذف ويلزم ذكر النونين أمنا للبس ، فلو قلت في " يَضْرِبْنَنِي " بكسر النون لأجل الياء لا لتبس ذلك " بيَضْرِبْنِي " المضارع المتصل بضمير النصب " الياء " إلا في ضرورة شعرية نحو :

تَرَاهُ كالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكاً يسوء الفاليات اذا فَلَيْنِي (٣)

ويمتنع الإدغام هنا لسببين :

أولهما : أن الإدغام في مثل هذه الحال يؤدى إلى التقاء ساكنين أولهما ساكن صحيح ، إذ الفعل إذا اتصل بضمير رفع متحرك (نون النسوة) سكن آخره ، فإذا أدغمت النونان

---

(١) المقتضب ١/ ٢٥٠ .
(٢) انظر عمدة الحافظ وعدة اللافظ ١٤٤ .
(٣) سيبويه ٣/ ٥٢٠

التقى ساكنان على غير حده الجائز ، ولذلك تجد لغويا كابن جني يجيز الإدغام إذا ما كان الفعل معتل الآخر إذ يقول : " . . . ولكن من قال " رَضَيْنَنِي ، وهَوَيْنَنِي " جاز له الإدغام - وإن اجتمع ساكنان - لأنّ قبل الأول منهما ياءً مكسورا ما قبلها فجرت مجرى الواو في أتحاجونّي ".(١)

والآخر : أن الإدغام في مثل هذا يؤدى إلى اللبس بالفعل المؤكد بنون التوكيد الثقيلة ، إذا كان أمرا أو مضارعا فتقول مثلا في : " اضْرِبْنَنِي " اضْرِبَنِّي ، فتحرك لام الفعل لالتقاء الساكنين ، وتجعل بناء الأمر على الفتح ، ثم تدغم النونين ، فلا يكون هناك مانع دون اللبس بين الأمر المسند لنون النسوة المتعدى لنصب مفعول به هو " الياء " ، وبين الأمر المؤكد بنون التوكيد الثقيلة المتعدى إلى الياء - أيضا - ومثله المضارع تقول في " يَضْرِبْنَنِي = يَضْرِبَنِّي " لا تدرى إن كان مضارعا مؤكدا أم مسندا إلى نون النسوة متعديا إلى الياء ولذلك تجد امتناع الحذف والإدغام واحتمال ثقل توالي المثلين حفاظا على القرينة اللفظية الفارقة بين مختلف الاستعمالات .

٦) إنّ وأنّ ولكنّ مع " نا " الضمير :

إذا دخلت " إنّ " على " نا " توالت ثلاث نونات " نونا (إنّ) ونون الضمير (نا) " ، وجاز حينئذ حذف واحدة منها لدلالة المتبقية على المحذوفة . واختلف في أى النونات المحذوفة : أهي

---

(١) المنصف ٢ / ٣٣٨ .

إحدى نوني إنّ أم نون الضمير ؟ وقد ذكره السيوطي إذ قال:
" إذا اجتمع نون الضمير ونون الحروف الأربعة المذكورة جاز حذف احداهما نحو " إنّا ولكنّا " وهل المحذوفة الأولى المدغمة أو الثانية فيها ؟ القولان السابقان ، ولم يجز هنا القول بأن المحذوفة نون الضمير لأنها اسم فلا يحذف "(١) وكذلك ذكره في همع الهوامع الا أنه أضاف أن ابن قاسم في شرح الألفية قال بحذف نون الضمير (٢) ، والأوجه أن يقال : إنه حُذفت إحدى النونات بدون تعيين لقيام الدلالة على الحذف، ولعدم معرفة المحذوفة حقيقة .

وأما من استند إلى أن نون الضمير اسم فلا تحذف ، فهي كذلك إن لم يُدَّل عليها بشيء منها أو بالسياق وهي أي نون الضمير " متكون من حرفين " النون والألف " والأخير صائت طويل مسموع . ثم إنه يقال هنا ما قيل في إن مع ياء المتكلم من أنها ــ أي إنّ ــ اذا خففت لا يكون اسمها ضميرا متصلا بها وهو ما يدل على أن (إنّا) ليست إلا أنّ (المشددة) والضمير " النون " .

٧) نون الأفعال الخمسة مع نوني التوكيد :

ذلك أنه إذا أكد الفعل المضارع المرفوع من الأفعال الخمسة ، اجتمع في آخره نونان أو ثلاث نونات ، الأولى علامة رفع الأفعال الخمسة ، والباقية نون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة ، وكراهة لتوالي الأمثال حذفت إحدى هذه النونات ، وإنما سلك طريق الحذف

---

(١) الأشباه والنظائر ١/ ٣٦ .
(٢) همع الهوامع ١/ ٢٢٥ .

تخفيفا ، لامتناع الإدغام في هذه الحال ، لسكون نون التوكيد الخفيفة وكون الثانية نونا مشددة ، ولا يدغم متحرك في ساكن ، ولا ساكن في مشدد (مدغم) ، وحينئذ حذفت إحدى النونات ، وعلى رأى سيبويه أن المحذوفة هي نون الرفع ، قال : " وإذا كان فعل الاثنين مرفوعا وأدخلت النون الثقيلة حذفت نون الاثنين ، لاجتماع النونات ... " .(١) ثم قال : " وإذا كان فعل الجميع مرفوعا ثم ادخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع وذلك قولك " لَتَفْعَلُنَّ ذاك " ، " لَتَذْهَبُنَّ " لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات ، فحذفوها استثقالا ، وتقول " هل تَفْعَلُنَّ ذاك ، تحذف نون الرفع ، لأنك ضاعفت النون ، وهم يستثقلون التضعيف فحذفوها إذ كانت تحذف" وهم في هذا الموضع أشد استثقالا للنونات ، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا ، بلغنا أن بعض القراء قرأ " أتحاجوني " وكان يقرأ " فيم تبشرونِ " وهي قراءة أهل المدينة ، وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف ... " .(٢)

ورأى سيبويه في أن المحذوفة هي نون الرفع صحيح ، ولا نقول بالتخيير في حذف احدى النونات ، لوجود احدى النونين خفيفة ساكنة ، والأخرى ثقيلة وهما الباقيتان بعد الحذف على غير ما تبقى عليه النونات السابقات ، فكان التخيير هناك ، ولزم حذف نون الرفع هنا . وكذلك لاختلاف القِيَم الصوتية الناتجة عن حركات نون الرفع ونوني التوكيد فبينما الأولى مفتوحة تكون الأخريان مشددة

---

(١) سيبويه ٣/ ٥١٩ .

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٥١٩ ، ٥٢٠

مفتوحة أو ساكنة ، وهذا يدعو إلى القول بسقوط النون الأولى " نون الرفع " .

٨) ويحذف عند النسب إلى ما آخره ياء مشددة زائدة أو ياء مشددة احدى يائيها زائدة والأخرى أصلية ، فتحذف الياء المشددة الزائدة من الاسم المنسوب إليه وتحلُ محلها ياء النسب حتى لا تتوالى الياءات في آخر الاسم عند النسب،وذلك قولك في النسب رُوميّ - وكُرْسيّ حيث يعتمد على السياق اللغوى في تحديد المعنى المراد من اللفظ : كُرْسِيّ - ورُوميّ ، أهو منسوب إليه ، أم أنه اسم للكرسيّ (الآلة المعروفة) أو واحد الروم بالنسبة للأخير .(١)

وكذلك يصح في النسبة الى اسم المفعول من الفعل الثلاثي اليائي الآخر كهدى ورَمى أن يُقال: مَهْدِيّ ومرميّ بحذف الياء المشددة في آخره المكونة من يائين إحداهما منقلبة عن واو المفعول والأخرى لام الكلمة ، كراهة اجتماع الياءات في آخر الاسم المنسوب اليه .(٢)

ويصح حذف واحدة وقلب الأصلية مخالفة لياء النسب وذلك قولك مَرْمَوِيّ ومَهْدَوِيّ ، وعند اختيار الأول يكون اختياراً ملبساً لا يدرى إن كان (مَرْميّ) اسمَ مفعول أم اسمَ مفعول منسوباً إليه والعمدة السياق اللغوى .

وكذلك في النسبة إلى هُذَيْل وقُرَيْش قبيلتان يقال هُذَلِيّ ، وقُرَشِيّ بحذف الياء المتوسطة لاجتماع ثلاث ياءات عند النسبة احدث ثقلاً،فعُدِل إلى الأخف حين لا يكون خفيفا إلا بالحذف ، وقد لا

---

(١) انظر شرح شافيه بن الحاجب ٢/ ٩ ، ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤٩ ، ٥٣ .

يحذف عند الالباس كما في النسبة إلى " فُقَيم كِنَانَة " و " مُلَيْح خُزاعَــة "
فرقا بينهما وبين فُقَيْــم بن جريرٍ التميمية ومُلْيح بن الهونِ بن خُزَيمه. (١)
وتحذف الألف الخامسة فصاعدا من الاسم المنسوب إليه ، ذلك أنهـا
لو بقيت لكان مصيرها أن تنقلب إلى ياء لمناسبة الكسرة التي تسبــق
ياء النسب ، فتجيء ألفاظ مثل " حُبَارى وجُمادى " منسوبا اليهــا ،
بحذف الألف كراهة أن تنقلب إلى الياء فتكثر الياءات إذا اجتمعت مع
ياء النسب فتصبح . حُبَارِىّ وجُمادِىّ .

---

(١) انظر النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢ / ٨٠٨٢ .

المبحث الثالث :

(المخالفة)

والمخالفة وسيلة أخرى من وسائل التخفيف من ثقل المثلين أو الأمثال التي أوجدتها اللغة كي تتخلص بها من هذا الثقل .

والمخالفة في عرف اللغويين المحدثين ، تعني " إحلال صوت محل أحد صوتين متماثلين تماما [١] . ويكون الصوت الحالّ أحد الأصوات الصائتة أو أحد الأصوات الشبيهة بها وهي اللام والميم والراء والنون [٢] ، وأكثر هذه الأصوات شهرة في الاستعمال العربي احلال الياء محل أحد المثلين أو الأمثال وقد عرف القدماء " المخالفة " وجرت في كتبهم ضمن مباحث الإبدال " . [٣] وأشاروا إلى أنها أحدُ ما يخفف به من اجتماع المثلين أو المتقاربين . [٤]

ويفترض بعض المعاصرين [٥] " أن تكون الكلمات العربية الكبيرة البنيه التي تشتمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين مثلين . . . من مثل الكلمات : حَرْجَل ــ حَجَّل ــ وجلمد ــ وجَمَّد ، وَعَنْكَب ــ عَكَّب . . . " [٦] ، وإلى مثل ذلك ذهب هنرى فليش لكنه يرى : " أن المخالفة في مثل هذه الصيغة لم تتدخل لعلاج صعوبة نطقية ، وإنما كان ذلك لتضخيم الكلمة وتكبير حجمها بوساطة هذه القاعدة العامة في العربية [٧] ، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الصيغة (فَعَّل) مضخمة بالتضعيف نتيجة التحول

---

(١) التطور اللغوى علله وقوانينه ص ٣٧ بتصرف .
(٢) المصدر نفسه ٣٧ .
(٣) انظر كتاب الإبدال لابن السكيت ، وسر صناعة الإعراب ٢ / ٧٤٠ وفي حديثه عن كل صوت أنه يقع أصلا وبدلا وزائدا .
(٤) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ٢٢٨ .
(٥) انظر دراسة الصوت اللغوى ٣٣٠ .
(٦) المصدر نفسه ٣٣٠ .
(٧) العربية الفصحى (هنرى فليش) ١٥٦ .

الداخلي في صيغة الثلاثي الذى أشار اليه هنرى فليش أو أشار إليه بالقاعدة العامة العربية ، فلما كانت تلك الصيغة المتحولة مستثقلة ككراهتهم التشديد خولف بينهما بإبدال الساكن منهما صوتا مخالفا للآخر ، وبالتالي لم تكن هناك رغبة في التكبير والتضخيم الذى أشار اليه فليش ، خصوصا وأن المدغم المشدّد يعطى من حيث الإيقاع الكمي إحساسا بوجود الصامت المدغم الأول ، يدل على ذلك التقطيع المقطعي للصيغتين فَعَّل ← حَجَّل ، وفَعْلَل ← حَرْجَل ، فهما متكونتان من مقاطع متماثلة (ص ح ص / ص ح / ص ح) والايقاع في العربية يتكيء على المقاطع بدرجة كبيرة . (١)

فالمخالفة إذن اتجاه لغوى يعمد الى التخفيف من ثقل توالي المثلين أو الأمثال ، ويرى علماء اللغة المحدثون أن " قانون المخالفة " قانون يسير ضد قانون المماثلة " بمعنى أنه إذا كان من نتائج الأخير أنه يلغى القيم الخلافية للحروف (الفونيمات) سواء من حيث المخرج أو الصفة فإن قانون المخالفة يعمق الخلاف في النسق الصوتي بين الحروف لتبرز في صورة أكثر استقلالية . (٢)

وفي حين تهدف المماثلة إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق ، ولا تلقى بالا إلى الجانب الدلالي الذى يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين ، فإن المخالفة ينظر اليها ــ عكس ذلك ــ على أنها تهدف الى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات . . " . (٣)

فالمماثلة والمخالفة يمثلان عاملين يتجاذبان اللغة ولكل فاعليته وتأثيره ولكل منهما هدفه وغايته ومن صراعهما يحدث التوازن بين مطلب سهولة النطق

---

(١) دروس في علم الأصوات (كانتينو ١٩٨) .
(٢) دراسة الصوت اللغوى ٣٢٠ بتصرف .
(٣) المصدر نفسه ٣٢١ .

ومطلب سهولة التفريق بين المعاني "[١].

والذى يظهر لي أن هذين القانونين حملا وظائف أخرى ليست بذات علاقة بما تفسره ، فالتوازن بين مطلب سهولة النطق ومطلب التفريق بين المعاني يتكىء على القرائن المساعدة المتضافرة في السياق اللغوى ، بل إن المخالفة في ذاتها ليست الا طريقا من طرق التخفيف قد يحمل قرينه لفظية ذات دلالة على بنية الكلمة أو أصل بنيتها كما سيأتي بيانه .

ويذهب " برجستراسر " مذهبا بعيدا حين يشرح علة التخالف بقوله " أما التخالف فالعلة فيه نفسية محضة ، نظيره الخطأ في النطق ، فإنّا نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذى أرادوه ، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه ، بعد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ ، إذا أسرع الانسان في نطق جملة محتوية على كلمات ، تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة وكثيرا ما يتسامر الصبيان بالتسابق إلى نطق أمثال هذه الجمل بسرعة ويبدون خطأ " .[٢] ويبدو من مقولته الأخيرة بتسامر الصبيان متسابقين في نطق هذه الجمل أن العلة في التخالف ليست إلا عضوية صرفة .

وكذلك فإن العلة في وجود ظاهرة المخالفة في اللغة إنما كان بسبب الجهد العضلي المستثقل في أداء الأصوات المتماثلة ، يدل على ذلك تعدد اتجاهات التخفيف من إدغام وحذف ومخالفة وفصل ، ويدل عليه كذلك أن الصوت المخالف غالبا ما يكون صوت علة (صائت) طويل الياء ، أو الألف ، أو

---

(١) دراسة الصوت اللغوى ٣٢١ ، وانظر اللغة لفندريس ص٩١ وما بعدها .
(٢) التطور النحوى للغة العربية ٣٤ .

الواو ، وكذلك غالبا ما يقع بدلا من أحد الأمثال " الساكنة " لا المتحركة كَظَنَّيْتُ من تَظَنَّنْتُ،إذ حلت الياء محل " النون " الساكن الثالث من الأمثال المتوالية في هذه الكلمة .

ويبدو من خلال هذا المثال القرينة اللفظية التي تحملها المخالفة والتي وعدنا بالاشارة إليها قبل قليل . حيث ما زالت الصيغة بعينها (١) " تفَعَّلْتُ " في كلا اللفظين الأصل والمخالف ، وذلك لإيقاع صوت العلة الصائت بدل واحد من المثلين ، وهذا نتيجة موقعيـة تكون فيه الياء معدودة في الصوامت في النظام الصوتي للغة العربية،وإلا فهي في علم الأصوات صوت واحد من حيث المخرج والصفة (٢) ، وإنما يضيق مخرجها فيصيبها نوع من الحفيف لموقعيتها (٣) .

كما طمح في شيوع استخدام الأصوات الصائتة مبالغة في اطراح المجهود العضلي،فكان يمكن أن يحافظ على الصيغة بتحويل أحد الصوتين الى مثل ساكن صامت كاللام والميم والراء . . . " ولكن الصوامت تحتاج إلى حركات عضوية لسانية غالبا ، وهو الأمر الذى أسبدل صائتاً طويلاً يكون فيه ـ اللسان ـ في وضع حيادى (ساكن) وإن ساعد في تشكيل حجرة الرنين المناسبة لاصدار الصوائت .

ويكون اتجاه المخالفة كتخلص من ثقل توالي المثلين أو الأمثال إذا ـ امتنع الإدغام والحذف ، ذلك أن الإدغام يمتنع إما لسكون الثاني من المثلين

---

(١) أشار الصيمري إلى أنهم يعمدون إلى إبدال الياء من الصحيح الساكن حتى لا يتحرك حين ذكر قول الشاعر :

لها أشاريرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمِّرُه   من الثَّعَالِي وَوَخْزٌ من أرانِيها

حيث يقول " لو ترك الياء للزمه أنْ يحركها ، ولو حركها لانكسر الشعر ، فأبدل منها حرفا لا يحرك في مثل موضعه وهو الياء،وشبهه بتظنيت " انظر التبصرة والتذكرة ٢ / ٨٣٧ .

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٣٦ .

(٣) الأصوات اللغوية (أنيس) ٤٢ .

سكونا لازما لإسناد المضعف إلى ضمير الرفع المتكلم (ظَنَنْتُ) أو لأن المتوالى من الأمثال ثلاثة ، اثنان منهما مدغمان كما في " تَظَنَّنْتُ " أو يؤدى إلى الابتداء بالساكن أو التقاء الساكين وهما أمران لا يجيزهما نظام اللغة ، فيحتمل الثقل لأجلهما ، أو يسلك بهما اتجاها آخر في التخفيف كالحذف فيقال في " ظَلَّ وَمَسَّ " مسندا إلى الفعل " ظِلْتُ ومِسْتُ " بحذف واحد من المثلين وهو طريق يؤدى إلى اللبس إذ لا يعلم إن كان أصله المضعف أو المعتل ، إذ يحذف من الأخير لالتقاء الساكين فيقول في " طَاب وخَاف " مسندا طِبْتُ ـ وخِفْتُ . ولما كان ذلك كذلك اتجه إلى المخالفة فرارا من ثقل المثلين في المواطن التي امتنع فيها الادغام ، وقد يتجاوز طريق المخالفة الممتنعَ من الإدغام الى المدغمين نحو " دِنَّار " و " قِرَّاط " فَيَحُلُّ محل الساكن في المدغمين صوت " الياء " فيقال " قِيْرَاط ودِينَار " .

وسنتناول الآن أشهر المواطن التي وقعت فيها المخالفة تخفيفا من الثقل :

أولا : المضعف المسند إلى ضمير الرفع المتحرك :

المضعف عند إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك يفكُّ إدغامه ويتوالى المثلان غير مدغمين لسكون الثاني من الأمثال ، وقد تتوالى في المضعف ثلاثة أمثال عند تضعيف عين المضعف فيصبح ظَنَّ ـ ظَنَنْتُ ـ تَظَنَّنْتُ ، فيخالف في الأخيرة بين الأصوات المتماثلة وتحل الياء محل الساكن غير المدغم فتصبح = تظنّيت .

ويقال في : أمللت ← أمليت ، وعليها قوله تعالى " فَهِيَ تُمْلَى عليه بُكْرَةً وأَصِيلا " (الفرقان ٥) أى تُمَلُّ لقوله تعالى:

" فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ "(١) (البقرة ٢٨٢) .

وكذلك تقول في " قَصَّصْتُ وتَقَصَّصَ وتَلَعَّمْتُ ، وتَسَرَّرْتُ — قَصَّيْتُ وتَقَصَّى(٢) وتَلَعَّيْتُ وتَسَرَّيْتُ "(٣) بإبدال المثل الأخير ياء .

ومنه قوله تعالى " ثم ذهب إلى أهله يَتَمَطَّى " (القيامة ٣٣)

وقوله تعالى " وَقَدْ خابَ من دَسَّاها " (الشمس ١٠) ، وقوله تعالى " فَانْظُرْ إلى طَعامِكَ وشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ " (البقرة ٢٥٩) . وأصلها على التوالي: يتمطَّط ، ودَسَّسها ، ولم يَتَسَنَّن " أبدلت فيها الياء من موضع المثل الأخير .

ويبدو لنا من اسناد المضعف الى ضمير الرفع المتحرك ثلاث ملاحظات :

الأولى : أنه أحدث تطورا في بنية المضعف تحول به إلى بناء معتل الآخر،لتحرك الياء المبدلة وانفتاح ما قبلها فأصبحت ألفاظ مثل " تَمَطَّطَ ، ودَسَّسَ ، وتَقَصَّصَ ، وأَمْلَلَ " ـ تَمَطَّى ، ودَسَّى ، وتَقَصَّى ، وأَمْلَى ، وكأنما قد تُنُوسي الأصل واستعملت استعمالها عند الاسناد . .

الثاني : أنه أحدث تطورا في استعمال صيغة محلّ صيغة أخرى ، ذلك أن المضعف لا يستعمل في اللهجات المعاصرة إلا على صيغة " فَعَّل " عند الإسناد ، فيقال : عَدَّيْتُ ومَدَّيْتُ وشَدَّيْتُ بمعنى عَدَدْتُ وشَدَدْتُ ومَدَدْتُ ، وكأنما

---

(١) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٣ / ٨٠٠ .
(٢) قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .
(٣) انظر الأمثلة في سر صناعة الإعراب ٢ / ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٣، ٧٥٥ ، ٧٤٤ ، وكتاب القلب والإبدال ص ١٢٣ .

استخدمت فَعَّلْتُ بمعنى فَعَلْتُ : ويقتصر ذلك الاستخدام عند الإسناد فقط .

الثالث: أنه قد يبالغ في تناسي الأصل فتتصرف الكلمة وكأنما هي ممتلة الآخر ذلك هو أَمْلَى ـ يُملي ، . . . وتصرف الأصل كذلك فيقال أَمْلَلَ ، يُمِل .

ويتحدث ابن جنى عن المخالفة في التضعيف فيقول " وإذا كانوا قد هربوا من التضعيف إلى الحذف ، نحو ظِلْتُ ومِسْتُ وأَحَسْتُ وظَنْتُ ذاك أى ظَنَنْتُ ، كان الإبدال أحسن وأسوغ ، لأنه أقل فحشا من الحذف ، وأقرب " .(١)

كما يرى ابن جنى أنه قد يعدل عن الحرف الثقيل الى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف ، وعقد لذلك بابا(٢) ، في الخصائص قال فيه : " وذلك أنه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها ، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان فيخفَّا على اللسان " .(٣)

وضرب لذلك مثلا لكلمة " الحيوان " قال : ألا ترى أنه عند الجماعة ـ إلا أبا عثمان ـ من مضاعف الياء وأن أصله " حَيَيَان " فلما ثقل عدلوا عن الياء إلى الواو وهذا مع احاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء ، لكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك " .(٤)

ثانيا : النسب إلى المنقوص والمقصور :

حيث تجتمع في بعض الأبنية كاسم المفعول وصيغة فعيل

---

(١) الخصائص ٣/١٩ .
(٢) المصدر نفسه ٣/١٨ .
(٣) المصدر نفسه ٣/١٨ .
(٤) المصدر نفسه ٣/١٨ ، وانظر المنصف ٢/٢٨٤ .

وفعيل ، ياءان إحداهما مزيدة والأخرى أصلية هي لام الكلمة، فعند النسبة إلى اسم المفعول من الفعل الثلاثي اليائي الآخر تجتمع الياء وواو الصيغة التي تقلب إلى ياء لاجتماعها وهي ساكنة مع الياء، فتدغم في الياء (لام الكلمة)، وذلك قولك من رَمَى وهَدَى ، مَرْمِيّ ومَهْدِيّ ، فعند النسبة إليهما تحذف الياء المنقلبة عن الزائدة وتقلب الأصلية إلى واو مخالفة لياء النسب المشددة فتقول مرمويّ ومهدويّ ، وذلك كراهة أن تجتمع الثلاث ياءات في آخر الاسم المنسوب إليه .

ومثل ذلك يقال في " فَعِيل وفُعَيل " من اليائي نحو النسبة إلى غَنِيّ وقُصَيّ يقال غَنَوِيّ وقُصَوِيّ ، بحذف الزائدة (ياء فَعِيل وفُعَيل) وقلب الأصلية إلى واو كراهه اجتماع الياءات فتقول فيهما غنويّ وقصويّ .(١)

وكذلك الياء المفردة في آخر الاسم المنسوب إليه نحو " عَمٍ وشَجٍ " إذا كان مكسورا ما قبلها قلبت الياء واوا عند إلحاق ياء النسب فتقول " عَمَوِيّ وشَجَوِيّ " مع تحريك ما قبل الواو بالفتح كراهة اجتماع الكسرات مع الياءات . يقول سيبويه في ذلك : " وإذا كانت الياء ثالثة ، وكان الحرف الذى قبل الياء مكسورا ، فإن الإضافة إلى ذلك الاسم تصيره كالمضاف إليه في الباب الذى فوقه(٢) ، وذلك قولهم في عم = عمويّ . . وقالوا كلهم في الشّجيّ شجويّ وذلك لأنهم رأوا فَعِل بمنزلة فَعَل في غير المعتل ، كراهية للكسرتين مع الياءين ومع توالي

---

(١) سيبويه ٣ / ٣٤٤ .

(٢) أراد بقوله (كالمضاف اليه) في الباب الذى فوقه ما كان آخره ألفا نحو هُدَى وحَصَى ، يقال حَصَوِيّ وهُدَوِيّ ، ٣ / ٣٤٣ .

الحركات " .(١) وتقلب الياء واوا أو همزة إذا كان قبلها ألف نحو رايـة وسقاية فتقول: راويّ وسقاويّ أو رائِيّ وسقائِيّ ، كل ذلك لأجل كراهة توالي الأمثال ، ولعل الهمزة وهي صوت يكثر تخفيفه بالحذف والتسهيل والإبدال قد قلبت إليه الياء تحقيقا للتخالف الذى يعد طريقا من طرق التخلص من ثقل توالي المثلين أو الأمثال - رغم ثقل الهمزة - وهذا يؤيد قول ابن جنى الذى سبق الإلماح إليه(٢) حيث يلجأ الى الثقيل في نفسه (الواو أو الهمزة) لتحقيق التخفيف الناتج عن التجاور أو تتكرر الأمثال في الكلمة الواحدة أو ما هو مثلها . وكذلك النسب إلى ما آخره ألف فإنها تحذف فيما كانت فيه خامسة فما فوق كـ " حُبَارَى وجُمَادَى " تقول " حُبَارِيّ وجُمَادِيّ " .(٣) ، وتقلب الرابعة فما دون واوا ، إذ مصيرها أن تنقلب إلى ياء لمناسبة ياء النسب ، وحتى لا تجتمع الياءات قلبت الألف واوا فتقول في " عصا ورحى " : عَصَوِيّ ورَحَوِيّ " .(٤) وكذلك تقول في النسبة إلى " حُبْلَى ومَلْهَى " : " حُبْلَوِيّ ومَلْهَوِيّ " .(٥)

ثالثا : الهمزتان الملتقيتان في كلمة أو كلمتين :

حيث تبدل الهمزة الثانية من المجتمعتين صائتا طويلا من جنس حركتها أو من جنس حركة الهمزة السابقة عليها ، كراهة أن

---

(١) سيبويه ٣/ ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
(٢) انظر ص ١٢٤ .
(٣) سيبويه ٣/ ٣٥٤ .
(٤) سرح المفصل ٥/ ١٤٩ .
(٥) انظر المصدر السابق بتصرف .

تلتقي الهمزتان،فخولف بينهما بقلب أو إبدال إحداهما صوتا صائتا وسنجمل الأحكام المتعلقة بذلك والتي توضح كيف تمّ تحقيق المخالفة بين الهمزتين على النحو التالي :

أ) إذا اجتمعت الهمزتان في كلمة وكانت الأولى منهما متحركة والثانية ساكنة أبدلت الثانية من جنس حركة الأولى (١) نحو قولك في : أُؤْتُمِنَ ← أُوتُمِنَ ، وفي إِئْتِ ← إِيتِ ، وفي أَأْمَنَ ← آمَنَ ، ونحو ذلك . وقلبت من جنس حركة ما قبلها تناسبا بين حركة الهمزة الأولى والصوت الذى انقلبت إليه حتى تشكل معها ما نسميه صائتا طويلا ،إذ هو مكون من صائتين قصيرين أحدهما هو حركة الهمزة الأولى، وذلك أن آمَن مكونة من ص ح ح = آ ، وص ح ، ص ح =مَن بينما قبل الإبدال (المخالفة) كانت مكونة من ص ح ص = أَأْ، ولا تغيير في باقي الكلمة .

ب) وإذا اجتمعت الهمزتان في كلمة وكانتا متحركتين قلبت الثانية وجوبا (٢) على النحو التالي :

— إن كانت الثانية لام الكلمة قلبت ياء كقولك " قَرْأَى " على مثال جَعْفَر وكذلك قولك في جمع خَطِيئَة ورَزِيئَة على " فَعَائِل " حيث تصبح خَطَايا ورَزَايا ، وفي إحدى مراحل تحولها حدثت بها مخالفة حيث كانت " خَطَايِءُ " على فَعَايِل كقَبِيلَة وقَبَايِل ثم هُمِزَتْ الياء فأصبحت " خطائِئُ " على فَعَائِل كقَبِيلَة وقَبائِل ثم قُلِبَتْ الهمزة الثانية ياء

---

(١) انظر شرح شافية ابن الحاجب ٣/٥٥ .
(٢) المصدر نفسه ٣/٥٥ .

لاجتماع الهمزتين فأصبحت " خطائِئُ " وهذا الشاهد حيث حولت إحدى الهمزتين ياء كراهة اجتماع الهمزات ولوقوعها لاما للكلمة . ثم أبدلت مكان الياء ألفا فصارت " خَطَاءَا " كما تقول في " مَدَارا ومَعَايا " لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم أبدلوا الهمزة الواقعة بين ألفين فأصبحت " خَطَايَا " لأنها ــ أي الهمزة ــ قريبة المخرج من الألف فكأنك جمعت بين ثلاث ألفات على حد قول المازني (١) .

وكل اسم فاعل لفعل ثلاثي أجوف لامه همزة تقلب الهمزة الآخرة فيه إلى ياء ثم تحذفها كما تحذف في قاض وغاز ، وذلك أنك تقول في اسم الفاعل من جاءَ وشاءَ : جاءٍ وشاءٍ ، وأصله على الشكل التالي : جائِئٌ وشائِئٌ ← جائِيٌ وشائِيٌ ← جاءٍ وشاءٍ ، لالتقاء الساكنين ، قال ابن جني : " ولا بد من قلب الثانية وإخراجها من باب الهمز أصلا (٢) .

ـ وإن كانت الثانية من الهمزتين المتحركتين غير لام " فانها لا تخلو من أن تكون : (٣)

أ) مكسورة وحينئذ تقلب ياء أيّاً كانت حركة الأولى ، وذلك في مثل : " أَئِمَّة " وهو موضع اتفق النحاة والقراء في التخفيف على إبدال الهمزة الثانية فيه ياء محضة لأنها من كلمة واحدة (٤) .

---

(١) انظر المنصف شرح تصريف المازني ٢ / ٥٤ ، ٥٥ ، وانظر الحديث في نفس الصفحات عن جمع خطيئة ونحوها .
(٢) المنصف ٢ / ٥٢ .
(٣) انظر شرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٥٦ بتصرف .
(٤) الاقناع في القراءات السبع ١ / ٣٧٤ .

ب) أو مضمومة وحينئذ تقلب واوا نحو أُوَبُّ أفعُل من أَبَّ يؤُبّ وأصلها أأْبُبُ ، أو أوُمّ أفعُل أَمّ يؤُمّ .

جـ) أو مفتوحة بعد مضمومة فتقلب حينئذ واوا - أيضا - نحو قولك "أُوَيْدِم" تصغير آدَمَ وأصلها أُأَيْدِم .

د) أو مفتوحة بعد مفتوحة فتقلب واوا - أيضا - نحو قولك أَوَادِم جمعا لآدَمَ ، وأصلها "أَأَادِم" ، فقلبت الثانية واوا مخالفة بين الهمزتين ويرى المازني أن[1] القلب هنا حاصل للألف المبدلة من الهمزة في المفرد "آدم" وعلى رأيه لا يكون فيه شاهد على المخالفة بين الهمزتين إلا في المفرد فقط . فأما صيغتا التصغير والجمع فإنه يُجْريهما على "آدم" الذى أبدلت فيه الألف مكان الهمزة وحينئذٍ يكون القلب للألف لا الهمزة ، ولا شاهد لنا فيه .

هـ) أو مضمومة بعد مكسورة ، وهذا لا يوجد في كلام العرب على حد تعبير الرضى[2] ونرى ما يعضده في قول ابن جني[3] : " ولا يوجد في الكلام " فِعُل " بكسر الفاء وضم العين وإنما لم يجيء ذلك كراهية خروجهم من الكسر إلى الضم بناء لازما ، وإذا كانوا قالوا : " اُقتُل" فضموا الهمزة لضمة التاء ولم يكسروها على ما كان يجب فيها مع أن بين الهمزة والتاء حاجزا وهو القاف فألا يخرجوا من كسر إلى ضم بلا حاجز أجدر " .

---

(١) المنصف ٢ / ٣١٤ .
(٢) شرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٥٦ .
(٣) في المنصف ١ / ٢٠ ، والخصائص ١ / ٦٨ وفيه حديث ضاف عن كراهة الخروج من كسر الى ضم .

ويشير ابن جني إلى أن التقاء الهمزتين في كلمتين لا يلزم تخفيفها إذ لا يلزم ما بعد الأولى أن يكون همزة فاحتمل الثقل لذلك فَعَدَّ مما أَفْرَطَ في الثقل أن تجتمع الهمزتان في كلمة واحدة غير عينين .(١)

ووجب التخفيف عند العرب كلهم بالقلب ، وشذ ابن جني أن تحقق الهمزتان في كلمة واحدة نحو " أَئِمَّة " وخطائِيُ مثل خَطَاعِع .(٢)

وكذلك يفعل بالهمزتين المجتمعتين من كلمتين حال اتفاق حركتهما ، فتبدل الثانية من المفتوحتين ألفا ، ومن المكسورتين ياء ، ومن المضمومتين واوا ، على سبيل المخالفة بين الصوتين الثقيل اجتماعهما .

وكذلك يُفْعَل بالمختلفتي الحركة وذلك إذا اجتمعتا مضمومة ومفتوحة أو مكسورة ومفتوحة نحو قوله تعالى " السفهاءُ أَلَا " (البقرة ١٣)

---

(١) انظر الخصائص ١ / ١٨١ ، وانظر معاني القرآن للأخفش الأوسط ١ / ٤٢ .

(٢) الخصائص ١ / ١٨٢ .

وقوله تعالى : " وِعاءِ أَخيه" (يوسف ٧٦) بالإبدال واوا محضة أو ياء محضة ، ولا تجعل بين بين لأنها تقرب حينئذ من الألف والألف لا تسبقها ضمة ولا كسرة .(١)

ويرى الأخفش الأوسط ذلك مذهبا في جميع كلام العرب وأن التحقيق لغة قليلة(٢) ، والذى ذكره ابن جنى والأخفش في شذوذ التحقيق في الكلمة والكلمتين تأتي عليه قراءة أربعة من القراء السبعة المشهورين هم الكوفيون وابن عامر بتحقيق الهمزتين في كلمة أو كلمتين في جميع القرآن ، وليس يعني ذلك سوى أنه لم يطلب القراءة الأخف بالمخالفة . وجاء بها على الأصل،إذ أعطى الهمزة وحدها ومع مثلها حقها في أن تكون " فونيما " غير ذى " الوفونات " كما كان بقية السبعة يفعلون ذلك .(٣)

رابعا : المضعف من غير الأفعال :

حيث يتخلص عن ثقل المثلين المتواليين بإبدال أحدهما صوتا آخر مخالفة للآخر فيقال في : دِبَّاج = دِيْمَاج بإبدال إحدى البائين المدغمتين باء استثقالا للتضعيف(٤) وكذلك يقال في دِنّار،دِيْنَار ، بالياء كذلك ، وليس معنى أن نضرب مثلا لذلك بالنون أن المخالفة تقتصر على استخدام هذا الصوت فقط ، بل كما أشرنا سابقا قد يكون صوتا آخر غير النون ، كما أن ذلك يعني أن التقاء المثلين حتى ولو كانا مدغمين قد يسبب نوعا من الثقل أدى إلى تحويل أحدهما صوتا مخالفا لثقل التضعيف ، يقول الدكتور ابراهيم أنيس : "إن نظرة

---

(١) الإقناع في القراءات السبع ١/٣٨٢ فما بعدها .
(٢) معاني القرآن للأخفش الأوسط ١/٤٢ .
(٣) حجة القراءات (لأبي زرعة) ص ٩٠ فما بعدها بتصرف .
(٤) سر الصناعة ٢/٧٤٣ .

سريعة في كتب اللغة وقواميسها ساعدتني على جمع عشرات من أمثلة فيها معتل العين أو اللام يشترك في المعنى مع مضعف من نفس المادة ويظهر أن الأصل في كل هذه الأمثلة هو التضعيف ، ثم سهل مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المتماثلين بالياء أو الواو لخفتهما . . . أو بأحد أشباه أصوات اللين كاللام والنون وإن كان هذا قليلا في اللغة العربية "(١) وسبب القلة فيما يبدو لي ليس لعدم استخدامهما بكثرة وإنما لأن العربية اعتبرت التضعيف وبالذات في الأفعال – مَدَّ – شَدَّ . . . ونحوها – نوعا من اللفظ بالمثلين بحركة عضوية واحدة ، وهذا يعني أنهما أخف منهما منفكين ، ولذلك عدوا (٢) الإدغام واحدا من طرق التخلص من كراهة توالي الأمثال وحمل عليها المتقاربان على النحو الذى يكون فيه تقارب يجعل إدغامهما أمرا ممكنا غير ملبس .

خامسا : ومن احلال صوت محل أحد المثلين مما لا يقبل تفسيرا صوتيا سوى المخالفة لمجرد المخالفة إبدالهم من الهمزة تاء في كل ما جاء على افتعل من مثل قولك: اتَّخَذَ وأصلها "اِ أْتَخَذ" بهمزتين مكسورة فساكنة ثم أبدلت الهمزة تاء للأسباب التالية :

أ) تخلصا من المثلين وخصوصا أنهما همزتان واجتماعهما مكروه ،

ب) وإبدال الهمزة تاء حتى توافق التاء بعدها " تاء افتعل " فتدغم فيها إدغام مثلين فلا يشعر المرء أنه أمام مادة أخرى غير "أَخَذَ" وهذا نوع من الإبدال بين صوتين لا يجمعهما مخرج ولا صفة فلا يفسر إلا أنه مخالفه يؤتى بها بما لا يدع مجالا للبس مع تحقيقها

---

(١) الأصوات اللغوية (أنيس) ٢٦١ .

(٢) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ٢٢٨ .

مطلب سهولة الأداء أو النطق .

والحقيقة أن كراهة التضعيف ومحاولة التخلص من هذه الكراهة أشار إليها القدماء وأخص منهم سيبويه الذى عقد لذلك بابا أسماه " باب ما شَذَّ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد " (١) يجعله فيما ليس مدغماأو ما لا يمكن إدغامه وأشار في بعض مباحث الإبدال إليه كما أسماه أحيانا " التغيير " وهو مصطلح معناه اللغوى قريب من المخالفة ، بل إنه ينص على أن وجود ظاهرة الإدغام في العربية ليس لغرض التماثل ، وانما كان لغرض التخفيف من ثقل المثلين ، فهو عمل صوتي سابق للمخالفة لا مضاد لها ، لأن الغرض منه التخلص من الثقل الناتج عن تكرار العمل في موضع واحد أو العمل في موضعين متقاربين عندما يكون الإدغام في المتقاربين .

وبهذا نخلص إلى أن المخالفة طريق يساعد في التخلص من الثقل الذى يجده المتكلم حين يريد النطق بصوتين مثلين ، وليست إلا طريقا يأتي كما تأتي طرق أخرى كالإدغام والحذف كلٌ في موضعه الذى قدّ لا يصلح فيه غيره .

---

(١) سيبويه ٤/٤٢٤ .

المبحث الرابع :

(الفصل بين المثلين)

في هذا المبحث سنتناول آخر طرق التخلص من كراهة توالي المثلين بعد أن تحدثنا عن الإدغام والحذف والمخالفة وهي ليست شائعة شيوع الطرق الأخرى، ذلك لأن فيها زيادة على بنية الكلمة تتمثل في الصوت الفاصل بين المثلين ، فالمواطن التي تخلص من ثقلها بهذه الطريق ليست إلا مواطن معدودة ، ثم إن هذه الزيادة التي تحصل تُطِيل في بنية الكلمة وتؤدي بها إلى بناء آخر غير الذي كانت عليه قبل الفصل بين المثلين ، وهذا يعني أن هناك زيادةً كمٍّ صوتيٍّ لا لحاجة سوى التخفيف ، وهو أمر مكروه في ذاته ، ولكنه ارتضى حين كان توالي المثلين أثقلَ وأشدَّ كُرهًا .

ومن أهم المواطن التي يكثر فيها التخلص بهذه الطريقة ما يلي :

أ) توالي الهمزتين :

حيث تلتقي الهمزتان كما مر بنا سابقا واحداهما مستثقلة فان كانت اثنتين كانتا أشد ثقلا مما يعني أنه لا بد من التخلص من ثقل تواليهما فيكون ذلك باحدى طرق ثلاث :

١) الحذف لإحدى الهمزتين — وقد مرّ الحديث عنه — .

٢) المخالفة بتحويل إحدى الهمزتين صوتا مغايرا — وقد مرّ الحديث عنه — .

٣) الفصل بينهما ، وهو ما سنتحدث عنه فيما يلي :

فبعض القراء مثلا كان يدخل بين الهمزتين الملتقيتين في

كلمة ألفا ، في مثل قوله تعالى " أأنذرتهم " (البقرة ٦) وقوله " أئنكم لتشهدون " (الأنعام ١٩) ، وقوله تعالى " أؤنبئكم " (آل عمران ١٥) .

فعل ذلك أبو عمرو وقالون ونافع وهشام عن ابن عامر، (١) حيث أنهم لما خففوا الهمزة الثانية من الهمزتين الملتقيتين في كلمة بجعلها بين بين كانت أقرب إلى الهمزة منها إلى صوت مخالف لها ، فأدخلوا بينهما (بين الهمزة الأولى والثانية المخففة بين بين) ألفا كراهة أن تجتمع الهمزتان ، بل إن هشاما كان يقرأ في ما كانت فيه الهمزتان مفتوحة ومضمومة من مثل " أألقي عليه الذكر " (القمر ٢٥) بتحقيق الهمزتين مع الفصل بينهما بألف (٢) وكذلك كان يصنع بالمفتوحة والمكسورة (٣) من مثل قوله تعالى " أئنكم لتكفرون " (فصلت ٩) .

يقول سيبويه " ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفا إذا التقتا ، وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا كما قالوا: اخشينانِّ ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة " (٤)

ثم استشهد بقول ذى الرمه :

فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بين جُلاجِل ... وبين النقا آأنت أم أمُّ سَالِمِ

وبالرغم من ذلك فإن هذا السبيل من التخفيف عند اجتماع الهمزتين لم يكن بالكثرة التي كان عليها التحقيق ، إذ قرأ أربعة من القراء وهم الكوفيون وابن

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٧٤
(٢) الإقناع في القراءات السبع ١/٣٧٦ .
(٣) الإقناع في القراءات السبع ١/٣٧٠ .
(٤) سيبويه ٣/٥٥١ ، وانظر معاني القرآن للأخفش الأوسط ١/٣٠ .

عامر (١) بتحقيق الهمزتين في كل ما ورد في القرآن من همزتين اجتمعتا في كلمة ، إلا أن ذلك لا يعني أكثر من أنهم جاءوا بالهمزتين محققتين على الأصل وهو أيضا لا ينقض مسلك القراء الآخرين ، حيث إن هؤلاء استثقلوا اجتماع الهمزتين كما استثقل العرب الواحدة،وكان مذهبهم مذهب أكثر العرب الذين كانوا يخففون الهمزة ، بله الهمزتين معا .

يقول سيبويه : " واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة فان أهل التحقيق يخففون احداهما ويستثقلون تحقيقهما لما ذكرت لك ، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا ... " (٢) .

ثم قال " وأما أهل الحجاز فيخففون الهمزتين ، لأنه لولم تكن إلا واحدة لخففت " (٣) .

ب) اجتماع نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة :

وهن إذا اجتمعن لزم دخول ألف يسمونها ألف الفصل بين نون التوكيد ونون النسوة ، ولا يكون ذلك الا في حال التوكيد بالنون الثقيلة في الفعل المسند لجميع النساء على حَدِّ قول سيبويه :" وإذا أدخلت الثقيلة في فعل جميع النساء قلت : اضربنانّ يا نِسْوة ، وهل

---

(١) الكوفيون من القراء هم الكسائي (١٨٩هـ) وحمزه بن حبيب الزيات (١٥٦هـ) وعاصم بن أبي النجود (١٢٧هـ)انظر في ذلك معاني القرآن للأخفش الأوسط (١ / ٤٤)

(٢) سيبويه ٣ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ٣ / ٥٥٠ .

تَضْرِبنانِّ وَلَتَضْرِبْنانِّ " . (١)

وعلة ذلك عند سيبويه أنها " إنما أُلحقت هذه الألف كراهية النونات ، فأرادوا أن يفصلوا لالتقائها كما حذفوا نون الجميع للنونات ولم يحذفوا نون النساء كراهية أن يلتبس فعلهن وفعل الواحد " . (٢)

ولا يكون هذا مع النون الخفيفة لأنه يلزم من وجودها مع الألف التقاء الساكنين على غير حدّه الجائز ، إذ يشترطون أن يكون الساكن بعد حرف اللين حرفا مشددا ، وهذا رأي سيبويه وأغلب البصريين ولم يذهب إلى جوازه إلا يُونس بن حبيب وناس من النحويين (٣) .

جـ) الفصل بين المثلين بأحد أصوات المد واللين :

وذلك يقع فصلا بين المثلين في التضعيف كأنه كره أن يجتمعا وهما مدغمان . قال سيبويه " ويفصل بين العينين بواو ويسكن أول حرف فيلزمه ألف الوصل ويكون الحرف على افْعَوْعَلْتُ ، ويجرى على مثال استفعلت في جميع ما صرّفت فيه استفعلت ، ولا يفصل بين العينين إلا في هذا الموضع ولا يكون الفصل إلا بواو وذلك قولك " اغْدَودَنَ و مُغْدَودِن واحْلَولَى يَحْلَولِي " . (٤)

وكذلك تدخل الألف والواو والياء بين المثلين . يقول سيبويه : " وقد تدخل بين الحرفين (٥) الزيادة وذلك نحو شِمْلالٍ ، وزِحْليل وبُهْلُول وعَثَوثَلٍ ، وفِرِنْدادٍ ، وعَقَنْقَلٍ ، وخَفَيْفَدٍ . فكما جعلت

---

(١) سيبويه ٣ / ٥٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ٣ / ٥٢٦ ، وانظر سر صناعة الاعراب ٢ / ٧٢١ .
(٣) سيبويه ٣ / ٥٢٧ وانظر المقتضب ٣/٢٤ وانظر أكثر تفصيلا وبسطا كتاب يونس البصري : حياته وآثاره ومذهبه للدكتور احمد مكي الأنصاري ، ص ١٤٧ وما بعدها، وفيه أن موافقي يونس هم الكوفيون .

(٤) سيبويه ٤ / ٢٨٥ .
(٥) يعني الحرفين المثلين المزيد أحدهما للإلحاق كقَرْدَدَ ومَهْدَدَ .

إحداهما زائدة وليس بينهما شيء ، كذلك جعلت احداهما زائدة وبينهما حرف ، وقد تبين لك أنهم يفعلون ذلك في شِمْلالٍ ، لأنهم يقولون طِمِلّ وشِمِلَّةٌ ، وفي شِمْليل وعَقَنْقَل وعَثَوْثَل ، لأنك تقول : عِثْوَلٌّ". (١)

ويمكن أن يحمل على هذا الرباعي المضاعف من مثل صَرْصَرَ ، زَلْزَلَ ودَهْدَهَ .. ونحوها ، مما يوافق فاؤه وعينه لاميّة الأخريين ، إذ يكون الأصل الافتراضي أنه من الثلاثي المضعف ثم فصل بتكرار الفاء بين المضعفين كراهة للتضعيف ذاته وبهذا وجد هذا الكمّ من الرباعي بما هو مكرر العين والفاء .

ولكن الذي يحد من اطلاق هذا الحكم اختلاف المعنى بين المضعف والرباعي لما في الأخير من تكرار وترجيع للحدث على حد قول الخليل " فالمضاعف جائز فيه كل غث وسمين من المفصول الاعجاز والصدور وغير ذلك ، ... ألا ترى أنهم يقولون " صَلَّ اللجام يَصِلّ صليلا " فلو حكيت ذلك قلت " صَلَّ " تمد اللام وتثقلها ، فقد خففتها في الصَلْصَل " فالمثقل مَدٌّ ، والمضاعف ترجيع وتخفيف .. " . (٢)

ولم يشع هذا السبيل في التخفيف من ثقل توالي المثلين أو الأمثال شيوع السبل الأولى من ادغام وحذف ومخالفة ذلك أن فيه إطالة في الكم الصوتي الشائع في المستعمل العربي من الأبنية وهو

---

(١) سيبويه ٤/٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(٢) العين ١/٦٣

بناء الثلاثي وطول الكلمة العربية يتسم بالاعتدال فمعظم ألفاظ اللغة ثلاثي الأصل ، ولا يبلغ حد الأربعة والخمسة . . . إلاّ قليلا يقول ابن جني : " وذلك أن الأصول ثلاثة : ثلاثي ، ورباعي ، وخماسي . فأكثرها استعمالا وأعدلها تركيبا ، الثلاثي . وذلك لأنه حرف يبتدأ به وحرف يحشي به ، وحرف يوقف عليه ، وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب ، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه أقل حروفا . . . فتمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه ، لعمرى ، ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذى هو عينه ، بين فائه ، ولامه ، وذلك لتباينهما ، ولتعادى حاليهما ، ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ، فلما تنافرت حالاهما وسطوا العين حاجزا بينهما ، لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذا فيه ، ومنصبا إليه " (١) .

ويلاحظ على قول ابن جني أنه يعني بالحركات التالية لصوامت الثلاثي أكثر من عنايته بالصوامت نفسها ، وهو قول صحيح غير مطلق ، إذ يقيده أمران :

أولهما : أن سكون ذلك الحرف الأوسط (الحشو) مطلوب في تخفيف كثير من الكلمات الثلاثية مثل " فَخْذٍ وعَضْدٍ " بسكون العين . في كلٍ مما ينفي بقاء حركة العين لدفع التنافر بين حركة الفاء وسكون اللام عند الوقف .

والآخر : إن الوقف أمر عارض وليس أصلا ، فإن صح كلامه في حالِ غيرِ وصلِ الكلام، فإنه لا يصح في حال الوصل، إذ ليس هناك تنافر بين حركة الفاء واللام لعدم الوقف ابتداء .

---

(١) الخصائص ١/ ٥٥ ، ٥٦ .

الفصل الثاني

ثقل توالي المتنافرات

وفيه تمهيد ومبحثان

المبحث الأول : التناسب الحركي

المبحث الثاني : التناسب بين الأصوات الصامتة

(الفصل الثاني)

ثقل توالي المتنافرات

تمهيد :

يأتي هذا الفصل ليعكس في الظاهر ما أثبته الفصل الأول من كراهة توالي الأمثال الصوتية ، فهذا الفصل يسعى للقول بكراهية التنافر ، وإذا كانت اللغة تكره توالي الأمثال ، وتكره التنافر ، فما الذى ترتضيه اللغة ؟

سؤال طرحه الدكتور تمام حسان وأجاب عليه بقوله : " من الواضح أن النظام اللغوى والاستعمال السياقي جميعا يحرصان في اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخالفين . أو بعبارة أخرى يحرصان على التخالف ، ويكرهان التنافر والتماثل . فأما كراهية التنافر فلأنه ينافي الذوق العربي ، وأما كراهية التماثل فلأنه يؤدى الى اللبس . . . ومن هنا كانت الظواهر الموقعية التي ترد في السياق لتفادى ما تكرهه اللغة من تنافر أو تماثل تتجه دائما إلى المحافظة على التخالف " .(١)

وأضيف أن اللغة حين تكره توالي الأمثال في نفس الوقت الذى تكره فيه التنافر تهدف الى نوع من التوازن(٢) بقصد تحقيق الانسجام الصوتي .

ذلك أن كراهة توالي الأمثال ستؤدى إلى تأليف الأضداد ، الأمر الذى يسبب توترا صوتيا غير مرغوب لغويا .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) اللغة " فندريس" ص ٦٢ ، ٩١ .

ولهذا كان لا بد من أن تسلك اللغة سبلا تحقق بها التوازن المنشود ، وكان من سبلها لتلافي الأضداد ايجاد قدر من التناسب بين الأصوات المتضادة .

وقبل أن نخوض في بحث هذا التناسب نحاول أن نبحث عن الأسباب المؤدية الى التضاد .

أسباب التنافر :

من خلال الفصل السابق الذى أفضى إلى أنه لا بد من وجود قدر من التخالف بين الأصوات المؤلفة للكلمة ، وجدنا أن التأليف من المخارج المتباعدة يؤدى إلى تحقيق ذلك الهدف بعدا عن المخارج المتقاربة التي تؤدى إلى تماثل أو تقارب الأصوات .

ومعنى ذلك أن مرتكز الثقل والكراهية وسبيل الخلاص منها كان للمخارج لا لصفات الأصوات .

ومرتكز الثقل والكراهة في التنافر يكمن في الصفات الصوتية ، ونحن إذا نظرنا إلى الصفات الرئيسية في النظام الصوتي وجدناها تكمن في المقابلات التاليـــة :

١) الجهر وضده الهمس .

٢) الشدة وضدها الرخاوة .(١)

---

(١) بين الشدة والرخاوة صفة ثالثة قسيمة لهما في الوصف الصوتي للعربية تلك هي صفة التوسط ، والأصوات المتوسطة ستة هي : (ل - ر - م - ن - ى - و) وزاد القدماء حرف العين ، والأربعة الأولى تسمى الأصوات المائعة أو السلسة ، أما الياء والواو فهما صائتان ويعدان وظيفيا في بعض السياقات صامتان ، ولذلك يسميان (أنصاف صوامت) انظر معجم علم اللغة النظرى (الخولي) ١٥٨ ، ٢٥٢ .

٣) التفخيم وضده الترقيق .[1]

ويدل على ذلك بالاضافة الى ما بين هذه الصفات من تضاد ، نزوع كثير من التواليات المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، والمفخم والمرقق ، إلى أن تتناسب، ويحدث بينها توافق بنزوع إحدى الصفتين إلى الأخرى .

كما أن وجود التوافق بكثرة في الحركات يؤيد ما ذهبنا إليه من أنها ترتكز على الصفات الصوتية لا المخارج ، ذلك أن الحركات لا يحدث عند نطقها قطع في مجرى الهواء مماثل لما يحدث في الصوامت .

ولتوضيح هذه النقطة نضرب مثلا بالفتحة الطويلة ، فعند نطقها نحس بحياد اللسان عن جميع ما يحيط به من الحنك والأسنان .. صحيح أنه بوضعه هذا يشكل حجره رنين مناسبة للفتحة الطويلة ، لكنك لا تستطيع أن تضع اللسان بوضعه هذا مخرجا للفتحة وإن نُسِبت إليه في كثير من الدراسات المعاصرة ،[2] ولا ينسب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين مخرجا ، ولكنه يجعل دور اللسان في الحركات تشكيليا " لأنه هو الذى يضيق مجرى الهواء في نقطة معينة أو يوسعه ليخرج الصوت على ما يريده الناطق : فتحة ـ ضمة ـ كسرة أى حركة ضيقة أو واسعة " .[3]

---

(١) ليست هذه هي الصفات الصوتية فحسب بل بقيت صفات أخرى لا مقابل لها من مثل التكرار والانحراف والاستطالة والغنة والتفشي والصفير ، انظر سيبويه : باب مخارج الحروف العربية ، ٤ / ٤٣١ .

(٢) انظر على سبيل المثال : علم الأصوات ـ مالمبرج ـ ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٥ ، ويرى الدكتور محمد علي الخولي أن وصف الصوت الصائت لا يسأل فيه عن مكان نطقه رغم خضوعه في الوصف لكثير من المسائل التي لا بد منها عند الحديث عنه . أنظر الأصوات اللغوية ص ٥٢ ، ١٢١ . وانظر لمزيد من التفصيل والإبانة الفرق بين الصحاح والعلل في كتاب مناهج البحث في اللغة ص ١٤١ فما بعدها ، والأسس التي اعتمد عليها في التفريق بين الصحاح والعلل على أساس فسيولوجي أو صوتي أو كليهما أو على أساس وظيفي .

وإذا سلمنا أن الضيق والسعة التي أشار إليهما الدكتور عبد الصبور شاهين ليسا هما الضيق والسعة المسببين للشدة والرخاوة ، اتضح أن التوافق بين الحركات توافق يماثل التوافق بين الصفات .

أو بمعنى آخر توحيد حجرة الرنين التي تتشكل فيها الحركات على نحو يماثل توحيد صفات الشدة والرخاوة ، والتفخيم والترقيق .. ألخ .

وعن سبب التنافر الرئيسي المذكور سابقا نجد أن مواطن الكراهة تكمن في توالي التتابعات التالية :

١) اختلاف الحركات .

٢) المجهور والمهموس أو عكسه .

٣) الشديد والرخو أو عكسه .

٤) المفخم والمرقق أو عكسه .

وليس من الضروري أن تتابع بشكل متجاور ، بل يصح أن يكون ذلك مع وجود صوت فاصل بين موطني التضاد . على النحو الذى سنراه فيما بعد .

وكما قد ألمحنا سابقا إلى التناسب المنشود لتجاوز كراهة التنافر ، وهذا التناسب يسمى في كتب اللغة والأصوات بمسميات مرادفة من مثل :

المضارعة وهو من مصطلحات سيبويه (١) ، والمشاكلة والتجانس (٢) ، وكذا التقريب (٣) الذى عرّف به ابن جني الإدغام الأصغر في عرفه ،ويسميه المحدثون : التماثل أو المماثلة . (٤) أما المناسبة فهي اختصت بالحركة في عرف اللغويين

---

(١) سيبويه ٤ / ٤٧٧ في باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه .

(٢) انظر الحجة لأبي علي الفارسي ١ / ١٥٤ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٤١ .

(٤) الأصوات اللغوية ابراهيم أنيس ص ١٧٩ ، ودراسة الصوت اللغوى ٣٢٤ والتطور علله وقوانينه ص ٣٢ والتماثل عند مؤلفه قانون من أهم قوانين التغييرات التركيبية" نفس الصفحة ".

القدماء .

وسأختار مصطلح التناسب (١) لدراسة كراهة التنافر لأجمع أولا بين التناسب الحركي كما هو في حركة المناسبة واعلال الواو والياء ليجانسا حركة السابق عليهما ، وكذا حركة ضمير الغائب في المواقع المختلفة .. وبين التناسب بين الصوامت نفسها كجهر المهموس وتفخيم المرقق وتشديد الرخو ...

ولأحقق ثانيا دفع التوهم الظاهر بين كراهة التماثل والنزوع اليه هربا من التنافر لو استخدمت مصطلح المحدثين .

ويهدف التناسب إلى تحقيق الانسجام الصوتي بين الأصوات المتنافرة على مستوى الحركات وكذلك على مستوى الأصوات الصامتة فيما بينها ، أو بينها وبين الصوائت في الكلمة الصوتية .

وسأتناول أولا الحديث عن التناسب الحركي ثم أعطف بالحديث عن التناسب بين الأصوات الصامتة ، جاعلا ختامه الحديث عن التناسب بين الحركات والأصوات الصامتة . على النحو الذى يكون في ترقيق اللام وتفخيمها .

---

(١) أشار الى هذا المصطلح السيوطي في همع الهوامع ٦ / ١٨٣ ، في معرض حديثه عن الإماله .

المبحث الأول :

(التناسب الحركي)

تمهيد :

تعد الحركات أشيع الأصوات اللغوية في العربية ، ويعزى شيوعها إلى عاملين وظيفيين اثنين :

١) وجودها كدوال إعرابية في أواخر معظم الكلمات العربية .

٢) وجودها في كل مقطع من المقاطع المؤلفة للكلمة في العربية ، بل إنها تعتبر نواة المقطع على ما ذهب إليه علماء اللغة المحدثون (١) .

ويضيف الدكتور محمد علي الخولي عاملا ثالثا فسيولوجيا وهو توافق هذا الشيوع مع مبدأ السهولة والتيسير ، فيقول : " فمن المعروف أن نطق الصائت أسهل من نطق الصامت ، حيث لا يحتاج الصائت إلى حبس تيار النفس أو إعاقته كما لا يحتاج إلى مكان نطق محدد (٢) ، وهو ما يمكن أن يفهم من قول القدماء " إن السبب في تسميتها حروف المد واللين : أنها تخرج في لين من غير كلفة على اللسان ، وذلك لاتساع مخرجها ، فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتد ، ولان ، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب " (٣) .

وقد أشار النحاة القدماء إلى خِفّة الحركات فيما بينها مفاضلين بين الفتحة والكسرة والضمة في الخفة ولكنهم لم يذكروا خفتها في ذاتها ، فقد ذكر

---

(١) الأصوات اللغوية (الخولي) ص ١١٩ .
(٢) الأصوات اللغوية (الخولي) ١٢١ ، وانظر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى لرمضان عبد التواب ص ٩١ .
(٣) شرح تصريف العزى ١٠٦ .

السيوطي في حديث له عن البناء أن : " الأصل في البناء السكون ، لأنه أخف ، فلا يعدل عنه إلا لسبب ، ولأن الأصل عدم الحركة ، فوجب استصحابه ما لم يمنع منه مانع ، وإذا عُدل إلى الحركة قُدِّم الأخف فالأخف ، وذلك الفتح ، ثم الكسر ، ثم الضم " (١) .

ونقل السيوطي عن الخليل تعليلا لخفة الفتحة وثقل الضمة فقال في الأشباه والنظائر : " قال رجل للخليل لا أجد بين الحركات فرقا ، فقال له الخليل ، ما أقل من يميز أفعاله ، أخبرني بأخف الأفعال عليك ، فقال لا أدرى قال : أخف الأفعال عليك السمع لأنك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة إنما تسمعه من الصوت ، وأنت تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت ، وفي تحريك الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت ، فما عَمِل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد " (٢) .

ويبدو جمال قول الخليل في اعتماده على الجهد العضلي في التمييز بين الضمة والفتحة ثقلا وخفة .

ويقول الدكتور أنيس : " على أنه حين نتساءل عن أى الصوتين أيسر في النطق أو أيهما الذى يحتاج إلى جهد عضلي أكبر ، نجد الضم هي التي تحتاج إلى جهد عضلي أكبر ، لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان ، في حين أن الكسر تتكون بتحرك أدنى اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه" (٣)

ولكن ابن جني يستند إلى الاستعمال في خفة الفتحة فيقول : " إن الدليل على خفة الفتحة أنهم يَفِرّون إليها من الضمة كما يفرون إلى السكون " (٤) .

---

(١) همع الهوامع ١/ ٦٢ .
(٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٦٠ .
(٣) في اللهجات العربية ٨٥ .
(٤) الأشباه والنظائر ١/ ١٦٠ .

وقد استدل النحاة على خفة الفتحة والكسرة بالنسبة إلى الضمة بنسبة الشيوع في استعمال الحركات علامات للبناء أو الإعراب ، وذلك أنهم لما رأوا المنصوبات أكثر من المرفوعات حكموا بخفة الفتحة ، وكذلك حين وجدوا المبنيّ على الفتح أكثر من المبنيِّ على الكسر حكموا كذلك بخفة الفتحة . (١)

وهذا استقراء ناقص يؤيد نتائجه ما توصل إليه الدكتور الخولي من شيوع الفتحة والكسرة ، إذ احتلتا الموقعين الأولين في قائمة شيوع الأصوات وتأخرت (٢) عنهما الضمة لتحتل المرتبة السادسة . (٣)

وقد أسرف بعضهم في الحديث عن خفة الفتحة حتى أخرجها من أن تكون قرينة إعرابية،وقصر مجيئها على استحباب العرب لها لخفتها ، واستحسانهم إيّاها لمضارعتها السكون من جهة ولوصل الكلام استنادا على مذهب قطرب في علة مجيء الحركة الاعرابية . (٤)

ولما كان أمر الحركات بالقدر الذى رأيناه سابقا من خفتها في ذاتها والتفاضل بينها في الخفة والثقل لزم من تواليها وجود التنافر والثقل وقد ذهب ابن جني في المنصف إلى أنهم لم يخرجوا من الكسر إلى الضم كراهة لهذا

---

(١) الأشباه والنظائر ١/١٦٠ ، ١٦١ بتصرف .
(٢) الأصوات اللغوية (الخولي) ١١٧ .
(٣) تأخرت الضمة إلى المرتبة السادسة في قائمة الشيوع وسبقها الصوتان (ل . ت) وعزا الدكتور الخولي سبب هذا الشيوع إلى مجيء اللام والتاء وحدتين صرفيتين فتأتي اللام للتعريف .. والتاء كسوابق للتأنيث والمخاطبة والمطاوعة .. أو لواحق للتأنيث ، أو مجيئها ضميرا للفاعل انظر المصدر السابق ١١٩ .
(٤) انظر إحياء النحو ، لابراهيم مصطفى ٧٩ ، وانظر مذهب قطرب في الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٧٠ ، ٧١ .

التوالي فقال : " ولا يوجد في الكلام : فِعُل ، بكسر الفاء وضم العين ، وإنما لم يجئ ذلك كراهية خروجهم من الكسر إلى الضم بناء لا زما " .(١) فهو إذن ـ خروج من ثقيل إلى أثقل ـ" كسر ← ضم".

ولكن الخروج من الخفيف إلى الثقيل ـ "فتح ← كسر ، أو فتح ـ ضم" ـ لم يكن مكروها عندهم بالرغم من مضارعته للمكروه في الثقل من حيث إن الثقيل خفيف بالقياس إلى ما هو أثقل منه .

والذي يبدو لي أن القسمة والحاجة إلى الأبنية المختلفة كانت وراء رضا ئهم عن الخروج من خفيف الى ثقيل ، ولذلك لم يسقط من القسمة إلا ما ذكره ابن جني فقط ، ومع ذلك فقد قاموا بايجاد قدر من التناسب بين الحركات ـ طويلة كانت أو قصيرة ـ في ما يعترض في الكلام من التنافر على النحو التالي :

أولا : أصوات المد ومناسبة الحركة السابقة عليها :

إن أصوات المد الثلاثة (الألف والواو والياء) لا تكون كذلك حتى تكون الحركة السابقة عليها من جنسها .

والمحدثون يذهبون إلى أن الألف والواو والياء ليست إلا هذه الحركة مضافة إلى حركة أخرى من جنسها بمعنى أن الألف ليست إلا فتحتين، وكذلك الواو ليست إلا ضمتين . . وهو قريب من قول ابن جني في مطل الحركات وقول القدماء عموما في اشباع الحركة لينشأ عنها الألف أو الواو أو الياء ،(٢) إلّا أن قول القدماء بمطل الحركات واشباعها يجعلهم يعدون الناشىء صوتا مستقلا ، إما ألفاً أو واوا أو ياء ، وهذا

---

(١) المنصف ١/ ٢٠

(٢) سر الصناعة ١/ ١٨ ، ٢٣ ، ٢٧ . ومما يؤكد هذا القول ما ذهب اليه الدكتور خليل عساكر في محاولته لا ختصار علامات الضبط الكتابي من الاستغناء عن ضبط الحرف السابق على (الألف والواو والياء) في مثل " قال ، ويدعو ، ويجرى " انظر مقالة " طريقة لضبط النصوص العربية المطبوعة بشكل مخفف " في مجلة معهد اللغة العربية العدد الأول ص ٣٧، سنة ١٤٠٢/ ١٤٠٣هـ .

يعني أن القدماء يتحدثون عن صوتين (الحركة ، وصوت المد) في الكلمة الواحدة ، أما المحدثون فإنها عندهم حركة طويلة تساوى تماما " صوت المد " وحده بلا حركة القدماء التي يصرون عليها .

أ) قلب الواو والياء ألفا :

تشتهر في كتب النحو والصرف المقولةالتالية : " إذا تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفا " (١) .

وسواء أكانت الواو أو الياء عينا أو لاما فإنه إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما تقلبان في مثال " قال وباع " فعلين وأصلهما — قَوَلَ ، وبَيَعَ ، أو " بابٍ ونابٍ " اسمين وأصلهما — بَوَبٌ ونَيَبٌ .

أو في مثال " غَزَا ورَمَى " فعلين وأصلهما غَزَوَ ورَمَيَ ، أو " عَصَاً ورَحَىً " اسمين ، وأصلهما — عصو ورحي " (٢) .

ويلاحظ أن الواواو الياء وقعت بين حركتي الفتح القصيرتين سابقه ولاحقة عليها كما هو موضح: قـَ وـَ ل ، وبـَ ي ـَ ع .

ويزعم بعض المعاصرين (٣) أن الواو لم تقلب ولكنها سقطت فاجتمعت الفتحتان لتشكلا الألف التي قلبت إليها الواو أو الياء في زعم القدماء .

وأيا كان الخلاف بين هذا الأخير والقدماء في تفسير خلو الاستعمال من الواو أو الياء في النماذج السابقة فإن الذى يبدو هو أن التوتر الذى يحدثه اكتناف الحركتين القصيرتين للواو أو الياء يؤدى إلى إسقاطها أو تغييرها بما يحدث نوعا من التناسب في الكلمة وبُعْداً بها

---

(١) انظر المنصف ٢ / ١١٦ .
(٢) الأمثلة مأخوذة من شرح شافيه ابن الحاجب (الإعلال ص / ٦٦ وانظر ص ٩٥ و ص ١٥٧) .
(٣) دراسات في علم أصوات العربية ، داود عبده ص ٣٤ .

عن التضاد ، التماسا للتخفيف .

ولكن التخفيف مطلب أدائي ينحسر مع بقاء موطن الثقل والتنافر إذا كان في مسلك التخفيف ما يؤدى إلى الالتباس (١) ، ولذلك نجد لديهم امتناع قلب الواو أو الياء في مثل عَصَىً ، وسَعَىْ إلى ألف عند التثنية أو الإسناد الى ألف الاثنين . ولم يمكن الحذف ، كما لم يمكن بقاؤهما معا لثقل التقاء الألفين على أنهما ساكنان وحينئذ تصحح الواو أو الياء ، وتضاف علامة التثنية أو ضمير الاثنين فنقول : "عَصَوَان" و "سَعَيَا" . ويؤكد هذا امتناع القلب مع سكون الواو أو الياء في نحو "قَوْلٍ وبَيْتٍ وحَوْض" وهو امتناع للفرق بين الفعل والمصدر "قال قَوْلا" و "حَاضَ حَوْضًا" ، و "بات بَيْتاً" وقد يكون الفرق بين الفعل والاسم كما في الحوض والبيت اسمين للمكان (٢) .

ومعنى هذا تأكيد ما سبقت الإشارة إليه في الفصل السابق في مواطن كثيرة من أن الإلباس والخروج إلى ثقل جديد .. يعوقان التخفيف ، ولذلك اقتصر على المواطن المأمونة من جهة ، كما أنه يؤدى دوره كاملا إن لم يُفْضِ إلى ثقل جديد .

ب) قلب الواو ياء :

وكما تقلب الواو والياء ألفا لمناسبة الفتحة السابقة عليهما ، كذلك تقلب الواو ياء لمناسبة الكسرة قبل الواو مثل : مِيزَان ومِيعَاد . وأصلهما

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب من قول ابن الحاجب ص ١٥٧ ، وانظر سيبويه ٣٩٢/٤ ، و[illegible] المقرب ١٨٦/٢ .

(٢) اللسان : مادة "حوض وبيت"

" مِوْزَان ومِوْعَاد " من وَزَنَ ووَعَدَ فقلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة السابقة عليها .

ويعبر سيبويه عن هذه المناسبة بين الواو والكسرة بقوله : " وكان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم وجسروا على ذلك الاعتلال " . (١)

والذى يدل على أنها قلبت للمناسبة النظر في مثال سيبويه وهو قوله في " حالت حِيَالا " : " إنما قلبوها ــ أى الواو ــ حيث كانت معتلة في الفعل ، فأرادوا أن تعتل إذا كانت قبلها كسرة وبعدها حرف يشبه الياء " . (٢)

وقلنا في حديثنا عن قلب الواو ألفا إنها تصحح إذا سبقتها الألف لتعذر التقاء الألفين فلو صححت لم تقلب ، وكذا قلبها للكسرة قبلها .

وأما قوله " وبعدها حرف يشبه الياء " يعني الألف ، فيقلل من قيمته شبه الألف بالواو أيضا من حيث كون الثلاثة أحرف العلة المتغيرة في المواقع المختلفة .

ويعود سيبويه ليؤكد علاقة المناسبة في قلب الواو ياء ، ولكنه يشير أيضا إلى وجود الألف بعدها فيقول " وأما ما كان قد قُلِب في الواحد فإنه لا يثبت في الجمع إذا كان قبله الكسر ، لأنهم قد يكرهون الواو بعد الكسرة حتى يقلبوها فيما قد ثبتت في واحدة ، فلما كان ذلك من كلامهم ألزموا البدل ما قلب في الواحد ، وذلك قولهم : " دِيمةٌ ودِيَمٌ ، وقامةٌ وقِيمٌ ، وتارةٌ وتِيَرٌ ، ودارٌ ودِيارٌ ، وهذا أجدر أن يكون إذا كانت بعدها فلما كانت الياء أخفَّ عليهم والعمل من وجه واحد جَسَروا عليه في الجمع إذ كان في الواحد محولا ، واستُثقلت الواو بعد الكسرة كما تستثقل بعد الياء " . (٣)

---

(١) سيبويه ٤/٣٦٠ .
(٢) المصدر نفسه ٤/٣٦٠ .
(٣) المصدر نفسه ٤/٣٦١ .

ويصر بعض النحاة على وجود الألف بعدها فيذهب ابن السراج مذهب سيبويه وينقل عنه تفسيره للقلب هنا بحذافيره.(١) ولكن الواو تقلب ياء وقعت بعدها الألف أم لم تقع وذلك في اسم الفاعل من المعتل الآخر الواوى يقال فيه بالياء لمناسبة الكسرة التي في اسم الفاعل فيقال من يَدْعُو، ويَسْمُو: "داعٍ وسامٍ" بالياء.

ويحسم ابن جني القضية فيقول: "فأما استكراههم الخروج من كسر الى ضم بناءً لازماً، فليس ذلك شيئاً راجعاً إلى الحروف (يعني الصوامت)، إنما هو استثقال منهم للخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه، وأنت لو رُمت أن تأتي بكسرة أو ضمة قبل الألف لم تستطع البتة، وكذلك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح، وذلك نحو "فِعْـل" من القَوْل والطَوْل، أصله أن تقول قِوْل وطِوْل، ثم تستثقل ذلك فتقلب الواو للكسرة قبلها ياء، فتقول قِيْل وطِيْل، وقد قالتهما العرب مقلوبين هكذا ونحوهما: مِيزَان ومِيقَات ومِيعَاد، كل هذه من الواو في: "وَزَنَ ووَقَتَ ووَعَدَ.."(٢)، ثم يضيف: "انما قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأنك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء، وآذنت بتمامها، فإذا تراجعت عنها إلى الواو فقد نقضت أولَ قولك بآخره، وخالفت بين طرفيه، وكذلك إذا بدأت بالضمة ..."(٣).

وهو القول الذى يوضح التنافر، ويفسر مبدأ التناسب تخلصا منه.

---

(١) الأصول ٣/٢٦٤.

(٢) سر الصناعة ١/١٨ – ١٩.

(٣) المصدر نفسه ١/١٩.

جـ) قلب اليـــاء واوا :

وهو عكس ما مضى في الفقرة (ب) ، إذ تسبق الضمة اليـــاء الساكنة فتنقلب واوا لتناسبها :

وذلك في مثل " مُوقِن ومُوسِر " ونحوهما ، كان الأصل : " مُيْقِـنٌ ومُيْسِـــرٌ " .

يقول ابن السراج : " أبدلت واوا من أجل الضمة " .(١)

وقلب الواو لأجل الكسرة أكثر من قلب الياء لأجل الضمة ، وذلك لأنهم يَفِرُّون من الواو إلى الياء إذا اجتمعتا وسبقت احداهما بالسكون . ولذلك إذا سبقت الضمة الياء حولت كسرة لتبقى الياء ولا تقلب إلى واو ، لايجاد التناسب كما فعل باسم المفعول " مَبِيـع "(٢) اذ الأصل " مَبُيـع " بعد نقل حركة الياء حين حذفت واو (الصيغة) ثم حولت كسرة .

ومثله ما قاله ابن السراج : " قالوا في جمع أبيض : بِيضٌ ، وكان القياس : بُوضٌ لأنه فُعْلٌ يدلك على ذلك قولهم : أَحمـرُ حُمْـرٌ ، ولكنهم أبدلوا الضمة كسرة لتصح الياء التي كانت في الأصل " .(٣) ثم أضـــاف " ولئلا يخرجوا من الأخف الى الأثقل في الجمع ، وهو أثقل من الواحـد عندهم فيجتمع ثقلان " .(٤)

ولو بقي الجمع " بُيض " بضم وياء ساكنة لما كان خروجا من خفيـف إلى ثقيل لأن الضمة اثقل من الكسرة التي من جنسها الياء ، ولكـــن السبب المباشر محاولة الخلوص من التنافر بين الضمة والياء الساكنة بعدها

---

(١) الأصول ٣ / ٢٦٦ .
(٢) المقتضب ١ / ١٠٠ .
(٣) الأصول ٣ / ٢٦٥ ، وانظر سيبويه ٣ / ٥٩٢ ، المنصف ١ / ٣٤٠ .
(٤) الأصول ٣/٢٦٥

وهو موطن الثقل فقلبت الضمة كسرة ليكون العمل من وجه واحد ، مع عدم البعد عن الأصل .

ثانيا : حركة المناسبة :

قلنا قبل قليل إن الضمة تحول إلى كسرة لتناسب الياء حين لم يقدروا على قلبها واوا . وفي المواطن التالية سترى أن الحركة السابقة للألف أو الواو أو الياء لا بد أن تكون من جنسها لتسلم من الإعلال بالقلب منعا للالتباس إذ تستخدم الألف والواو والياء وظيفيا كضمائر كما تستخدم الياء كدال على النسبة .

أ) حركة ما قبل ياء النسب :

ياء النسب : " يا مشددة في آخر الاسم المنسوب إليه يصير بسببها الاسم المركب منها ومن المنسوب إليه شيئا واحدا منسوبا إلى المجرد عنها " .(١)

ومن أهم التغييرات التي تحدث عند النسبة كسر ما قبل ياء النسب ليناسب الياء(٢) ويؤيد كسر ما قبل ياء النسب شيئان :

أولهما : أنها علامة للنسب ولا يمكن التصرف فيها بالقلب أو الحذف .

ثانيهما : أنها مشددة وهذا يعني عدم إمكان قلبهما معا ، أو حتى قلب إحداهما واوا ، إذ هما إذا اجتمعتا مع سبق إحداهما بالسكون تقلب الواو ياء وتدغم الياء في

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ١٢ .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ١٧ .

الياء فيصار إلى ما فُرّ منه .

ولهذا تقول في النسب إلى البَصْرة والكوفة : " بَصْرِيّ ، وكُوفِيّ " .. إلخ .

ولأجل الكسرة يعمد إلى الألف فتقلب واوا في مثل : " عَصاً ورحىً " فتقول منسوبا إليهما : " عَصَوِيّ ورَحَوِيّ " . ويلاحظ هنا احتمال ثقل تحرك الواو وانفتاح ما قبلها لئلا يُعاد إلى ما فر منه . وإن لم تقلب حذفت وجعلت الكسرة على الصحيح قبلها كما تقول : " حُبْلِيّ " في النسبة إلى " حُبْلَى " و" مُصْطَفِيّ " إلى " مُصْطَفَى " .

وقد تزاد بين الألف وياء النسب واو لظهور الكسرة فيصح أن تقول في " حُبْلَى " : " حُبْلاوِيّ " (١) .

كما يعمد إلى الياء فتقلب واوا كراهة اجتماع الكسرات والياءات على ما قدمنا في الفصل السابق (٢) فتقول " عَمَوِيّ وشَجَوِيّ " في النسبة إلى العَمِي والشَجِي (٣) .

ويتبادر إلى الذهن سؤال : فقد دلّ الاستقراء على لزوم كسر ما قبل ياء النسب (٤) ، ولكن الموازنة بين الياءات المشددات تظهر اختلافا ، ففي : " سَيِّد ومَيِّت " مثلا لا كَسر قبل الياء المشددة ، وكذلك في حَيّ وطَيّ .. ونحوها بينما يكسر ما قبل ياء النسب أيا كان موقعها ـ ثالثة أو رابعة أو خامسة ... ـ

ولتفسير ذلك نطرح الاحتمالين التاليين :

١) أن يكون للفرق بين ياء النسب المشددة وغيرها وخصوصا حين تكون آخرا

---

(١) يقول المرضي : (إن " حُبْلاوِيّ ") زيدت قبل ألف التأنيث ألف وقلبت ألف التأنيث واوا " انظر شرح الشافيه ٢ / ٤٠ .
(٢) انظر في ص ١٢٤، ١٢٥
(٣) انظر في الأمثلة الواردة هنا شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٣٥ ، ٤٠ .
(٤) انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٣٢ .

كهَــيٍّ وطَــيٍّ .

٢) يحتمل أن تكون ياء النسب في الأصل ياء واحدة على (شكل صائــــت طويل) كضمير المخاطبة تماما ثم تطورت وشُدِدَت مع بقاء الكســــــــر للأسباب التالية :

أ) عدم ظهور بعض الحركات على الياء لو كانت للمد لثقلهـا ،ولذلك شددت لتظهر عليها الحركات .

ب) أنها تحذف عند التنوين إن كانت نكرة لالتقاء الساكنين كمـــا تحذف من داعٍ وساعٍ وهذا يؤدى إلى الإلباس فشددت وكسر مـا قبلها .

ب) حركة ما قبــل ياء الضمير :

وقلتُ ياء الضمير لأجمع بين ياء المخاطبة ، وياء المتكلم (١) إذ يلـــزم أن يكون ما قبلها مكسورا وهما في حقيقتهما الصوتية " صائت طويــــل " يدل على ذلك التوزيع المقطعي . فالكلمات التالية : تَضْرِبِين ، اضْرِبِي ضَرَبَنِي ، قَلَمِي ، تكون فيها " الياء " الحركة الطويلة في المقطـــــع المتوسط المفتوح ــ ص ح ح ــ وهذا يفسر لزوم الكسر قبل " الياء " المعتبرة وظيفيا ضميرا . والكسر المعتبر مقطعيا جزء من الحركة الطويلـــــة .

قال المبرد " وإنما جاز إسكانها ــ يعني ياء المتكلم ــ فــــي قولك:هذا غلامي وزيد ضَرَبَنِي ، لأن ما قبلها معها بمنزلة شيء واحــد ، فكان عوضا مما يحذف منها ، والحركات مستثقلة في حروف المد واللـــين فلذلك اسكنت استخفافا " (٢) .

---

(١) اختلف النحاة القدماء في ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة ، هل علامات أو ضمائر ؟ انظر الضمائر في اللغة العربية ــ محمد عبد اللــــه جبر ــ ص ١٥ وما بعدها .

(٢) المقتضب ٤/ ٢٤٨ .

وقد ذهب النحاة إلى أن ما قبل ياء الضمير يجب أن يكون مكسورا سواء أكان ذلك في الفعل أو الاسم أو الحرف .

ففي الفعل تلحق ياء المخاطبة الفعل ويكسر ما قبلها فتقول اضربي وتَضْرِبين .

أما إذا لحقت ياء المتكلم الفعل فلا بد من زيادة نون في آخر الفعل لتظهر عليها الكسرة ، إذ الفعل لا يدخله الكسر كما يدخل الأسماء[1] ويسميها النحاة نون الوقاية[2] وكذلك إذا لحقت ياء المتكلم الحرف رافقتها نون الوقاية لتكون الكسرة عليها . سواء أكان ذلك الحرف ناصبا كإنَّ ولكنَّ أو جارا كمِنْ وعَنْ .

أما إذا أضيف الاسم إلى ياء المتكلم فيكسر ما قبلها بدون إدخال النون لأن الكسر من علامات الأسماء . ولا يمنع من كسر ما قبل ياء المتكلم في الأسماء إلا أن يؤدى إلى ثقل جديد كالتقاء الساكنين وحينئذ تحرك ياء المتكلم .

يقول سيبويه : " اعلم أن الياء لا تغير الألف ، وتحركها ـ أى الياء ـ بالفتحة لئلا يلتقي ساكنان ، وذلك قولك : بُشْرايَ وهُداى وأعْشَايَ "[3] . . ثم قال " اعلم أن الياء التي هي علامة المجرور إذا جاءت بعد ياء لم تكسرها ، وصارت يائين مدغمة إحداهما في الأخرى ، وذلك قولك : هذا قاضِيَّ وهؤلاء جَوارِيَّ "[4] .

وقد يمنع من كسر ما قبلها أمن اللبس ، وذلك كما قال سيبويه : " فإن جاءت تلى ألف الاثنين (في المثنى) في الرفع فهي بمنزلتها بعد ألف المنقوص

---

(١) سيبويه ٢ / ٣٦٩ بتصرف .

(٢) اختلف في نون الوقاية أهي للوقاية من الكسر أم للوقاية من اللبس كما قال ابن مالك ، وأكثر النحاة على الأول عدا سيبويه الذى جعل الضمير المنصوب (ني) انظر سيبويه ٢ / ٣٦٨ وهمع الهوامع ١ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) سيبويه ٣ / ٤١٣ .

(٤) المصدر نفسه ٣ / ٤١٤ .

- يريد المقصور - إلا أنه ليس منها لغة من قال " بُشْرَىّ " فيصير المرفوع بمنزلة المجرور والمنصوب ، ويصير كالواحد نحو عصىّ ، فكرهوا الالتباس حيث وجدوا عنه مندوحة " . (١)

جـ) حركة ما قبل ألف الاثنين :

لا خلاف أن الألف أيًّا كانت وظيفتها هي من ناحية الوصف الصوتي ألف واحدة لا غير ، وإن تعددت وظيفتها كألف التثنية ، وضمير الاثنين ، (٢) وألف التأنيث ، والألف الفارقة ، والألف المزيدة في الصيغ المختلفة ، والألف المنقلبة عن الياء والواو . . . ،

وهي - أيضا - كالياء - من حيث إنها صائت طويل ، مكون من حركتين (فتحتين) والذى يهمنا هنا مجيئها ألفا للاثنين أو علامة للتثنية ، وهي إذا كانت كذلك لزم أن يكون ما قبلها مفتوحا ليناسبها ، بل لا يمكن تحريك ما قبلها بغير الفتح ، كما يتعذر تحريكها إذ هي لا تتحرك . قال ابن جني : " وأنت لو رُمْتَ أن تأتي بكسرة أو ضمة قبل الألف لم تستطع ذلك البتة " . (٣)

ولهذا إذا تغيرت حركة ما قبلها في بنيةٍ ما فانها تتغير لتناسب تلك الحركة ، وذلك قولك في التصغير : " ضُوَيْرِب " وأصله " ضارب " بألف ، (٤) وهذه وإن كانت ألف فاعل فهي صوتيا مثل ألف الاثنين .

---

(١) سيبويه ٣ / ٤١٤ .
(٢) سبق الإشارة إلى الخلاف بين علامة التثنية وألف الاثنين .
(٣) سر صناعة الاعراب ١ / ١٨ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ١٩ .

د) حركة ما قبل واو الجماعة :

هي علامة الجميع في الاسم ، وضمير هم في الخطاب والغياب وذلك قولك : مُسْلِمُون ، واكْتُبُوا ، ويَكْتُبُون ، وهي مثل أختيها الألف والياء في كونها صائتا طويلا .

وحين تكون كذلك يكون ما قبلها مضموما ليناسبها .

وتتحول علامة الجميع ياء في النصب والجر ، ويكسر ما قبلها للمناسبة ـ أيضا ـ فتقول مسلمين على الضد من ألف التثنية التي تتحول إلى ياء وتبقى فتحة الألف للفرق بين الجمع والمثنى .

وقبل أن أترك هذا الموضوع إلى غيره أشير إلى أن الإفراط في توالي الحركات المتماثلة لا يعد حلا للتنافر والتضاد الملموس فيما بين الحركات ولذلك كان هناك بعض التعديل لعدم الإفراط فعند النسب تحول الكسرة السابقة على كسرة المناسبة فتحة ، كما تحذف بعض الياءات من الأسماء عند النسبة إليها ، وذلك قولك في النسبة إلى نَمِرٍ ، ودُئِلٍ ، وإبِلٍ ← : نَمَرِيٌّ ، ودُؤَلِيٌّ وإبَلِيٌّ ، فتحول الكسر إلى فتح حتى لا تصبح على غاية من الثقل بتتابع الأمثال من الياء والكسرة .(١)

وكذا في النسبة إلى " حَنِيفَةَ وقُرَيشٍ " ونحوهما مما فيه الياء تقول : " حَنَفِيٌّ وقُرَشِيٌّ " كراهة اجتماع الياءات والكسرات .

هـ) الحركات المقدرة على المنقوص والمقصور :

كان من نتيجة تنافر الحركات وعدم ائتلافها أن قدرت علامات

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ١٨ .

للإعراب في أواخر الكلمات المنتهية بياء أو ألف أو واو .

١) تقدير الحركة على المقصور :

لا تظهر الحركات الإعرابية على الاسم المقصور ، وقيل في عدم ظهورها تعذر الاتيان بها لأن الألف لا تحرك . قال سيبويه : " لا يدخلها نصب ولا رفع ولا جر ".(١) فالرفع والجر لا تظهر علاماتهما لتعذر ائتلافهما مع الألف ، لأنهما يتباينان والألف تباينا مفرطا ، وهذا ما دعا النحاة أن يطلقوا على عدم ظهورها " التعذر".(٢)

أما النصب فلا تظهر علامته كذلك لما سبق من التعذر ولأن الفتحة من جنس الألف أو هي بعضها وحينئذ لا معنى لتحريك الألف في حال النصب إذ لن يجدوا إلاّ كمية من الفتحة أطول مما هو موجود (الألف) ، ولن يحتسب هذا الكم كعلامة إعرابية ، لأن الحركات مهما مطلت أو زيد في كمّها الصوتي فلن تؤدي وظيفة أخرى غير وظيفتها المعروفة في اللغة بالتمييز الكمّي بين الحركات القصيرة والطويلة ، ولذا كان المدّ القرآني متصلا أو منفصلا لا يعتبر من حيث الكمية الوظيفية سوى حركتين بالرغم من أنهم يقيسون مدهم بأربع وخمس وست حركات ، فلا فرق بين " والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا "(٣) (الذاريات

---

(١) سيبويه ٣ / ٥٣٦ ، وفيه يسمى المقصور منقوصا ، والفراء يسميه المنقوص ووسم كتابه عنه وعن الممدود بالمنقوص والممدود ، أنظره ص ١١ .

(٢) همع الهوامع ١ / ١٨٢ .

(٣) التمهيد في علم التجويد ١٧٣ ، حيث قال " والقراء مجمعون على مد هذا القسم (يعني المد المتصل للهمز) وبينهم تفاوت في إشباعه وتوسطه ودون ذلك .. " .

٤٧) مدت أم قصرت.(١) ولست أعني نفي قيمة المد الصوتية ، إذ يساعد في التقاء الساكنين على حَدِّهِ الجائز في العربية نحو "الطَّامَّة" (النازعات ٣٤) ، إن كان الالتقاء لغير الوقف ، وكذا إن كان التقاء الساكنين للوقف كالمد العارض للسكون.(٢) وهي قيمة أدائية لا تعتبر جزءاً من النظام الصوتي للعربية .

ويجرى مجرى الاسم المقصور الفعل المضارع المنقلبة ياؤه أو واوه ألفا مثل "يَخْشَى"(٣) في عدم ظهور الضمة عليه .

٢) تقدير الحركة على المنقوص :

ولا تظهر الحركة الإعرابية على المنقوص ، إلا الفتحة لخفتها وتقدر الضمة والكسرة على الياء ، وعلة عدم ظهورها ثقل(٤) الإتيان بها وليس تعذره كما في المقصور ، ومعنى ذلك إمكان النطق بهما مع الياء بتكلف وثقل ، وهو ما فُرَّ منه .

كما تقدر الضمة وحدها على المضارع المختوم بالياء(٥) وتظهر الفتحة لخفتها ، ولا يكون في الأفعال جر ، ولذا لم تقدر الكسرة وكذلك في المضارع المختوم بالواو كـ : "يَدْعُو" . ولا تظهر عليه الحركة لاستثقالها .

---

(١) يختلف مصطلحا المد والقصر بين النحاة والقراء ، فالمد عند النحاة اللفظ بالألف الممدودة في سماء وكساء على أصلها ، بينما القصر حذف الهمزة وإلحاق الممدود بالمقصور ، أما المد عند القراء" فهو عبارة عن زيادة مَطٍّ في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذى لا يقوم ذات حرف المد دونه ، والقصر : عباره عن ترك تلك الزيادة وابقاء المد الطبيعي على حاله " انظر النشر في القراءات العشر ١/٣١٣ ، وكذا المنقوص والممدود للفراء ١١ .

(٢) التمهيد في علم التجويد ٢٧٦ .

(٣) همع الهوامع ١/١٨٢ .

(٤) المصدر نفسه ١/١٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ١/١٨٢ .

وقد استثقلت الضمة على الواو ، ولو لم تكن حركة إعـــراب وذلك في اسم المفعول من الفعل الأجوف الواوي فتقول " مَقُـــول " وأصله " مَقْـوُول " نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها وحذفت الواو ، كما استثقلت على الياء في اسم المفعول من الفعل الأجـــوف اليائي فتقول " مَبِيـع " وأصله " مَبْيُوع " فنقلت الضمة وحذفت الـــواو ، وحولت الضمة المنقولة كسرة لتناسب الياء (١) .

ولا يكون في الأسماء مختوم بواو (٢) لاعتلالها بالقلب حينما كما في الدَّاعِي والغَازِي أو بقائها مع تحريكها وإدغام ما قبلها فيهـــا نحو " مَغْـزُوَّة " (٣) وحينئذ تلحق المنقلبة المنقوص وتخرج المتحركة لظهور الحركات عليها كما تظهر على ياء النسب المشددة .

ثالثا : الاتبـــاع الحركـــي :

يحدث أثناء التأليف الصوتي للكلمات المستقلة تتابع حركات متنافرة ، بين الكسر والضم والكسر ، وكذا بين الفتح والضـــم والضم والفتح . . . ، وقد يحدث التنافر بين الحركة وعدم الحركـــة

---

(١) سيبويه ٤/٣٤٨ ، ٣٤٩ ، وقال " وبعض العرب يُخْرِجه على الأصل فيقول " مَخْيُوط ومَبْيُوع " . وقال ولا نعلمهم أتموا في الواوات ، لأن الواوات أثقل عليهم من الياءات ومنها يفرون الى الياء ، فكرهـــوا اجتماعهما مع الضمة " . والاتمام في اليائي لهجة بني تميم ، انظـــر المنصف ١/٢٨٣ ، وأجاز المبرد الاتمام في الواوي خلافا للبصريين انظر المنصف ١/٢٨٥ ، ولم يجزه المبرد إلا ضرورة خلافا لما نقلـــه ابن جني في المنصف " انظر المقتضب ١/١٠٢ ، وتعليق الشـــيخ محمد عبد الخالق عظيمة في حاشيه الصفحة نفسها .

(٢) شرح الشافيه الكافية ١/٢١٢ .

(٣) المقتضب ١/١٧٤ ، ١٧٥ .

(السكون) نتيجة للتباين بينهما .

وقد يمتد التأليف الصوتي ليشمل عددا من الكلمات الملاصقة أو المجاورة ، مما يطيل الكلمة الصوتية فيزيد احتمال توالي المتنافرات من الحركات مما يدعو إلى التخلص منه بايجاد قدر من التناسب بين حركات الكلمة المنطوقة، يقول الدكتور ابراهيم أنيس : " إن الكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية ، وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمد إلى الانسجام بين حركات الكلمة " [١].

وسيلاحظ على ما سأتناوله هنا عدم الإطراد ، بل إنه قد يكون مخالفا للمطرد أو الشائع استعمالا ، وقياسا ، ولكن ذلك لا ينفي التوجه إلى التناسب ، كما لا ينفي احتمال وجود ثقل التنافر بين الحركات أو بينها وبين السكون قبل الإتباع .

وفيما يلي نتناول أهم مسائل الإتباع الحركي في العربية :

(١) حركة ضمير الغائب :

وضمير الغائب هو " الهاء " وحدها على ما ذهب اليه جمهور النحاة [٢] ، وأصل حركتها الضم والواو الحاصلة بالإشباع زائدة لتقوية الحركة [٣] ، ولا تبقى " الهاء " على حركتها كما لا يبقى إشباعها أحيانا ، وقد يتبع الإشباع تغير حركتها على النحو التالي :

---

(١) في اللهجات العربية ٨٦ .
(٢) همع الهوامع ١/ ٢٠٣ ، وانظر سيبويه ٤/ ١٩٥ .
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٣ .

(١) كسر الهاء إتباعا لكسرة سابقة :

وهي تكسر إذا سبقها كَسْر بناء أو إعراب أو بعد ياء ساكنة نحو : "مَرَّ بِهِ ، ولَم يُعْطِهِ يرميه ، وفيهِ وعلَيهِ". وإنما كُسِرت هنا إتباعا ، ومنه قوله تعالى: "فَخَسَفْنا بِهِ وبِدارِهِ الأرضَ"(١) (القصص ٨١)

وينص سيبويه على أن الإتباع هنا كان للتناسب الصوتي ، فيقول : " فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ، لأنها خَفِيَّة كما أن الياء خَفِيَّة ، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة ، وهي من موضع الألف،وهي أشبه الحروف بالياء . فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء ، وقلبوا الواو ياء ، لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة ، فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها نحو:كِلابٍ وعابِدٍ . وذلك قولك : مَرَرْتُ بِهِي قَبْلُ ، ولَدَيهِي مال ... "(٢).

ولست أوافق سيبويه فيما ذكر من علل أوجبت الكسر هنا ، فالهاء حرف صامت ، والياء والواو صائتان أو نصفا صامت ، وليست مشابهتها الياء في الزيادة موجبا للكسر ، إذ يلزم منه كسر أحرف الزيادة الأخرى إذا سبقها كسر لمشابهتها الياء في الزيادة .

كما أنها ليست من مخرج الألف بل هي صوت حنجري صامت والألف صائت يخرج من الفم .

أما تشبيهه للكسر هنا بإمالة الألف فهو تشبيه مقبول بجامع

---

(١) قرأ السبعة إلا ابن كثير بكسرة بغير ياء ، وكذا بضمة بغير واو فيما كان حقه الضم ، انظر الكشف ١/٤٢ ، ٤٣ .

(٢) سيبويه ٤/١٩٥ ، وانظر المحتسب ١/٤٤ ، ٤٥ .

المناسبة في الحالين،وكذا مقارنته بين قلب الواو ياء للكسرة قبلها بين كسر الهاء بجامع المناسبة أيضا . وإذا كان ضميرا الجميع أخذ حكم ضمير المفرد في كسر هائه ، فتكسر الميم إتباعا لكسرة الهاء فتقول " بهِمِ " و " عليهِمِ " بكسرتين ،يقول سيبويه : " فإن لحقت الهاء الميم في علامة الجمع كسرتها كراهية الضمة بعد الكسرة ، ألا ترى أنهما لا يلزمان حرفا أبدا . فإذا كَسَرت الميم قلبت الواو ياء كما فعلت ذلك في الهاء " .[١] ومعنى ذلك كسرها للتناسب بين الحركات وقد مر معنا قول ابن جني : " أنهم يكرهون الخروج من كسر الى ضم بناء لا زما "[٢] وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله : " لا يلزمان حرفا أبدا" .

وقرأ أبو عمرو بن العلاء[٣] " عليهِمِ الذِّلَّة " (آل عمران ١١٢) بإتباع الكسرة الكسرة لالتقاء الساكنين ، قال أبو علي الفارسي محتجا لهذه القراءة : " وحجة من كسر الميم للساكن الذى لقيها والهاء مكسورة أن يقول : أتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسرة كما استثقلوا ضم الهاء بعد الكسرة ، وكذلك استثقلوا ضمة الميم بعد (كسر)[٤] الهاء ، ألا ترى أنه ليس في كلامهم مثل : فِعُل وأنهم يضمون ألف الوصل في مثل اُقْتُل ، فِرارا من الضم بعد الكسر "[٥] .

---

(١) سيبويه ٤ / ١٩٥ .

(٢) المنصف ١ / ٣٠ ، وانظر الحجة لأبي علي الفارسي ١ / ٧٣ .

(٣) الحجة ١ / ٤٢ .

(٤) زيادة لازمة للتوضيح ، وهي موجودة في اختلافات نسخ التحقيق بهامش حجة أبي علي الفارسي ١ / ٤٥ .

(٥) المصدر نفسه ١ / ٤٥ ، حيث سرد اختلاف القراء السبعة في حركتي الضمير " هم " وأفاض في الاحتجاج لقراءتهم وتوجيهها لغويا .

٢) ضم الميم اتباعا لضمة الهاء في ضمير الجميع :

مرّ أن أصل حركة الهاء الضم ، فإذا لحقتها الميم للدلالة على الجمع ضمت على الأصل (١) ، فتقول لَهُ ، ومِنْهُ ، ولَهُم ، ومِنْهُم .

ويرى سيبويه في ذلك لغات عدة منها الضم مع الإشباع نحو " عليكُمُو ، وأنتُمُو ذاهبون ... " (٢) أو الحذف نحو " عليكُمْ مال ، وأنتُمْ ذاهبون " ... قال تعقيبا على هذه الأمثلة : " لما كثر استعمالهم هذا - يعني الضمير - في الكلام واجتمعت الضمتان مع الواو ، والكسرتان مع الياء ... حذفوا كما حذفوا من الهاء في الباب الأول (٣) ... اذ صارت الهاء بين حرفي لين ... وأسكنوا الميم لأنهم لما حذفوا الياء والواو كرهوا أن يدعوا بعد الميم شيئا منهما ، إذ كانتا تحذفان استثقالا فصارت الضمة بعدها نحو الواو " (٤) .

وإذا أسكنت ميم الجمع كما مر فانها لا تحرك إلا بالضم على الأصل إذا التقت بساكن بعدها قال سيبويه " فلما اضطروا إلى التحريك جاءوا بالحركة التي في أصل الكلام " (٥) .

ويلاحظ في حركة التقاء الساكين هنا خروجها عن الكسر المعتاد إلى الضم لا لأصالته فحسب ، بل ولتحقيق التناسب الصوتي بأن تتبع الضمة الضمة ، وقد قُرِئ " عليهُمُ " (الفاتحة ٧) بضمتين بلا إشباع (٦) .

---

(١) همع الهوامع ١/ ٢٠٤ .
(٢) سيبويه ٤/ ١٩١ ، ١٩٢ .
(٣) يعني حذف الياء أو الواو المتشبعتين من حركة ضمير المفرد في (باب ثبات الياء والواو في الهاء التي هي علامة الإضمار وحذفهما " ٤/ ١٨٩ .
(٤) سيبويه ٤/ ١٩٢ .
(٥) المصدر نفسه ٤/ ١٩٣ .
(٦) المحتسب ١/ ٤٤ .

ومما يؤكد الإتباع في حركات الضمير مفردا وجمعا ما شبه به سيبويه الإتباع في " عليهُمُو " . . ونحوها بالتقريب بين الصاد والدال في الجهر فقال : " كما أنك تقول في باب الإدغام " مَصْدَر " فتقربها ـ أي الصاد ـ من أشبه الحروف من موضعها بالدال وهي الزاى . " (١)

٣) كسر الميم اتباعا لكسرة الكاف في خطاب الجميع :

وذلك نحو قولك : من أحلامِكِم ، وبِكِم ، قال سيبويه : " شبهها بالهاء لأنها علمُ إضمار وقد وقعت بعد الكسرة ، فأتبع الكسرة الكسرة حيث كانت حرف اضمار ، وكان أخفّ من أن يضمّ بعد أن يكسر " . (٢)

واستشهد بقول الحطيئة : (٣)

وإن قالَ مَوْلاَهُمْ على جُلِّ حادثٍ
من الدَّهْرِ رُدُّوا فَضلَ أَحْلامِكِم رَدُّوا

وهي لهجة الناس من بكر بن وائل كما ذكر سيبويه . (٤) غير أن الأصل في ميم ضمير الجمع (كم) أن تكون بالضم ، حتى أنه لو لقيت ساكنا بعدها حركت بحركتها الأصلية . (٥) وحينئذ تتبعها حركة الكاف فتضم لضمة الميم ، فتقول : بِكُمُ ، عليكُمُ .

---

(١) سيبويه ٤/١٩٦ .
(٢) سيبويه ٤/١٩٧ ووصفها بالقبح والرداءة ، وتبعه الأخفش الأوسط في معاني القرآن ١/٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ٤/١٩٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/٢٨ .
(٤) المصدر نفسه ٤/١٩٧ .
(٥) المصدر نفسه ٤/١٩٣ .

٢) حركة همزة الوصل في أمر الثلاثي :

يقول سيبويه : " واعلم أن الألف الموصولة . . . مكسورة أبداً " (١)

هذا هو الأصل في همزة الوصل ، وهي تلحق أَمْرَ " كلّ فعل ثلاثي ثاني مضارعه ساكن " . (٢)

ويعدل عن هذا الأصل إذا كان ثالث حروف المضارع مضموماً ، نحو " اُقْتُل " فتتبع حركة همزة الوصل حركة الثالث المضموم ، يقول سيبويه : " . . إلا أن يكون الحرف الثالث مضموما فتضمها ، وذلك قولك : " اُقْتُل اُسْتُضْعِفَ ، اُحْتُقِر ، اُحْرُنْجِمَ " (٣) ، وذلك أنك قربت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة ، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد كما فعلوا ذلك في " مُذُ اليومُ يا فتى " وهو في هذا أجدر ، لأنه ليس في الكلام حرف أوله مكسور والثاني مضموم . . . " (٤) .

ويلاحظ هنا أن سيبويه مثل بالبناء للمجهول في اُسْتُضْعِفَ . . ونحوها على أن فيه إتباعا بين همزة الوصل وثالث الفعل المبني للمجهول والأمر حينئذ لا يخلو من ملاحظات .

أ) أن سيبويه حمل الإتباع في المبنى للمجهول على مضارع الفعل مجردا من الزيادة ، ويلاحظ أن " ضَعُف وحَقُر " يأتيان من باب شَرُف (٥) ومضارعهما على " يَفْعُل " ويوافقهما

---

(١) سيبويه ٤/١٤٦ .

(٢) شرح الكافية الشافية ٤/٢٠٧٢ .

(٣) في سيبويه ٤/١٤٦ مشكولة هكذا " احْرُنجِمُ " وفي اللسان : احْرَنْجَم الرجل : أراد الأمر ثم كذب عنه ، واحْرَنْجم القوم أو الإبل : اجتمعت انظر اللسان " حرجم " .

(٤) سيبويه ٤/١٤٦ .

(٥) اللسان ـ مادة (ضعف) ـ ومادة (حقر) .

قَتَلَ في المضارع وينقض هذا الاحتمال أنه مثل بمزيد الرباعي "احْرَنْجَمَ".

ب) أن يكون أراد ضم ثالث المزيد مما أوله همزة وصل عند بنائه للمجهول إتباعا لضمة همزة الوصل فتقول: "أُستُخْرِج ـ اُستُمِع" وهو ما لم يصرح به هنا ولا في حديثه عن بناء المجهول من المزيد من "اسْتَفْعَلَ"(١).

ج) أنه اعتبر حركة الثالث في المبني للمجهول أصلية ، ولذا ضم لهما همزة الوصل إتباعا ، وهو الذى يفهم من قوله ، وذلك حين تنظر في كتب المتأخرين عنه فقد تابعوه على أن ضم الهمزة إنما كان إتباعا لضمة التاء ، فذهب إلى ذلك المبرد(٢) ، وابن جني(٣) ، وابن مالك(٤) ، والسيوطي(٥) ، قال ابن مالك "وتضم ـ أى همزة الوصل ـ قبل ضمة أصلية/موجودة نحو اُخرُج ، وكذا مع الماضي المبني للمفعول نحو : انطُلِق واُستُخرِج"(٦) ، محتجين بكراهة الخروج من كسر إلى ضم . والذى أراه في المسألة يتمثل في نقطتين :

أولاهما : إن ضم همزة الوصل في المبني للمجهول إنما كان من قبيل أنها علامة المبني الدائمة الظهور في أول هذه الأفعال مزيدة كانت أم مجردة ، وهو ما يُصَرّح به في الحديث عن بناء الفعل للمجهول ، يقول ابن مالك :

---

(١) سيبويه ٤/٢٨٤ حيث قال "وفُعِل من جميع هذه الأفعال التي لحقتها ألف الوصل على مثال فَعَلَ في الحركة والسكون إلا أن الثالث مضموم".

(٢) في المقتضب ١/٨١ .

(٣) المنصف ١/٥٤ .

(٤) شرح الكافيه الشافيه ٤/٢٠٧٦ ، وتسهيل الفوائد ٢٠٣ ، والمساعد في تسهيل الفوائد ٢/٦١٤ .

(٥) همع الهوامع ٦/٢٢٢ .

(٦) المساعد في تسهيل الفوائد ٢/٦١٤ ، وما بعد لفظ "موجودة" من كلام صاحب المساعد .

" قد يحذف الفاعل لكونه معلوما ... فينوب عنه فيما كان له من رفعٍ ، واعتناء ، وغير ذلك المفعول به مسند إليه فِعْـلٌ مُهَيأ بهيئة تُنْبِيءُ عن النيابة ... موتهيئة الفعل لذلك بضم أوله ـ مطلقا ـ وفتح ما قبل آخره إن كان مضارعا وكسره إن كان ماضيا ".(١) ومثلُ ذلك ذكره السيوطي.(٢)

والأخرى : أن ما يضم مع ضم همزة الوصل يجرى مجراها فإذا ضم الثالث من الأفعال المزيدة المبدوءة بهمزة الوصل فللدلالة على البناء على المجهول إذا سقطت همزة الوصل، وهي تسقط في وصل الكلام كما هو معلوم مشهور ، ولمزيد من التأكيد على هذه النقطة نقارن بين الفعل " استضعف " في حال بنائه للمجهول مع عدم ضم ثالثه في قوله تعالى : " قال الملأُ الذين اسْتَكْبَروا من قومه للذين اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسلٌ من رَبِّهِ قالوا إنّا بما أُرسِلَ به مؤمنون " (الأعراف ٧٥) .

إنه لا يدرى إن كان أمرا بالاستضعاف أم إخبارا عن المستضعفين ؟.

أما الضم اتباعا للضم في الفعل فلا يكون ـ فيما أرى ـ إلّا خاصا بالأمر من الثلاثي المجرد المضموم العين في المضارع ، لأن حين يكسر ، لا يلتبس بغيره . قال ابن جني : " وحكى بعضهم " اِقْتُـل " بكسر الهمزة فجاء به على الأصل، واعتد الساكن حاجزا

---

(١) شرح الكافيه الشافيه ٢/٦٠٣ .
(٢) همع الهوامع ٦/٣٦ .

لأنه وإن كان لا حركة فيه ، فهو حرف على كل حال،وهذا من الشاذ ، وإن كان له وُجَيْهٌ في القياس ، فهو من الشاذ عن القياس والاستعمال جميعا " . (١)

٤) جمع " فُعْلَة " جمعا صحيحا :

يأتي " فعْلَة " مثلث الفاء ، ساكن العين ، وحين يجمع تتبع عينه حركة فائه ، على النحو التالي :

أ) اتباع الضم الضم :

وذلك نحو " خُطْوَة ، وغُرْفَة " تقول في الجمع " خُطُوات وغُرُفات " يقول سيبويه : " وأما ما كان " فُعْلة " فانك إذا كسرته على بناء أدنى العدد ألحقت التاء وحركت العين بضمة وذلك قولك : " رُكْبة ورُكُبات ، وغُرْفة وغُرُفات ، وحُفْرة وحُفُرات . . " (٢) . ثم قال : " ومنات الواو بهذه المنزلة قالوا : خُطْوة وخُطُوَات . . " (٣) .

وقد ذكر المبرد (٤) أن تحريك " فَعْلَة " إذا جمع بالألف والتاء إنما يكون عوضا عن الهاء المحذوفة ، ويكون فرقا بين الاسم والنعت .

ولست مع المبرد أن الحركة عوض عن تاء التأنيث المحذوفة إن وجدت بدلا منها تاء الجمع وهي للتأنيث . يقول السيوطي

---

(١) المنصف ١/٥٤ ، ٥٥ .
(٢) سيبويه ٣/٥٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ٣/٥٨٠ .
(٤) المقتضب ٢/١٨٨ .

: " تحذف تاء التأنيث عند جمع ما هي فيه استغناءً بتاء الجمع " (١) .

ويبقى أن يكون تحريكها للفرق بين الاسم والصفة، (كـضَخْمَة وضَخْمَات) وهو ما ذهب إليه سيبويه (٢)؛ إذ يتفق جمع الصفة المؤنثة، وكذا الاسم المؤنث وحينئذ يجمعان ويحرك الاسم للفرق . غير أن هذا التحريك لا ينفي اختيار الضم للإتباع ذلك أنه يصح أن تفتح عين المضموم الفاء، يقول سيبويه : " ومن العرب من يفتح العين إذا جمع بالتاء فيقول " رُكَبَات، غُرَفَات " (٣) وهذا يعني أن مجرد التحريك يكون فرقا بين الاسم والصفة، لكن اختيار الضم إنما كان للإتباع وهو ما ذهب إليه المبرد (٤)، وقد قُرِئ قوله تعالى: " خُطُوات الشيطان " (٥) (البقرة ١٦٨) ، بالضم إتباعاً

ب) إتباع الكسر الكسر :

وذلك نحو " سِدْرة وسِدِرات "

يقول سيبويه : " وما كان " فِعْلَة " ، فإنك إذا كسرته على بناء أدنى العدد أدخلت التاء وحركت العين بكسرة وذلك قولك : قِرِباتٌ وسِدِراتٌ وكِسِراتٌ " (٦) وذلك إتباعا

---

(١) همع الهوامع ١/٧١ .
(٢) سيبويه ٣/٦٢٧ .
(٣) المصدر نفسه ٣/٥٧٩ .
(٤) المقتضب ٢/١٨٩ .
(٥) قرأ بالضم ابن عامر والكسائي وحفص وقنبل ، وأسكن الباقون الطاء . انظر الكشف ١/٢٧٣ .
(٦) سيبويه ٣/٥٨١ .

لكسرة الفاء ، وحتى يكون العمل من وجه واحد .

وما قيل في أن الحركة للفرق يرد هنا ـ أيضـــا ـ

وذهب الفراء[١] إلى منع الإتباع مطلقا في جمع الصحيح المكسور محتجا بأن " فِعِل " كإِبِل بناء نادر .

ج) إتباع الفتـح :

وذلك نحو " جَفْنَة وجَفَنَات " ، يقول سيبويه : " وأما ما كان على " فَعْلَة " فإنك إذا أردت أدنى العدد جمعتها بالتاء ، وفتحت العين ، وذلك قولك : " قَصْعَة وقَصَعَات وصَحْفَة وصَحَفَات وجَفْنة وجَفَنَات . . "[٢]

ويجرى مجرى الصحيح المعتل اللام يقول سيبويه :

" وبنات الياء والواو بتلك المنزلة ، تقول رَكْـوَة وركَوات وقَشْـوة وقَشَوات . . . "[٣] وكذا معتل العين في لهجة هذيل إذ يقال " بَيْضَة وبَيَضات ، وجَوْزة وجَـوَزات "[٤] كل ذلك محرك لأجل الفرق بين الاسم والصفة كما مرّ ، لكـن التحريك أدى غرضه في ايجاد التناسب بين حركتي الفـاء والعين في الجمع .

وليس في المفتوح الفاء إلا الفتح لغة واحدة إذ هـي أخف الحركات ،[٥] وقبل أن نترك هذا الإتباع إلى غيره ،

---

(١) همع الهوامع ١ / ٧٤ .
(٢) سيبويه ٣ / ٥٧٨ .
(٣) المصدر نفسه ٣ / ٥٧٨ ، ٥٧٩ والقشوة : قفة تجعل فيها المرأة طيبها ، اللسان (قشو) .
(٤) المقتضب ٢ / ١٩٣ .
(٥) المصدر نفسه ٢ / ١٨٩ .

تذكر أن من لغات العرب في هذا الجمع اسكان العين وفتح عينهما استثقالا لضمتين أو كسرتين (١) .

٤) اسم الفاعل من الفعل المزيد :

وهو يبنى من الفعل المزيد على وزن مضارعه مع إبدال يائه ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره (٢) ، فتقول : " مُنْحدِر " من " انحدر " ويروى سيبويه عن الخليل الإتباع فيقول " مُنْحَدُر من الجبل " (٣) وذلك كراهة الخروج من ضم إلى كسر ، وكذلك قالوا : " مِغِيرة ومِعِين " (٤) بالإتباع ، حيث اتبعوا الكسرة الكسرة ، وقد روى الأخفش الأوسط (٥) لغتين إتباعيتين في لفظ " مُنْتِن " ، فيقال " مُنْتُن " بضمتين و" مِنْتِن " بكسرتين .

وهذا يعني أن الإتباع يكون في الاتجاهين فمرة يتبع الأول الآخر في الكسر وأخرى يتبع الآخر الأول في الضم ، وفي كليهما كراهة التنافر بين الكسرة والضمة وبخاصة إذا سبقت الأخيرة ، وبخاصة أن اسم الفاعل من المزيد المعتل العين لا يكون إلا بالكسر ، وإتباعه لا يكون إلا بالكسر ، خوفا مما فُرَّ منه حين أعلت ياء (مُغِيره ومُعِين" بنقل الحركة إلى الساكن قبلها .

٥) الكسر مع حروف الحلق :

يحدث الإتباع بين حركة الحرف الحلقي الواقع عينا في الكلمة

---

(١) المقتضب ٢/ ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٢) همع الهوامع ٦/ ٥٧ .
(٣) سيبويه ٤/ ١٤٦ ، وفي الخصائص " مُنْحُدُر " بضمتين بعد النون ٢/ ١٤٣ .
(٤) سيبويه ٤/ ١٠٩ .
(٥) معاني القرآن ١/ ٥ .

وبين فاء الكلمة ، يقول ابن جني : " ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق ، نحو شِعِير ، وبِعِير ، ورِغِيف وسمعت الشجرّي غير مرة يقول : زِئِير الأسد ، يريد الزَئِير "(١) إذ كسر فاء الكلمة لكسرة العين ، لكونها حرفاً حلقياً.

والأخفش الأوسط(٢) يجعل هذه المسألة من كلامهم في كل ما كان ثانية أحد الحروف الستة . ويذكر سيبويه(٣) إن ما كان عينه واحدا من الحروف الستة (الحلقية) ، فيه أربع لغات مطردة سواء أكان فعلا أم اسما إذا كان على " فَعِيل " وهي " فَعِل فِعِل فَعْل فِعْل " . وكذا " فَعِيل " إذا كانت عينه حرفا حلقيا يطرد فيه لغتان " فَعِيل وفِعِيل " . وينسب سيبويه الإتباع لهجة لتميم .(٤)

ويعلل سيبويه علاقة الحرف الحلقي بالإتباع هنا ، حملا على الإتباع في " فَعَل يَفْعَل " الحلقي العين أو اللام ، وأنه إنما فتح هناك لمشابهة هذه الحروف الألف .(٥) وكسر هنا وكان الكسر أقرب الأشياء إلى الفتح(٦) ، ولم يفتح كما فتح هناك منعا للبس .(٧)

ولم يقتنع الدكتور ضاحي عبد الباقي بتفسير سيبويه حيث قال :

" والتفسير هو أن طبيعة الأصوات الحلقية تؤثر في غيرها ولا تتأثر هي بغيرها ،

---

(١) الخصائص ٢/١٤٣ .
(٢) معاني القرآن ١/٥ .
(٣) سيبويه ٤/١٠٧ .
(٤) المصدر نفسه ٤/١٠٨ .
(٥) المصدر نفسه ٤/١٠١ .
(٦) المصدر نفسه ٤/١٠٨ .
(٧) المصدر نفسه ٤/١٠٨ .

بل إن أصوات الحلق نفسها يؤثر ما هو أبعد منها عن الفم فيما هو أقرب للفم "(١) ثم عقب بأنها لهجة شائعة غير مشروطة بحلقية العين ، فقال " فكل فَعِيل يصير فِعِيل مثل " رِغِيف وسِلِيم كِبِير " ، وهو ما هو شائع في منطقة نجد وما حولها(٢) في عصرنا الحاضر . والحقيقة أنها لهجة تسمع في كثير من الأقطار العربية حديثا .(٣)

ويذهب الدكتور أنيس إلى(٤) أنه لا معنى لاشتراط حلقية العين في مثل هذه الكلمات ، والأمر عنده لايعدو الانسجام الصوتي بين الحركات الذى تسمعه الآن في بعض اللهجات من نطق "كِبِير - بِعِيد - نِظِيف" بكسر أولها .

أما الدكتور حسام النعيمي فيرى ما رآه القدماء من اشتراط أن يكون مثل هذا الانسجام بين الفاء والعين كسرا ، فيما كانت العين فيه حرفا حلقيا .(٥)

كما أن سيبويه يحمل على وجود الحرف الحلقي فتح العين في مضارع فعل ماعينه أولامه حرف حلقي ، نحو " سَأَل ، يَسْأَل ، وفَتَح يَفْتَح " فيقول : " وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سَفُلت في الحلق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الذى في حيزها ، وهو الألف ، وإنما الحركات من الألف والياء والواو . . "(٦) ، وإلى ذلك ذهب ابن جني فقال : " وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة " .(٧)

---

(١) لهجة تميم دراسة تاريخية وصفية ٢١٤ .
(٢) المصدر نفسه ٢١٣ .
(٣) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢١٦ ، ٢١٧ .
(٤) المصدر نفسه ٢١٦ .
(٥) المصدر نفسه ٢١٦ ، ٢١٧ .
(٦) سيبويه ٤ / ١٠١ .
(٧) الخصائص ٢ / ١٤٣ .

ويلاحظ على نص سيبويه أنه يقسم الحركات بإزاء الحروف على النحو التالي :

١) حروف الحلق " لسفولها " وتناسبها الفتحة لأنها من حيزها .

٢) حروف الفم "لارتفاعها " وتناسبها الضمة أو الكسرة" لارتفاعها" .

ويؤكد صحة ما ذهبنا إليه قوله في النص السابق : " كرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذى في حيزها وهو الألف ، ثم إنه يعود فيكرر قوله هذا بقوله " وكذلك حركوهن إذْ كُن عينات - يعني حروف الحلق - ، ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء لأنهما من الحروف التي ارتفعت ، والحروف المرتفعة حيز على حده ، فإنما تتناول للمرتفع حركة من مرتفع ، وكره أن يتناول للذى قد سَفُل حركة من هذا الحيز " .(١)

ثم أكد قوله هذا في حديثه عن الحلقي العين واللام مما جاء مضارعه على الأصل بالكسر أو الضم ، إذ قال في ما ضم مضارعه نحو " صَلُح يَصْلُح وفَرُغ يَفْرُغ " : " والأصل في هذين الحرفين أجدر أن يكون ، يعني الخاء والغين ، لأنهما أشد الستة ارتفاعا " .(٢)

لكنه يحيل المسألة فيما جاء على الأصل إلى الفرق ، واختلاف الأبنية ولزومها حركات بعينها لا تخرج عنها ، فيقول معقبا على ما جاء على الأصل مثل " رَعَدَتْ السماءُ تَرْعُد " ونَحَت يَنْحِت ... : وهذا الضرب إذا كان فيه شيء من هذه الحروف لم يفتح ما قبلها ولا تفتح هي أنفسها إذا كانت قبل آخر

---

(١) سيبويه ٤ / ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه ٤ / ١٠٢ .

(٣) انظر بقية الأمثلة مما جاء على الأصل في ٤ / ١٠٢ ، ١٠٣ من الكتاب .

حرف ،[١] وذلك لأن هذا الضرب الكسر له لازم في " يَفْعَل " لا يعدل عنه ، ولا يصرف عنه إلى غيره ، وكذلك جرى في كلامهم وليس فَعَل[٢] كذلك ، وذلك لأن فَعَل يخرج يَفْعَل منه إلى الكسر والضم ، وهذا لا يخرج إلاّ إلى الكسر[٣] فهو لا يتغير ، كما أن فعل منه على طريقة واحدة ، وصار هذا في فعل لأن ما كان على ثلاثة أحرف قد يبنى على فَعَل ، وفَعِل ، وفَعُل ، وهذه الأبنية كل بناء منها إذا قلت فيه فَعُل لزم بناء واحدا في كلام العرب كلها "[٤].

وإن كنت أوافق سيبويه في تفسير ما جاء على الأصل بأنه من باب الفرق وأمن اللبس إلا أنني لا أذهب معه فيما قال من التناسب بين الحركات والحروف في السفول أو الارتفاع وأقول إن كان لا بد من تفسير للفتحة التي ترافق الحرف الحلقي في بعض الحالات ، أن خفتها مع ثقل الحرف الحلقي سبب في اختيار الأخف للأثقل .

٦) إتباع في نماذج متفرقة من الكلمات :

يستشهد النحاة أحيانا ببعض الكلمات التي جرى التناسب

---

(١) قوله "لم يفتح ما قبلها" (إذا كُنَّ لامات) ، وقوله " لا تفتح هي أنفسها إذا كانت قبل آخر حرف (إذا كُنَّ عينات) .
(٢) يعني الماضي المفتوح العين .
(٣) قوله (وهذا لا يخرج إلاّ إلى الكسر) يشير إلى المضارع ، إذ ليس بعد خروجه من الماضي مع تغيير حركة عينه ما يخرج إليه على عكس الماضي الذي إن كان مفتوحا خرج مثلث العين على فَعَل يَفْعَل ويَفْعِل ويَفْعُل ـ انظر الأمثلة قبل نص سيبويه أعلاه .
(٤) سيبويه ٤/١٠٣ .

الصوتي بين حركات بنيتها ، ويقرأ القراء بالاتباع في بعض هذه الكلمات وسنورد بعضا من هذه الكلمات موضحين موطن الاتباع فيها :

أ) كلمـــة " أُمّ "

في موضع الجر باللام تتبع حركاته كسرة لام الجر فتقول : " إِمّك "

وعقب سيبويه على الشاهد :

" اضْرِبِ السّاقَيْنِ إِمِّك هَابِلُ " (١)

بقوله : " فكسرهما جميعا كما ضم في ذلك " (٢) ــ يعني " أَجُوكَ وأنبؤُك وهو مُنحَدُرٌ " (٣) .

وقد قرأ حمزة والكسائي (٤) قوله تعالى " فلِإمِّـهِ السدس " (النساء ١١) بالكسر إتباعا ، وكذلك قوله تعالى : " فرَدَدْناهُ إلى إِمِّـــه " و " حتى يَبْعَثَ في إِمِّهـــا " (القصص ٤ ، ٥٩) ، وقوله تعالى : " في بُطُونِ إِمِّهاتكم " (النحل ٧٨) .

ويلاحظ على هذه القراءات أنها لم تختص بما دخلت عليه اللام الجارة ، فأُتْبِعَت حركة الهمزة كسرة اللام ، بل تجاوز ذلك إلى أن يكون لفظ " أُمّ " مجرورا بالحرف أو بالإضافة . وهذا يعني أن الإتباع قد يكون متبادلا فبينما قد يتبع الأول الآخر ، قد يتبع الآخر الأول، والــــذى يلاحظ على القراءة بالأصل " لِأُمِّـه " أن الهمزة وقعت بعد كسر وهـــي مضمومة ثم تلاها كسر وهذا يعني أن التنافر المكروه يتمثل في أمــور :

أولهما : كراهة الخروج من كسر إلى ضم ــ في اللام والهمزة .

---

(١) سيبويه ٤/١٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ٤/١٤٧ .
(٣) المصدر نفسه ٤/١٤٦ .
(٤) السبعه ٢٢٨ والكشف ١/٣٧٩ .

والثاني : كراهة الخروج من ضم إلى كسر – في الهمزة والميم . والثاني أثقل من الأول بدليل أن الخروج من الضم إلى الكسر لم يأت في بناء أصلي أو لازم .

والثالث: الخروج من كسر إلى ضم ثم إلى الكسر ، مجتمعة في "لِأُمِّهِ"

ولهذا كان إيجاد التناسب بين هذه الحركات مصدر تخفيف وبعد عن الكراهة والاستثقال ، إلاّ أن الواضح من القراءات السابقة أن الخروج من الضم إلى الكسر كان هو السبب المباشر للإتباع ، لأن قوله تعالى : " فرددناه إلى أُمِه " لم تسبق فيه الهمزة بكسرة ولا ياء وإنما بألف ، وكسرت الميم من " أم " للجر فكان لا بد من أن يقع المكروه بتتابع الضم والكسر ، فتخلصوا منه بكسر الهمزة لكسرة الميم ، وبخاصة وهو لفظ كثير الاستعمال .

ب) كلمة النَّقِد[1] :

قال الأخفش الأوسط : " قالوا في " النَّقِد " : النِّقِد ، فكسروا النون لكسرة القاف "[2] وقد يحمل هذا الإتباع على ما كان فيه حرف حلقي عينا أو لاما ، يقول ابن جني " وأما قولهم : " رجل جِئِز ، ومِحِك ونِغِر " ونحوه فإنما أصل بنائه على " فَعِل " ، ولكنهم كسروا فاء الفعل اتباعا من أجل حرف الحلق ، كما قالوا شِعِير وبِعِير فكسروا فاء الفعل لكسره عينه "[3] وإلى مثل ذلك ذهب أيضا في المحتسب فقال: "إن كل ما كان على فَعِل وثانيه حرف حلقي فلهم فيه أربع لغات ، وذلك نحو

---

(١) النَّقِد : تقشر من الحافر وتأكل في الأسنان ، اللسان (نقد) .

(٢) معاني القرآن ١ / ٥ .

(٣) المنصف ١ / ١٩ وفيه مثل بكلمة (نفر " بالفاء " ، وصوابه بالغين من المحتسب) ١ / ٣٥٦ .

" فَخِذ ومَحِك ونَفِر " بفتح الأول وكسر الثاني على الأصل ...
وإن شئت اتبعت الكسر الكسر فقلت : " فِخِذ ومِحِك ونِفِر "
وكذلك الفعل نحو " ضِحِكَ " . (١)

ووجه حمل الإتباع في كلمة " نَقِـد " على الإتباع في حروف الحلق ، مجاورة القاف للغين والخاء في المخرج عند القدماء والمحدثين، إذ تخرج القاف من أول المخارج مما يلي الحلق (٢) ،وهي عند المحدثين من مخرج واحد هو اللهاة . (٣)

٧) الإتباع في الكلمتين :

ويكون ذلك بين حركة الإعراب في آخر الكلمة وحركة أول الكلمة الثانية ، وعلى ذلك جاءت القراءة في قوله تعالى : " الحمدُ لُلّه " بضمتين (٤) وكسرتين (٥) ،حيث يتبعون في حال الضمتين الصوت الثاني للأول ، وفي حال الكسرتين الأول للثاني ، يقول ابن جني " فلما أطرد هذا ونحوه لكثرة استعماله اتبعوا احد الصوتين الآخر وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر ، فصارت " الحمدُ لُلّه" كعُنُقٍ وطُنُبٍ ، و (الحمدِ لِله) كإبِلٍ وإطِلٍ إلا أن " الحمدُ لُله" بضم الحرفين أسهل من " الحمدِ لِله " بكسرهما " . (٦)

ويدلل ابن جني على أن القراءة بضمتين أسهل من القراءة

---

(١) المحتسب ١/٣٥٦ ، واللغتان الأخريان الاسكان مع الفتح والاسكان مع نقل حركة العين الى الفاء " فخذ " .
(٢) سيبويه ٤/٤٣٣ .
(٣) الأصوات اللغوية (أنيس) ٨٧ .
(٤)(٥) وهما قراءتان شاذتان انظر المحتسب ١/٣٧ ، وذكر الفراء "الحمدَ لِله " بفتح وكسر في معاني القرآن ١/٣ .
(٦) المحتسب ١/٣٧ .

بكسرتين بدليلين موجزهما :(١)

أولا : أن أقيس الإتباع أن يكون الثاني تابعا للأول .

والثاني : أن ضمة الدال في " الحمدُ " إعراب ، وكسرة اللام في (لِلّه) بناء ، وحُرْمة الأعراب أقوى من حُرْمة البناء .

ويبدو أن العكس هو الأسهل ، لا ما ذهب اليه ابن جني رغم القبول الذى يحظى به استدلاله الأول وهو أن الثاني يتبع الأول .

ذلك أن الضمة أثقل من الكسرة وذلك يعني أن تتابع كسرتين أيسر من تتابع ضمتين .

وليس دليله الثاني قويا ، إذ لو اعتبرت قيمة الحركة الإعرابية لكان الأخف القراءة المشهورة بلا إتباع محافظة على الحركة الإعرابية وحركة البناء .

ووجه الثقل في " الحمدُ لِلّه " الذى ألجأهم إلى الإتباع إنما هو تتابع الضم والكسر في كلمتين كثر استعمالهما حتى أصبحتا كالاسم الواحد .(٢)

---

(١) المحتسب ١/٣٧ ، ٣٨ .

(٢) معاني القرآن (للفراء) ١/٣ .

رابعا : (الإمالــه)

تعريف الامالـــة :

وهي أن تنحو بالألف نحو الكسرة ليتجانس الصوت ، وهذا تعريف الزمخشري (١) لها ،

وهذا التعريف جمع بين فحوى استعراض سيبويه (٢) لمواضع إمالة الألف وأسباب ذلـــك،وبين تعريف ابن جني لها من خلال إدخاله لها ضربا مما أســـــماه " بالإدغام الأصغر " (٣) الذى عرفه " أنه تقريب الحرف من الحرف وادناؤه من غـير إدغام يكون هناك " ، وبين قول ابن جني ايضا ــ في سر الصناعة ــ من أن الإمالة بين الألف واليا " إنما كانت " لضرب من تجانس الصوت " (٤) .

وسيبويه يشبه الإمالة بإجهار الصاد إذا جاورت الدال في نحو " صَدْر " وسمى الأخير إدغاما ، (٥) ونص على أن ذلك إنما يكون التماسا للخفة (٦) في المشبه والمشبه به .

ويؤكد الدكتور إبراهيم أنيس الخفة الحاصلة من الإمالة بقوله "إن الانتقال من الكسر إلى الفتح أو بالعكس يتطلب مجهودا عضليا أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض ، بأن تصبح متشابهة ، لأن حركة الإمالة أقربُ إلى الكسرة منها إلى الفتحة " (٧) . ويتضح مقدار التخفيف الذى يحدثه التجانس الناتـج عن الإمالة في قول ابن جني ــ مجيبا من سأل " لم لم يجز في واحدة من الكسرة ولا الضمة أن ينحىَ بها نحو الفتحة ؟ " : (٨) " أن الفتحة أول الحركات وأدخلها في

---

(١) شرح المفصل ٩/ ٥٣ ، وانظر تعريفات أخرى في " الإماله في القراءات واللهجات العربية " ٢٩ .

(٢) سيبويه ٤/ ١١٧ ،وعقد لذلك بابا أسماه " هذا باب ما تمال فيه الألفات"

(٣) الخصائص ٢/ ١٤١ .

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٢ .

(٥) سيبويه ٤/ ١١٧ .

(٦) المصدر نفسه ٤/ ١١٧ .

(٧) في اللهجات العربية ٥٧ .

(٨) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٣ .

الحلق ، والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة ، فإذا بدأت بالفتحة ، وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين ، اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو ، فجاز أن تُشِمَّها شيئا من الكسرة أو الضمة لتطرقها إيّاهما ، ولو تكلفت أن تُشِمَّ الكسرة ، أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع الى أول الحلق ، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه ، وتركه التقدم إلى صدر الفم والنفوذ بين الشفتين ، فلما كان في إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقض ترك ذلك فلم يتكلف البتة " .(١)

وما ذهب إليه ابن جني يصور التضاد الحاصل بين الفتحة والكسرة الذى من أجله كانت الإماله ، لكنه مذهب معقود على أن مخرج الألف من الحلق ، والكسرة من الشفتين ، فلا تصح عنده الإماله في عكس اتجاه الهواء ، وهي إماله الضمة أو الكسرة نحو الفتحة .

والمحدثون يرون أن الحركات الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة) تتحدد بحركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك أو حركة مؤخرة اللسان نحو الحنك(٢) فالألف تحدد " إذا كان اللسان مستويا في قاع الفم ، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك "(٣) ، والكسرة تحدد " إذا تَصَعَّد اللسان نحو وسط الحنك الأعلى " .(٤)

وتكون الفتحة المماله بين وضعي مقدمة اللسان في الفتحة والكسرة(٥) وهذا يعني وجود اللسان بينهما أى بين التَصَعُّد في الكسرة ، والاستواء في الفتحة

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٥٣ ، ٥٤ .
(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ٩٢ .
(٣) المصدر نفسه ٩٢ .
(٤) المصدر نفسه ٩٢ ، وانظر في اللهجات العربية ٥٥ .
(٥) المدخل إلى علم اللغة ٩٣ .

ولعل هذا يفسر وجه التناسب (التجانس) المقصود بالإمالة .

ويذكر "مَكّيٌّ" محتجا لرواية أبي عمرو الدُّوري بإمالة الألف التي تسبق الراء المكسورة في نحو "النَّارِ - النَّهارِ" (البقرة ٣٩ ، ١٦٤) - أن ذلك يحسن ليعمل اللسان عملا واحدا مُتَسَفِّلا ، فذلك أخف من أن يعمل مُتَصَعِّدا بالفتحة والألف ،ثم يهبط مُسْتَفِلا بكسرة الراء . . . "(١) ، فالكسرة عنده إذن صوت مُسْتَفِلٌ والألف مُسْتَعْلٍ ، وهي كذلك عند سيبويه - أيضا - حين قال : في حديثه عن حروف الاستعلاء ومنعها الإمالة : "والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى "(٢) . ثم قال : "فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت(٣) من الألف ، كان العمل من وجه واحد أخفَّ عليهم "(٤) .

إذن فالألف حرف مستعل بالإضافة إلى كونه حلقيا(٥) عند سيبويه ومكي ، فأما الحلقية التي ذهبا إليها فقد رددناها ، بمذهب المحدثين السابق - وبقي الاستعلاء من صفة الألف أو الفتحة عندهما ، أما سيبويه فقد ذهب إلى أن الألف مستعل في هذا النص ، وذكر أنه مستفل في حديثه عن مناسبة الفتحة للحرف الحلقي(٦) كقَرَأَ يَقْرَأُ . . .

لكن صفة الاستفال هناك تتعلق بالمخارج بدليل أنه كان يربط بين الحرف الحلقي المستفل والألف التي من حيزها ، والفتحة التي هي بعض الألف.

أما صفة الاستعلاء هنا فتتعلق بالكيفية التي عليها الأداء في الحروف المستعلية ، وشبه الألف بها في الاستعلاء بالرغم أن وسط اللسان أو مؤخره

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ١٧١ .
(٢) سيبويه ٤/ ١٢٩ .
(٣) يعني الأصوات المستعلية المانعة من الإمالة .
(٤) سيبويه ٤/ ١٢٩ .
(٥) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٣ ، والكشف ١/ ١٣٩ .
(٦) سيبويه ٤/ ١٠١ وانظر ما سبق ص ١٧٦ .

يكون مستعليا إلى الحنك مع الحروف المستعلية ، عكس الفتحة التي لا يستعلي معها ، بل يكون في قاع الفم ، وتكون الكسرة أقرب إلى وسط الحنك من الفتحة .

أنـــواع الإمالـــة :

تنقسم إمالة الألف التي نحن بصدد الحديث عنها إلى نوعين : (١)

١) إمالة الألف نحو الياء أو الكسرة .

٢) إمالة الألف نحو الواو أو الضمة .

وقد فرع ابن جني عن هذين النوعين انواعا أخرى أشار اليها بالمضارعة بين الحركات حملا على المضارعة بين الحروف (٢) ، وكانت الإمالة عنده تشمل الآتي : (٣)

١) الفتحة المشوبة بالكسرة " نحو فتحة عين عَابِد " .

٢) الفتحة الممالة نحو الضمة وذلك نحو الصَّلاة والزَّكاة ودَعَا . . " .

٣) الكسرة المشوبة بالضمة ، نحو " قِيل وبِيع " .

٤) الضمة المشوبة بالكسرة نحو " مَرَرْتُ بِمَذْعُورٍ "نحوت بضمة الواو نحو كسرة الراء .

وأوثر أن أناقش النوع الأول من هذه الأنواع إذ يجعل ابن جني إمالة الفتحة شيئا آخر غير إمالة الألف ، وكأنما الألف في (عابد) شيء وفتحة عينه شيء آخر ، والثابت ـ حديثا ـ أنهما شيء واحد هو الألف على ما مَرَّ في كثير من المسائل التي عالجتها في المناسبة الصوتية والإتباع الحركي .

أســباب الإمالـــة :

تكاد تنحصر أسباب الإمالة في وجود الكسرة والياء ظاهرة أو مقدرة في نفس السياق الصوتي الذى توجد فيه الألف وعلى هذا يمكن أن نقسم مواطن إمالة الألف نحو الكسرة حسب ما تطرق اليها سيبويه (٤) في كتابه إلى التقسيمات التالية :

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٠

(٢) المصدر نفسه ١/ ٥١ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) سيبويه ٤/ ١١٧ .

١) بحسب موقع الألف من الكسرة أو الياء ، ويتفرع عن هذا :

أ) أن تكون قبل الكسرة نحو كلمة "عَابِد" .

ب) أن تكون بعد الكسرة نحو "عِماد وسِرْبال .." .

٢) بحسب موقع الألف من أصوات الكلمة ويتفرع عنه :

أ) أن تكون الألف وسطا : نحو خَاف وهَاب وطَاب .

ب) أن تكون الألف ثالثة متطرفة : نحو "رَمَى – غَزَا" .

جـ) أن تكون الألف طرفا رابعة فما فوق : "مِعْزَى – حُبْلَى" .

٣) بحسب ما يتعلق بالألف من الأصالة والفرعية والزيادة ، ويتفرع عنه :

أ) الزائدة وسطا كألف فَاعِل نحو "عَابِد" .

ب) الزائدة آخرا كألف التأنيث نحو "حُبْلَى" .

جـ) المنقلبة عن أصل واوى نحو "غَزَا وخَاف" .

د) المنقلبة عن أصل يائي نحو "بَاع – سَعَى" .

٤) بحسب ما يتعلق بالكسرة ويتفرع عنه :

أ) الكسرة اللازمة نحو "عَابِد" .

ب) الكسرة غير اللازمة كعلامة الاسم المجرور ، نحو "مَرَرْتُ بِبَابِه" .

جـ) الكسرة الملاصقة للألف ، نحو "عَابِد" .

د) الكسرة غير الملاصقة للألف نحو "شِمْلال" .

وتخرج من عرض هذا التقسيم بالنتائج الآتية :

١) إن تأثير الكسرة على الألف يكون تقدميّا ورجعيّا ، فالألف تمال سبقتها الكسرة أو لحقتها ، ولتفسير هذه النتيجة نقول إن الخروج من الفتحة إلى الكسرة أو العكس (١) أمرٌ يتطلب مجهودا عضليا ، لذا كانت الإمالة في الاتجاهين أيسر أداء لأن بها يتحقق الانسجام الصوتي بين الحركتين المختلفتين .

---

(١) في اللهجات العربية ٥٧ .

٢) تأثير الكسرة على الألف يمتد حتى لو فصل بين الألف والكسرة بأكثر من حرف ، ولتفسير هذا التأثير الممتد أعود إلى ما سبق أن ذهب إليه سيبويه من تشبيه الإمالة بإجهار الصاد في " صَدْر " للدال بعدها ، وأمد هذا التشبيه في زاوية أخرى وهي ما سبق الإشارة إليه في أول هذا الفصل من أن بين صفات الأصوات الصامتة والحركات ضَرْبًا من التشابه في التأثير في السياق الصوتي الواحد ، وكما أن المجاورة الملاصقة لا تشترط في جهر أو تفخيم الأصوات المهموسة أو المرققة في السياق الصوتي الواحد ، فكذلك لا يشترط بين الحركات أن يكون تأثيرها في الملاصق لها ، ولذلك سمع في " السِّرَاط " " الصِّرَاط " بالصاد تفخيما لأجل الطاء وبينهما الراء والألف ، وقد ذكر سيبويه ذلك حين حمل تأثير الكسرة مع الفصل بحرف أو حرفين على تأثير القاف في السين في " سَبَقْتُ " و " صَبَقْتُ " وفي " سَوِيق وصَوِيق " .(١)

٣) الإمالة في الألف المنقلبة عن أصل ليست لغرض التناسب الصوتي :

يذهب النحاة إلى(٢) أن جزءًا من إمالة الألف يرجع السبب فيه إلى محاولة مضارعة الأصل اليائي أو الواوي ، يقول سيبويه : " ومما يميلون ألفه كل شيء من بنات الياء والواو ، كانت عينه مفتوحة(٣) ، أما ما كان من بنات الياء فتمال ألفه ، لأنها في موضع ياء وبدل منها ،

---

(١) سيبويه ٤/ ١١٧ .
(٢) انظر في ذلك : " سيبويه ٤ / ١١٨ وما بعدها ، والمقتضب ٣ / ٤٢ وما بعدها ، وتسهيل الفوائد ٣٢٥ وشرح شافيه ابن الحاجب٣ / ٤ .
(٣) قوله : " كانت عينه مفتوحة " يعني إذا كانت بنات الواو والياء لامات مع فتح العين حتى يصح أن تنقلب ألفا .

فنحوا نحوها ...

أما بنات الواو فأمالوا ألفها لغلبة الياء على هذه اللام لأن هذه اللام التي هي واو إذا جاورت ثلاثة أحرف قلبت ياء ، والياء لا تقلب على هذه الصفة واوا ، فأميلت لتَمَكُّن الياء في بنات الواو "، (١)

ثم قال : " وما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فعلت مكسورا نحوا نحو الكسر ، كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء ، وهي لغة لبعض أهل الحجاز . فأما العامة فلا يميلون ، وذلك خَاف وطَاب وهَاب ". (٢)

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس (٣) أن هذا الضرب من الإمالة ليس لغرض التناسب بين الألف وأصلها ، وإنما هو لهجة أصلية (٤) كانت الإمالة فيها مرحلة سابقة على الفتح في لهجة أخرى ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : "إن المراحل التي مر فيها الفعل "بَاع" هي :

بَيْعَ ثم (إمالة) ثم (فتح)

فالصوت المركب (ai) قد تطور أولا إلى : (e) ثم إلى (a) .

---

(١) سيبويه ٤ / ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) نفس المصدر ٤ / ١٢٠ ، ١٢١ .
(٣) في اللهجات العربية ٥٦ ، ٥٧ .
(٤) لهجة تميم وقيس وأسد ممن نسبت اليهم الإمالة ، والفتح لهجة الحجاز ، أنظر سيبويه ٤ / ١١٧ ، وقد تنسب بعض ظواهر الإمالة لبعض الحجازيين ، ولعل هؤلاء البعض ممن اختلطوا بغيرهم من أصحاب الإمالة نتيجة تموجات القبائل العربية التي لا تكاد تستقر في مكان واحد عدا القبائل المتحضرة كقريش وثقيف وأهل المدينة .

تلك هي المراحل التي تبررها القوانين الصوتية والتي لها نظائر في اللغات الأخرى ، ولذلك نستطيع أن نرجح أن بعض الكلمات العربية التي اشتملت على (ياء) أصلية قد تطورت أولا إلى الإمالة ثم إلى الفتح ، فالأصل إذن في مثل هذه الكلمات هو الإمالة وقد تفرع الفتح عنها "[1] .

والنظائر الموجودة في اللغات الأخرى التي أشار إليها الدكتور أنيس هي اللغات السامية ، والحبشية منها بوجه خاص التي ما زالت تحتفظ بمرحلة الإمالة في الأفعال الجوفاء ،[2] وهي إحدى مراحل أربع مرت بها الأفعال المعتلة في العربية من " قَوَلَ وَبَيَعَ وطَوَلَ إلى ← قَوْلَ وَبَيْعَ وطَوْلَ التي تطورت إلى ← قوِلَ وبيِعَ وطوِلَ بالإمالة ، وعند هذه المرحلة وقف تطور الأفعال الجوفاء في الحبشية ، لكنها تطورت في العربية الى المرحلة الحالية في جميع الأفعال المعتلة بالتحول من الإمالة إلى الفتح الخالص.[3]

ولا يجد الدكتور ابراهيم أنيس مبررا لانتقال الإمالة إلى الفتح سوى الاقتصاد في الجهد العضلي والميل إلى السهولة التي يلجأ اليها الانسان في معظم ظواهره الاجتماعية .[4]

ولم يوضح وجه الاقتصاد هنا ، لكن هذا الوجه يبدو في خفة الفتحة التي كثرت الاشارة إليها في بداية هذا الفصل . والتي يؤكدها سيبويه حين يقول : " وقال أكثر الفريقين إمالة :رَمَىٰ ، فلم يمل كره أن ينحو نحو الياء إذ كان إنما فَرَّ منها " .[5]

---

(١) في اللهجات العربية ٥٦ .

(٢) بحوث ومقالات في اللغة ، رمضان عبد التواب ٦٤ .

(٣) انظر تفصيل المراحل التي مر بها تطور الأفعال المعتلة في العربية والحبشية في بحوث ومقالات في اللغة ص ٥٧ .

(٤) في اللهجات العربية ٥٧ .

(٥) سيبويه ٤/١٢٦ .

لكن هذا يثير سؤالا هو : إذا كانت مرحلة الفتح تفسر بالاقتصاد والسهولة ، فبِمَ نفسر مرحلة الإمالة ؟ ويزداد الحاح السؤال حين نرى الدكتور أنيس (١) يفسر الإمالة لأجل الكسرة أو الياء ، إذا كانت الألف أصلية (غير منقلبة عن أصل واوى أو يائي) بأنه انسجام صوتي لأن اختلاف الحركات يتطلب مجهودا عضليا .

وللاجابة على السؤال نقول : إن مرحلة الأصل الممال كانت بعد مرحلة تسكن فيها الأصول الواوية أو اليائية وهذا يعني أن الإسكان يجلب معه الحركة المُرَكّبة " aw ، ay " (٢) من توالي الفتحة والواو أو الفتحة والياء في نحو " قَوْلَ وبَيْعَ " وهي حركة متنافرة،إذ هي مزدوجة أومتركبة من حركتين وهذا يعني خلوها من الانسجام مما جعل التطور يبلغ بها مرحلة الإمالة ، فأميلت الفتحة نحو الواو ، وسميت " الضمة الممالة " (ō) وأميلت الفتحة نحو الياء وسميت " الكسرة الممالة " (ē) وفقا لما يسمى في عرف اللغويين المحدثين بـ " انكماش الأصوات المركبة " (٣) .

٤) إمالة الألف غير المنقلبة لغرض التناسب الصوتي :

الألف غير المنقلبة هي الألف الزائدة ، ذلك أن الألف لا تقع أصلا في غير الحروف والأدوات وأشباهها من الأسماء غير المتمكنة، وهي إذا وقعت زائدة وجاورت الكسرة أو الياء تمال إليها سواء

---

(١) في اللهجات العربية ٥٧ .
(٢) الأصوات اللغوية (الخولي) ٩٩ .
(٣) بحوث ومقالات في اللغة ٦٣ ، ٦٤ ، وانظر التطور اللغوى علله وقوانينه ٤٩ .

سبقت الكسرة الألف أم تلتها على ما مرّ آنفا . وتكون إمالتها للانسجام الصوتي بين الحركات ليس غير . يقول الدكتور أنيس : "أما حين تعرض الإمالة لغير أصل من أصول الكلمة ، كإمالة الفتحة ، أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل فليس هذا إلا نوعا من الانسجام بين أصوات اللين ، لذلك جعل القدماء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة ، سواء كانت سابقة أو لاحقة . ولا شك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح أو بالعكس يتطلب مجهودا عضليا أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض ، بأن تصبح متشابهة ، لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة "(١) وهذا الذى قاله الدكتور أنيس موافقا فيه النحاة القدماء يصح على كل ألف زائدة جاورت الكسرة أو الياء نحو "عَابِد ، عِمَاد ، سَرْبَال ، وكَيَّال ... " ، لكنه يتخلف عن تفسير إمالة ألف التأنيث التي لا تجاورها الكسرة في "حُبْلَى" وقد ذكر سيبويه إمالتها (٢) ، ووجه الإمالة حملا على الإمالة الأصلية للألف المنقلبة عن الياء أو الواو فيما زاد عن الثلاثة ، وأنها تنقلب لو قلت "فَعَلْتُ" من "حُبْلَى" . إلى ياء (٣) .

والسؤال هنا عن الوجه الجامع بين ألف التأنيث المقصورة وبين الألف المنقلبة عن أصل ، والذى يذكره سيبويه والنحاة (٤) أن هذه الألف زائدة ، وهذا يعني أنه لا أصل لها تضارعه .

ونحن نجد لألف التأنيث المقصورة مقابلا في بعض اللغات السامية كالعبرية والآرامية، وهذا المقابل كان قديما في هاتين اللغتين صوتا مركبا (ay)

---

(١) في اللهجات العربية ٥٧ .
(٢) سيبويه ٤/ ١٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ٤/ ١٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ٤/ ١٢٠ ، والمقتضب ٢/ ٢٥٩ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٩٣ ، ورصف المباني ١٠٨ .

ثم تطور نتيجة انكماش الأصوات المركبة الى (ē) ، على النحو الذى نجده في كلمة (ʾōḥrē) بمعنى أخرى العربية تماما[١] . وهذا يعني أن الألف المقصورة العربية مرت بثلاث مراحل " ay ← ē ← ā " ، وعلى هذا فالإمالة فيها هربا من الحركة المركبة وليس إمالة للألف ، ويصدق عليها في التفسير من جهة الاقتصاد ما سبق أن وجهنا به مرحلتي الإمالة والفتح في المعتـــل .

وقد يحمل على هذا – أيضا – إمالة ألف ضمير المؤنثة الغائبـة المتصل (ها) ، المتطور عن ضمير المفرد المؤنث المنفصل الذى يستخدم ضميرا في العربية وعنصرا إشاريا في العبرية .[٢] ولا تعترف اللغات السامية بضمائر للمثنى[٣] ، فلا يبقى أمامنا سوى أن نحملها على ضمير المفرد في اللغات السامية ، يقول برجشتراسر : " والمفرد من ضمائر الغائب هو في العبرية وفي أقدم المستندات الآرامية (הוא ، היא) أى : hū و hī غير أن آخره في الإملاء ألف تدل على همزة سقطت . فنستنتج من ذلك أن الأصل كان : (hūʾa و hīʾa) ... وأن الهمزة حذفت في العربيـة ، وأبدلت واوا في المذكر ، وياء في المؤنث . ولا شك في أن ذلك الإبدال كان في زمن قديم جدا ... " .[٤]

وقد يدعم هذا الرأى ما نقله سيبويه عن الخليل من أن بعضهم يقول : " رأيت رَجُلَأْ فيهمز ، وهذه حُبْلأْ ، وتقديرهما رَجُلَعْ ، وحُبْلَعْ "[٥] وما

---

(١) التطور النحوى للغة العربية ١١٥ . وانظر هامش الصفحة نفسها .
(٢) المصدر نفسه ٧٩ .
(٣) فقه اللغات السامية ٨٦ .
(٤) التطور النحوى للغة العربية ٨٢ .
(٥) سيبويه ٤ / ١٧٦ ، وانظر سر صناعة الإعراب ١ / ٧٤ .

سمعه عن بعض العرب يقول " هو يَضْرِبُهَأ " ، فيهمز كل ألف في الوقف " .(١)

وهذا الهمز في الوقف يعد شاذا لا يقاس عليه(٢) ولعله كان مرحلة قديمة جدا ، وبقيت في لهجة ما من اللهجات العربية المتعددة التي لم تُرْوَ لنا بكاملها ، وما تبعثر منها في بطون الكتب - بالاضافة إلى قِلَّتِه - يسبب إشكالا بسبب عدم نسبة اللهجات إلى أصحابها .

٥) إمالة الألف الزائدة " غير المنقلبة " لغرض التناسب الصوتي :

وتمال الألف الزائدة سواء كانت زائدة وسطا أو طرفا وهي تزاد وسطا مجاورة للكسرة في صيغ من نحو " فَاعِل ← كَعَالِم " " وفِعَال ← كِعَماد " و " مَفَاعِل ← كَمَسَاجد " ، وتزاد طرفا للتأنيث أو للالحاق ، نحو " حُبْلَى ومِعْزَى " .

وهي إذا زيدت وكانت مع الكسرة في سياق صوتي واحد ، فإنها تمال ، وتفسر إمالتها بالرغبة في الانسجام الحركي في ذلك السياق ، وهذا هو رأى الدكتور أنيس(٣) ، وهو إن فسر الإمالة مع الكسرة ، فإنه لا يفسر الإمالة إن خلا سياقها من الكسرة كما في الألف الزائدة للتأنيث في نحو " حُبْلَى "(٤) ، والألف الزائدة في " فَعَّال ← كَحَجَّاج "(٥) وألف ضمير المتكلمين في نحو

---

(١) سيبويه ٤/١٧٦ ، وانظر سر صناعة الإعراب ١/٧٤ .
(٢) سر صناعة الإعراب ١/٧٣ .
(٣) في اللهجات العربية ٥٧ .
(٤) سبقت الإشارة إلى احتمال أن يكون أصلها الياء .
(٥) سيبويه ٤/١٢٧ .

" طَلَبْنَا زَيْدٌ " (١) ، وألف الوقف في المعرب المنصوب نحو " رَأَيْتُ عَبْدَا " (٢) ... وغيرها من الألفات الزوائـد .

والإمالة بهذا الشكل لا تجد ما يفسرها غير أن تكون تطورا منعكسا ، إذ هذه الألفات ونحوها مزيدة وهي ألف ، أو بمعنى آخر إنها غير منقلبة عن أصل يمكن أن تكون إمالتها مرحلة من مراحل تطوره كما في (باع وقال وسعى وغزا ... " من الأجوف ، والدراسات السامية المتوفرة لا تسعفنا بنظائر هذه الألفات في اللغات الأخرى ، وأرى تطورها ــ أي الألفات ــ تطورا منعكسا يفسره ميل اللغة إلى التوازن (٣) في نظامها الصوتي الذي يلاحظ عليه عددا من الظواهر المتعارضة من شدة ورخاوة وجهر وهمس ، ومماثلة ومخالفة ، وتفخيم وترقيق ، وترخيم واقحام (٤) ... ، غير أن التخفيف لا يظهر في هذا التطور نتيجة لأن الفتحة أخف من الكسرة على ما قررنا والفتحة الممالة أو الألف الممالة تقع بينهما، وهو أمر لا يمكن تفسيره بالتخفيف، وهذا يعني أن ليس شرطا أن يكون كل تطور صوتي مرهونا بالاتجاه إلى الأيسر والأخف بالرغم من ملاحظته بشكل ظاهر في اللغة .

٦) موانـع الإمالـــة :

تتحقق الإمالة كما قلنا سابقا إذا وجدت الألف مجاورة للكسرة ولكن هذا الوجود والتجاور إذا اختل فإن إمالة الألف لا تتحقـــق

---

(١) سيبويه ٤ / ١٢٧ ، وفيه ضبطت " طَلَبْنَا " بسكون الباء مع رفع زيد .
(٢) المصدر نفسه ٤ / ١٢٧ .
(٣) انظر الأصوات اللغوية (الخولي) ٢٢٥ .
(٤) المصدر نفسه ٢٢٦ .

ويكون ذلك لعدم وجود الكسرة،إذ يكون ما قبل الألف أو ما بعدها مفتوحا ، يقول سيبويه : " فإذا كان ما بعد الألف مضموما أو مفتوحا لم تكن فيه إمالة ، وذلك نحو آجُرٍّ ، وتَابَلٍ ، وخَاتَمٍ . . ، وكذلك إذا كان الحرف الذى قبل الألف مفتوحا أو مضموما نحو " رَبَابٍ ، وجَمادٍ ، والبَلْبَال ، والجُمَّاع ، والخُطَّاف " .(١)

ويعلل سيبويه امتناع الإمالة في هذا ، فيقول : " لأن الفتح من الألف فهو ألزم لها من الكسرة ولا تتبع الواو ، لأنها لا تشبهها ، ألا ترى أنك لو أردت التقريب من الواو انقلبت فلم تكن ألفا " .(٢)

فالانسجام بين الألف والكسرة الذى كانت من أجله الإمالة ، ينتفي حين يكون ما قبل الألف أو ما بعدها الضمة ، وبينهما نفور ودرجة الانسجام بينهما لا تتحقق بالإمالة وإنما بقلب الألف واوا لتناسب الضمة وهو أمر لم يقدر عليه لأنه يبعد بها عن الأصل .

أما الألف التي تجاور الفتحة فلا تمال،لأن الانسجام متحقق بوجودهما وهو ما أشار إليه سيبويه في النص السابق بقوله : " لأن الفتح من الألف فهو ألزم لها من الكسرة " .

وقد يتحقق شرطا الإمالة وتمتنع لوجود صوت من أصوات الاستعلاء ، وأصوات الاستعلاء سبعة(٣) : " الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والغين والقاف ، والخاء " . وذلك قولك : " قَاعِد ، وغَائِب ، خَامِد ، وصَاعِد ، وطَائِف وضَامِن ، وظَالِم " .(٤) سواء أكانت الألف بعد هذه الحروف ، كما في النماذج السابقة ، أو قبلها نحو " نَاقِد ، وعَاطِس ، وعَاصِم ، وعَاضِد ، وعَاظِل ، ونَاخِل

---

(١) سيبويه ٤/١١٨ .
(٢) المصدر نفسه ٤/١١٨ .
(٣) المصدر نفسه ٤/١٢٨ .
(٤) المصدر نفسه ٤/١٢٨ .

وواغـل " . (١)

ويعلل سيبويه المنع حين يقول : " لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى ، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى ، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت عليها الكسرة في مَسَاجِد ونحوها ، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم ، كما أن الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم فيدغمونه " .

والذى ذهب اليه سيبويه من أن الإمالة هنا غير متحققه صحيح ، غير أن توجيهه للمسألة لم يكن موفقا رغم صواب قوله " إن العمل من وجه واحد أخف عليهم " ، ذلك لأنه قد سبقت الإشارة الى أن الألف ليست صوتا مستعليا وهذا يعني أن التناسب المفترض بين واحد من أصوات الاستعلاء الصحيحة " ط ـ ظ ـ ض ـ ص ـ غ ـ خ ـ ق " وبين الألف ـ على ما ذهب إليه سيبويه من العمل على وجه واحد ، ليس لأن الألف مستعلية ، بل لتأثير أصوات الاستعلاء السبعة في تفخيم الألف كلما جاورتها .

ويصدق ما ذهبت اليه إذا علمنا أن أصوات الاستعلاء "وهي مفخمة كلها" تفرض صفة التفخيم ـ سياقيا ـ (٢) على صفات الأصوات المجاورة لها في السياق الصوتي وهذا ما جعلها تؤثر في الألف تفخيما ، وتحيد دور الكسرة في اجتذاب الألف نحوها .

ومعنى ذلك أننا حصلنا على " ألف " غير الألف الأصلية ، وغير الألف الممالة إلى الكسرة إنها الألف المفخمة في السياق لمجاورتها الصوت المفخم ،

---

(١) سيبويه ٤ / ١٢٩ .
(٢) انظر التفخيم والترقيق في الأصوات اللغوية (الخولي) ص ٢١٤ وما بعدها .

وهي الألف التي أشار اليها ابن جني في حديثه عن الفتحة الممالة نحو الضمة حين قال : " وأما الفتحة الممالة نحو الضمة فالتي تكون قبل ألف التفخيم وذلك نحو : الصَّلاة والزَّكاة ودَعَا وغَزَا وقَام وصَاغ ، وكما أن الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة ، بل هي مشوبة بشيء من الضمة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها ، فجرى عليها حكمها .

ورغم الخلاف بين القدماء والمحدثين في الفتحة والألف بعدها ، إذ يعدهما القدماء صوتين ،حركة الحرف السابق والألف ، ويعدها المحدثون حركة طويلة فقط — مما لا مجال للتفصيل فيه هنا — إلا أن الجدير بالإشارة أن قول ابن جني " أن الألف تابعة لحركة هذه صفتها " لا يستقيم في لفظ " صلاة " لأنها ليست ممالة إلى الضم ، بل هي مفخمة بتأثير الصوت المجاور وأما قوله بإمالتها للضم في " دَعَا وغَزَا وقَام .. " فيحمل على الإمالة الأصلية كمرحلة من مراحل التطور الصوتي وقد سبقت الإشارة اليها في الحديث عن الامالة لغرض غير التناسب .

وقبل أن أترك حديث التناسب الحركي أود أن أشير إلى قولين للدكتور إبراهيم أنيس أحدهما قوله : " وللانسجام الصوتي درجات بعضها أيسر من بعض : فتوالي الضم ثم الكسر ثم الفتح أشق من توالي ضمتين ثم الفتح أو توالي كسرتين ثم الفتح ، وربما كان أيسر من هذا وذاك أن تصبح الكلمة مشتملة على ضم ثم فتحتين " (١) .

وهذا النص يغفل الإشارة الى هجر الأبنية المشتملة على " كسر ثم ضم "

---

(١) في اللهجات العربية ٨٦ .

وهو ما علل هجره بالخروج من ثقيل الى أثقل منه ، إضافة الى احتمالية درجات الانسجام الصوتي التي أشار اليها الدكتور مما يعني نسبية الثقل والتخفيف في الحركات ودرجات الانسجام . إلاّ أن للدكتور ملاحظة جديرة بالاشارة هي قوله الثاني : " ولسنا في كل حال نتوقع أن يلتمس الناطق أيسر السبل ، وإنما نتوقع منه أن يقوم ببعض الانسجام أيّاً كانت درجته من اليسر " (١) ولعل هذا ما يتضح من خلال ما عالجناه فيما مضى من هذا البحث وبروز الخلاف في كثير من المسائل بين درجات الانسجام، ويلحظ بصورة واضحة في الحديث عن الإتباع الحركي الذى يتبادل بين ضمتين للهجة ، وكسرتين للهجة أخرى ، ثم في الإمالة بين المميلين الذى تحدثنا عن إمالتهم بوجه عام ، وبين أولئك الذين لم يميلوا الألفات وهم من أغفلنا الحديث عنهم لأنهم لم يحققوا درجة الانسجام الصوتي بين الألفات والكسرات ، أو الألفات والياءات مما يعني أن أداءهم كان أقل يسرا من المميلين .

---

(١) في اللهجات العربية ٨٦ .

المبحث الثاني

(التناسب بين الأصوات الصامتة)

تمهيد :

سأتناول في هذا المبحث التناسب (١) بين الأصوات الصامتة الذى به يتخلص من مواطن التنافر في السياق الصوتي .

ومواطن التنافر غالبا ما توجد بين الصفات المتضادة للأصوات الصامتة المتمثلة في :

١) الجهر والهمس .

٢) الشدة والرخاوة .

٣) التفخيم والترقيق .

والتنافر بين كل صفة من هذه ومقابلتها يرتفع بتحويل إحداهما إلى الأخرى ، مما يعني ايجاد تماثل في الصفات الصوتية المتقابلة أو توحيدها بعدا عن التنافر الموجود في تضادها .

وسأتحدث فيما يلي عن كل صفة ومقابلتها مع التمثيل لها بنماذجها التي حدث فيها التحول من صفة إلى أخرى .

أولا : الجهر والهمس

الجهر : (٢) صفة صوتية يحدثها تذبذب الوترين الصوتين لاقترابهما عند

---

(١) انظر سبب اختيار مصطلح التناسب ومناقشة المصطلحات الأخرى في أول هذا الفصل ص (١٤٣)

(٢) انظر تعريف الجهر والهمس في معجم علم الأصوات الخولي (١٥٤ ، ١٦٤) ، والأصوات اللغوية (أنيس ٢٠) .

خروج الهواء ، والهمس عكسه ، أى عدم تذبذب الوترين الصوتيين لتباعدهما عند خروج الهواء ، ويسمى الصوت في الحالة الأولى مجهورا وفي الثانية مهموسا . ويرتبط مفهوم الجهر بالوضوح السمعي للصوت (١) . ويرى الدكتور إبراهيم أنيس " أن الأصوات المهموسة تتطلب جهدا أكبر في التنفس ،... فما تحتاجه عبارة مثل " سكت شخص " من تنفس حين النطق بها أضعاف ما تحتاجه عبارة مثل " زرع رجل " لأن أصوات العبارة الثانية مجهورة ، في حين أن كل الأصوات الساكنة في العبارة الأولى مهموسة " (٢) .

فالأصوات المجهورة اذن أخف من المهموسة ، ومعنى هذا أن النزوع إلى جهر الأصوات نزوع إلى الأيسر .

لكن هذا لا يعني بالضرورة أن الكلمات المشتملة على أصوات مهموسة ثقيلة ، ذلك أن التأليف الصوتي قد يشمل هذه المجموعة المهموسة أو يشطها مع غيرها من المجهورات بدون اعتبار للثقل النوعي في المهموسات أو للثقل الحاصل من تجاور المهموسة والمجهورة .

ويعرف تحول الصوت المهموس إلى مجهور " بالإجهار " (٣) ، وعكسه يسمى " الإهماس " (٤) أى همس المجهور ، وهذان التحولان لا يقعان للصوت منفردا (٥) بل في السياق الصوتي المعتبر فيه تأثر الأصوات بعضها ببعض .

---

(١) في اللهجات العربية ٩٥ .
(٢) المصدر نفسه ٩٦ .
(٣) مناهج البحث في اللغة ١٨٣ .
(٤) المصدر نفسه ١٨٣ .
(٥) الأصوات اللغوية " الخولي " ٤٠ ، وانظر مناهج البحث في اللغة ١٨٣ ، حيث يقول الدكتور تمام "الإجهار جهر ما هو مهموس من جهة التبويب والتقعيد ، والإهماس همس ما هو مجهور من هذه الجهة ، في موقع صالح لذلك " .

ولا تشترط المجاورة المباشرة بين الصوتين (المجهور والمهموس) ليتحقق في أحدهما الإجهار أو الإهماس ، كما لا يشترط أن يسبق أحدهما الآخر بل يقع الاجهار والاهماس تقدميا تارة ورجعيا تارة أخرى ، وسيتأكد هذا حين نرى الأمثلة التالية ، وكيف يحدث فيها التناسب بطريق الإهماس أو الإجهار .

١) جهر السين لمجاورتها القاف :

السين صوت مهموس وكذلك القاف (١) في الوصف الصوتي للفصحى المعاصرة ، وكذا في أداء القراء المعاصرين . لكن القاف صوت مجهور عند القدماء (٢) ، وعلى هذا لا يتم جهر السين إلاّ إذا كانت القاف مجهورة .

يقول ابن جني : " وكَلْبٌ تقلب السين مع القاف خاصة زايا فيقولون في " سَقْر : زَقْر ، وفي " مَسَّ سَقَر " (القمر ٤٨) مَسَّ زَقَر ، .... " . (٣) وفي ما ساقه ابن جني تقلب السين زايا خالصة لتوافق القاف في الجهر .

٢) جهر السين لمجاورتها الدال :

والدال صوت مجهور بلا خلاف بين القدماء والمحدثين ، وإذا

---

(١) أنظر الأصوات اللغوية (أنيس) ٨٤ ، ٨٥ ، ودروس في علم أصوات العربية (كانتينو) ٣٥ ، ١٠٧ .

(٢) أنظر سيبويه ٤/٤٣٤ ، سر صناعة الإعراب ١/٢٧٧ ، والإيضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٧ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/١٩٦ ، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٢٧ وانظر اللسان (سقر) .

جاورته السين جهرت لتوافقه في الجهر . يقول سيبويه : " فإن كانت سين في موضع الصاد (١) وكانت ساكنة لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب ، وذلك قولك في التَّسْدِير : التَّزْدِير ، وفي يُسْدِل ثوبه : يُزْدِل ثوبه ؛ لأنها من موضع الزاى وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق ، والبيان فيها أحسن ، لأن المضارعة في الصاد أكثر وأعرف منها في السين ، والبيان فيهما أكثر أيضا " . (٢)

ونقل (٣) ابن عقيل عن السيرافي أن السين يضارع بها الزاى ولا تخلص زايا ، مستدلا له بقول سيبويه في النص السابق : " والبيان فيها أحسن ، لأن المضارعة في الصاد أكثر وأعرف منها في السين والبيان فيها أكثر أيضا ، لأنه يقتضي أن في السين مضارعة ، وإنما تطلق المضارعة على بين بين (٤) ، ونص سيبويه صريح في أنه " لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب " فلا وجه لما ذهب إليه السيرافي ولا أرى في قول ابن عقيل " وإنما تطلق المضارعة على بين بين " استدلالا قويا ، إذ ليس بين السين والزاى إلا همس الأولى وجهر الثانية وتتفقان في المخرج والرخاوة والصفير .

٣) جهر السين لمجاورتها الطاء :

تبدل السين زايا لتوافق الطاء في الجهر - على رأى القدماء (٥) -

---

(١) كان يتحدث عن جهر الصاد في " قَصْد " لتوافق الدال بعدها .

(٢) سيبويه ٤ / ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ٤ / ٢٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ٤ / ٢٢٧ .

(٥) ذهب القدماء إلى أن الطاء صوت مجهور ، وخالفهم المحدثون في ذلك ويؤيد القدماء إدراكهم أنها النظير المفخم للدال . يقول سيبويه : " ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا " ، ولعل التطور الصوتي أصابها فهمست وهو رأى المحدثين ، وحينئذ تصبح النظير المفخم للتاء ، انظر سيبويه ٤ / ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، وسر الصناعة ١ / ٢١٧ ، والأصوات اللغوية (أنيس) ٦١ ، ومناهج البحث في اللغة ١٢٢ ، ودروس في أصوات العربية (كانتينو) ٤٩ .

وقد قرأ حمزة وأبو عمرو قوله تعالى " الزِّراط " بالزاى خالصة[١] ، وهذا يعني أن الطاء كانت مجهورة فعلا ، فجهرت لها السين بتحويلها إلى نظيرها المجهور ، وعلى هذا كان الاحتجاج لهذه القراءة ، فقال أبو علي الفارسي نقلا عن ابن السراج : " ويقول من قرأ بالزاى : أبدلتُ منها حرفا مجهورا حتى يشبه الطاء في الجهر ، ورمتُ الخفة ويحتج بقول العرب ، صَقْر ، وسَقْر وزَقْر "[٢] غير أنه كان يرى ضعف الوجه اللغوى لهذه القراءة . فقال في موضع آخر : " وأما القراءة بالزاى فليس الوجه ، وذلك أن من قال في أصْدَرْتُ : أزْدَرْتَ ، وفي القَصْد : القَزْد ، فأبدل من الصاد الزاى ، فإنه إذا تحركت الصاد في نحو : صَدَرْتُ وصَدَقْتُ ، لم يبدل فإذا لم يبدلوا الصاد زايا إذا تحركت مع الدال ، وكانت الطاء في الصراط ، مثل الدال في القصد في حكم الجهر ، فكذلك ينبغي ألا تبدل من السين الزاى في سراط من أجل الطاء ، لأنها قد تحركت كما تحركت في صَدَقْتُ مع أن بينهما في "سراط " حاجزين "[٣] . وينقل ابن مجاهد عن الفراء : أن حمزة يقرأ بالزاى الخالصة في " الزراط " قال : " ويحكي ذلك في الصاد الساكنة فقط "[٤] ، ويفهم من هذا أن الإجهار كان للصاد وليس للسين أى أنه كان يرى أن الأصل " الصراط " بالصاد ، فأبدل لها حرفا مجهورا هو الزاى ، على لغة من يقول التَّزْدِير في التَّصْدِير ، والفَزْد في الفَصْد بالزاى الخالصة[٥] ، أو أن السين مرت بمرحلة التفخيم

---

(١) السبعة ١٠٥ ، ١٠٦ ، وحجة أبي زرعة ٨٠ .
(٢) الحجة ١/٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ١/٣٩
(٤) السبعة ١٠٦ .
(٥) سيبويه ٤/٤٧٨ .

فقلبت صادا ، ثم جهرت الصاد بتحويلها زايا .

ويبدو في كون الطاء مهموسة في نظر المحدثين ما جعل الدكتور رمضان عبد التواب يذهب إلى أن قراءة " الزِّرَاط " أبدلت فيها الزاى من الصاد بتأثير الراء (١) ، وهو توجيه صوتي احتمالي لمخالفته القدماء من جهة ، ولأنه لم يعهد أن الراء تؤدى إلى جهر السين أو الصاد من جهة أخرى .

كما أن ما ذهب إليه الدكتور رمضان لا يستقيم إلا على الوصف المعاصر للطاء ، إذ ليس من حقها وهي مهموسة أن تؤدى إلى إجهار السين أو الصاد ، وهذا يعني أن ننسب التأثير إلى الراء أو الألف المفخمة المجاورة للطاء .

٤) جهر التاء لمجاورتها الدال :

تجهر تاء " افْتَعَل " إذا كانت فاؤها دالا ، وذلك قولك " ادَّرَأَ ، وادَّانَ " ، والأصل فيهما " ادْتَدَرأ " و " ادْتَدَان " فوقعت التاء المهموسة بعد الدال المجهورة ، فجهرت التاء بقلبها دالا ، ومن ثم أدغمت الدال في الدال ، يقول ابن يعيش في بيان سبب قلب التاء دالا : " إنما وجب إبدال تاء " افتعل " دالا إذا كان فاؤه زايا أو دالا أو ذالا ، نحو ازْدَجَر ، وازْدَهَى ، وازْدَار ، وازْدَان وادَّخَر ، وادَّكَر ، وادَّلَف ، وادَّرَأ ، لما بيناه من إرادة تجانس الصوت ، وكراهية تباينه " (٢) .

---

(١) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ٣٥ .
(٢) شرح الملوكي في التصريف ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

وجاء على هذا قوله تعالى "فادّارأتم فيها" (البقرة ٧٢)، وأصلها "فتدارأتم" ومثلها "أفلم يدّبّروا القول" (المؤمنون ٦٨) وأصلها "يتدبّروا". قال الأخفش الأوسط: "فلما أدغمت فيها حوّلت فجعلت دالا مثلها".(١)

ومثل ذلك – أيضا – تاء الفاعل بعد الفعل الذى لامه دال تحول دالا وتدغم الدالان، يقول سيبويه: "وقال بعضهم عدُّه، يريد: عدْتُه، شبهها بها في ادّان،... وقالوا: نقدّه، يريدون: نقدْتُه".(٢)

وهذا الإبدال للإدغام وليس للتناسب بين الصوتين، أو بعبارة أخرى للتخلص من ثقل التقارب المخرجي الحاصل باجتماع الدال والتاء، وهو ما يذهب إليه ابن جني في سر الصناعة(٣) فقد أغفل ذكر مجيء الدال بدلا من التاء، وصرح بالفرق بين إبدال الإدغام وغيره مما يجيء للتناسب مثلا في حديثه عن إبدالهم الذال دالا في ادّكر ونحوها.(٤) إلاّ أنه يذكر أنها تقع بدلا من التاء في التصريف الملوكي حيث يقول: "إذا كانت فاء افتعل دالا أو ذالا أو زايا قلبت تاؤه دالا وذلك قولك ادّرأ وادّكر وازدجر..".(٥)

والذى أراه أن الإبدال إن كان للإدغام كما في "يتدبّرون" ونحوها لا يعد تناسبا أو تجانسا صوتيا، بل هو أشبه بالمخالفة؛ لأن هدفه التخلص من ثقل توالي المثلين، وإن كان لغير الإدغام فإنه

---

(١) معاني القرآن ١/١٠٦.
(٢) سيبويه ٤/٤٧٢.
(٣) سر الصناعة ١/١٨٥.
(٤) المصدر نفسه ١/١٨٨، ١٨٩.
(٥) التصريف الملوكي ٤٨، وانظر شرحه لابن يعيش ٣٢٢.

للتجانس والتناسب بين الأصوات الصامتة ، وعليه تأتي حالات صيغة " افتعل " التي فاؤها مجهورة أو مطبقة وما ادغم منها فانه يكون مرحلة أخرى لا تعد لأجل التناسب وانما لأجل التخلص من ثقل المتقاربات في المخرج " كاصّبر وازّان ، واطّلم " التي كان أصلها مع وجود التناسب : " اصْطَبر وازْدَان واظْطَلم " . وقد يحدث العكس فيهمس المجهور وذلك لفظ " سِتّ "(١) ، وأصله " سِدْسٌ "(٢) ، قال سيبويه : " وانما دعاهم إلى ذلك – أي الإبدال والإدغام – حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم ، أن السين مضاعفة ، وليس بينهما حاجز قوى ، والحاجز أيضا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين ، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا ، فتلتقي السينات ، ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك ، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا ، وذلك الحرف التاء ، كأنه قال " سِدْتٌ " ثم أدغم الدال في التاء ، ولم يبدلوا الصاد لأنه ليس بينهما إلا الإطباق "(٣) أي أن الدال همست لتوافق التاء المبدلة من السين ، ثم أدغمتا فصار اللفظ " سِتٌّ " .

٥) جهر التاء لمجاورتها الذال :

في صيغة " افتعل " إذا كانت فاؤها ذالا تجهر تاء الافتعال لمجاورتها الذال المجهورة وذلك قولك " ادّكَر " والأصل كان

---

(١) سيبويه ٤/٤٨١ .
(٢) المصدر نفسه ٤/٤٨١ ، وسر صناعة الإعراب ١/١٥٥ .
(٣) سيبويه ٤/٤٨١ ، ٤٨٢ ، وفقه اللغات السامية ٥٩ ، والتطور النحوى للغة العربية ٣٢ .

" اذْتكَـر " فجهرت التاء بقلبها دالا فصارت : " اذ دكـر "، ثم أدغمت الذال في الدال للتقارب المخرجيّ والاتفاق في الجهر ، ولم يبق بينهما سوى الشدة في الدال والرخاوة في الذال .

وجاء على ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : " وادّكَرَ بعـد أُمّة " (يوسف ٤٥) ، قال الأخفش الأوسط : " وإنما هي " افتعـل " من " ذَكَرْت " ، فأصلها " اذْتكَر " ، ولكن اجتمعا في كلمة واحـدة ومخرجاهما متقاربان ، وأرادوا أن يدغموا ، والأول حرف مجهور ، وإنما يدخل الأول في الآخر ، والآخر مهموس " فكرهوا أن يذهب منه الجهر ، فجعلوا في موضع التاء حرفا من موضعها مجهورا هو الدال ، لأن الحرف الذى قبلها مجهور ، ولم يجعلوا الطاء ، لأن الطاء مع الجهر مطبقة" (١)

وقد يكون جهر التاء بابدالها ذالا ، ومن ثم تدغم الذالـين وقد قرئ (٢) بذلك في قوله تعالى : " مُذَّكِـر " (القمر ١٥) .

وقد تسبق التاء الذال ، وحينئذ تدغم التاء أَوْلا تدغم ، وقـد جاء ذلك في القرآن بالفـك والإدغام في قوله تعالى : " إنما يَتَذَكَّـر أُولوا الألباب " (الرعد ١٩) ، وقوله تعالى : " ويبين آياتِهِ للنـاس لعلهم يَتَذَكَّرون " (البقرة ٢٢١) ، وقوله تعالى : " وما يَذَّكَّـر إلّا أولوا الألباب " (البقرة ٢٦٩) . (٣)

والملاحظ أن التاء والذال ، وكذا التاء والدال لا تأتلفـان

---

(١) معاني القرآن ٢ / ٣٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٣٦٦ .

(٣) كثر ورود مثل هذه الآيات بالفك والإدغام وما أوردنا إلّا المثال وللمزيـد انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ذكر) .

في الجذور الثلاثية ، وذلك يعني أن مجيئهما متتاليين (١) لا يكون إلا بزيادة إحداهما غالبا وهي التاء ، إذ الدال والذال ليستا من أحرف الزيادة ، ولما كان من أقوال النحاة أن الزائد لا يلزم أن يكون بعده مثله جاء فيهما الإدغام والفك (٢) في المتقاربين حملا على المثلين .

٦) جهر التاء لمجاورتها الزاى :

تجهر تاء الافتعال إذا كانت فاءها زايا ، وذلك نحو " ازْدَجر وازْدَهَى وازْدَان ... " (٣) يقول سيبويه : " والزاى تبدل مكان التاء دالا ، وذلك قولهم : " مُزْدَان " في مُزْتَان ، لأنه ليس أشبه بالزاى من موضعها من الدال ، وهي مجهورة مثلها " (٤) ويفصل ابن جني أكثر فيقول : " ولكن الزاى لما كانت مجهورة ، وكانت التاء مهموسة ، وكانت الدال أخت التاء في المخرج ، وأخت الزاى في الجهر ، قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا أشبه الحروف من موضعها ، وهي الدال " (٥) .

ومنه أيضا قول الشاعر (٦) :

إلا كمَعْهِدِهِمُ بِذِى بَقَرِ الحِمَى ... هَيْهَاتَ ذو بَقَرٍ مِنَ المُزْدَار

---

(١) دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ٦٣ ، ٦٥ ، ولم يأت من التاء والدال الا خمسة جذور هي " حتد ، وعتد ، وقتد وكتد ووتد " ، ويلاحظ عليها تقدم التاء على الدال وهذا يوفر إمكان إدغامهما ، انظر الصحاح المواد المذكورة .

(٢) انظر سيبويه ٤/٤٤٣ ، والتبصرة والتذكرة ٢/٩٤١ ، والمنصف ٢/٣٣١ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/١٨٥ ، والمنصف ٢/٣٣٠ .

(٤) سيبويه ٤/٤٦٣ .

(٥) سر صناعة الإعراب ١/١٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ١/١٨٦ ، ونسبه المحقق نقلا عن صاحب الخزانة لِعُرْوَة السُّلَمِي .

وجاء في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : " وقالوا مَجْنُون وازْدُجِر " (القمر ٩) ، وقوله تعالى : " ولَقَدْ جَاءَهم من الأَنْباءِ ما فيه مُزْدَجَر " (القمر ٤) . كل ذلك كانت التاء فيه بعد الزاى . أما إذا سبقتها فتدغم التاء في الزاى في مثل قوله تعالى : " المُزَّمِل " وأصلها المُتَزَمِل ، وقوله تعالى : " حتى إذا أَخَذَتْ الأرضُ زُخْرُفَها وازَّيَنَتْ " (يونس ٢٤) وأصلها تَزَيَنَت ، ويلاحظ هنا أيضا أن الزاى والتاء لا تأتلفان (١) سواء سبقت التاء أم الزاى (٢) . وهذا يعني أن مجيئهما متتاليين لا يكون ــ غالبا ــ إلا بزيادة احدهما وهو التاء .

٧) جهر التاء لمجاورتها الجيم :

في الصيغة نفسها حين تكون فاؤها جيما تجهر التاء بابدالها دالا ، وذلك قولك : (٣) " اجْدَمع " في اجْتَمع ، و " اجْدَزَّ " في اجْتَزَّ واستشهد ابن جني بقول الشاعر (٤) :

فَقُلْتُ لصاحِبَيَّ لا تَحْبِسَانا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْدَزَّ شِيحَا

غير أن ابن جني يرى أن هذا الضرب من البدل لمناسبة الجيم لا ينقاس فلا تقول في اجْتَرأ : اجْدَرأ ، ولا في اجْتَرح : اجْدَرح (٥) .

فالتناسب هنا بين الجيم والتاء ، إذ الأولى مجهورة والثانية مهموسة .

---

(١) دراسة احصائية لجذور الصحاح ٦٣ ، ٦٥ .
(٢) لم يرد مما تآلفت فيه الزاى والتاء غير جذرين ثلاثيين اثنين في الصحاح هما " زتت ، ولتز " .
(٣) سيبويه ٤/ ٤٧٩ ، وانظر سر صناعة الإعراب ١/ ١٨٧ .
(٤) سر صناعة الاعراب ١/ ١٨٧ ، والبيت لمُضَرِّس بن ربعي الفَقْعَسِي ، وقيل ليزيد بن الطثريه ، انظر هامش الصفحة نفسها .
(٥) المصدر نفسه ١/ ١٨٧ .

وقد ورد في القرآن الكريم ما اجتمعت فيه التاء والجيم في صيغة افتعل قوله تعالى :[1] " قُلْ لَئِنِ اجتمعت الجن والإنس " (الإسراء ٨٨) ، وقوله تعالى : " اجْتُثَّت مِن فَوقِ الأَرْض " (إبراهيم ٢٦) وقوله تعالى : " أَمْ حَسِبَ الذين اجْتَرحوا السَّيِّئات " (الجاثية ٢١) .

وهذا الصوتان (الجيم والتاء) لا يأتلفان أيا كان السابق منهما ، وهذا يعني أن مجيئهما لا يكون غالبا إلا بزيادة التاء .[2]

وبعد الحديث عن إجهار تاء الافتعال إذا جاورت الدال والذال والزاى والجيم نطرح سؤالا ، لم اختص الإجهار بشكل قياسي بهذه الصيغة دون غيرها ؟ ولم كان يختص بإجهار التاء إذا جاورت الدال والذال والزاى والجيم ؟

وللإجابة على الشق الأول من هذا السؤال نطرح التفسيرين التاليين :

الأول : أن التاء لا تأتلف والأصوات المجهورة الآنفة الذكر ، كذلك لا تأتلف ومقارباتها المهموسة كالتاء والسين .. ، وقد ألمحنا إلى ذلك وقلنا إن تآلف التاء مع الدال والذال والجيم والزاى ... أيا كان السابق منهما تتابع نادر جدا في الجذور الثلاثية .

وهذا يعني أن احتمال تتابعهما لا يتحقق إلا بزيادة التاء ، وهي لا تزاد إلا في موضعين بشكل عام :

أحدهما : تزاد مجاورة لفاء الفعل سابقه عليه أو لاحقة له .

الآخر : تزاد آخر الفعل أو بعد لامه كتاء التأنيث وتاء الضمير ..

والتاء لا تزاد سابقه على فاء الفعل إلا في الصيغ " تفعّل وتفاعل

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب الجيم .

(٢) دراسة احصائية لجذور الصحاح ٦٣ ، ٦٥ ، ولم يرد ما اجتمعت فيه التاء والجيم غير ثلاثة جذور في الصحاح هي : (نتج ، رتج ، وتجر) .

واستفعل " وفي الصيغتين الأوليين تدغم التاء في الدال والذال والزاى ونحوها إذا كانت هذه الأصوات فاء في تلك الصيغتين ، ويمتنع إدغامها في الصيغة الثالثة لتحركها ، ولزوم السكون للسابق عليها واللاحق لها ، يقول سيبويه : " ولا يدغمونها في استدار ، واستطار ، واستضاء ،كراهية لتحريك هذه السين التي لا تقع إلا ساكنة أبدا ، ولا نعلم لها موضعا تحرك فيه ، ومع ذلك أن بعدها حرفا أصله السكون فحرّك (١) لعلة أدركته .. "(٢)

ولا تزاد التاء تالية للفاء إلا في " افتعل " فوقعت بذلك بعد مجهور ــ إن كانت الفاء دالا أو ذالا أو زايا ــ فأجهرت التاء ، ولم تدغم الدال والذال في التاء بعدهن لأ من اللبس مما يبني من ما فاؤه تاء على صيغة افتعل نحو " اتَّبَع " من تَبِعَ ، " واتَّجَر " من تَجَرَ ، أما الزاى فلهذا ــ أى اللبس ــ ولا متناع إدغام الزاى في التاء لصغيرها ــ أيضا ــ .

الآخر: يقوم هذا التفسير على ما يذهب إليه المحدثون من أن صيغة افتعل ، متطورة بالقلب المكاني عن " اتْفَعَل " (٣) ، ويستدل الدكتور داود عبده لإثبات أن افتعل متطورة عن " اتْفَعَل " بدلائل نوجزها في الآتي (٤) :

---

(١) قوله " أصله السكون فحرّك لعلة أدركته " يعني الفاء في استفعل أصلها السكون ، وإنما حركت في استفعل من المعتل الذى مثل به .

(٢) سيبويه ٤ / ٤٧٣ .

(٣) التطور النحوى للغة العربية ٩٢ ، والعربية الفصحى (فليش ١٤٦) ، وأبحاث في اللغة العربية ١٣٦ ، ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن " اتفعل " هي الصيغة المقلوبة ، وأن الأصل " افتعل " انظر محاضرات في اللغة ١٧٦ .

(٤) انظر أبحاث في اللغة العربية " داود عبده " ١٣٦ .

أ) أن نظير هذه الصيغة في اللغات السامية كان " اتفعل " بتقدم التاء .

ب) أن معظم الزيادات في الأفعال تقع قبل الفاء " أَفْعَل ـ تَفَعَّل ـ تَفَاعل ـ اسْتَفْعَل ... .

جـ) أن المماثلة الشائعة في العربية رجعيه (خلفيه)[1] ، وهي في افْتَعَل لو افترضت أصالتها لكان حقها أن يهمس مجهورها فيقال : اسْتَهَر في ازْدَهَر ـ واتّعَى في ادَّعَى ...

وعلى ذلك فإن المماثلة تمت في الأصل الأقدم " اتفعل " فجهرت التاء للزاى والدال ، ثم بقي التماثل على ما هو عليه في الشكل الجديد للصيغة " افتعل " .

وأجد نى أوافق الدكتور داود عبده في استدلاليه الأولين ، وأبدى وجهة نظر في الاستدلال الأخير ، تتمثل في جانبين :

١) أنه لو صح أن المماثلة كانت في الصيغة الأقدم ، لكان سبيلها الإدغام، إذ تدغم التاء في مجموعتها الصوتية الأسنانية المجهورة ، والمهموسة ، والصفيرية ، وكان حقها أن تكون : " ازّهر من اتزهر وادّعى من اتدعى " .

٢) إن أول تطور أصاب الصيغة في شكلها الأقدم كان يخص أصوات الصفير ، يقول برجشتراسر : " الافتعال تاؤه دائما تالية لفاء الفعل ، وكانت في الأصل سابقة لها ، كما هي في الآرامية نحو " ʾeṯ ḳrī " ، أى اقترأ ، يعني : قُرِيءَ ، لكنها كانت تؤخر بعد فاء الفعل ، إذا كانت هي واحدا من حروف الصفير ، نحو : " ʾeštmaʿ " أى استمع ، يعني " سُمِع " وعلى هذا القياس أخرت التاء في سائر الأفعال أيضا "[2] .

---

(١) يسميها " داود عبده " " خلفيه " المصدر نفسه ١٣٧ .

(٢) التطور النحوى للغة العربية ٩٢ .

ويبدو أن هذا التأخير كان لئلا تدغم التاء في حروف الصغير ويمكن على هذا القول بأن الإدغام في "اصَّبر وأزَّان" ونحوها هو بقايا تلك المرحلة التي كانت فيها التاء سابقة على الفاء . وبالتالي ينتفي أن يكون هناك تماثل متبادل في الاتجاهين ، إذ ليس هناك إلاّ إدغام الأول (التاء) في الثاني (فاء الكلمة) .

أما لم حولت التاء إلى الدال مع هذه المجهورات ؟ وهو الشق الثاني من التساؤل الذى طرحناه آنفا فلا أعتقد أن شيئا يفسره غير التقارب المخرجي بين التاء وهذه الأصوات المجهورة من بين جميع المجهورات التي تبتعد في المخرج عن التاء ، كاللام ، والراء ، والميم ، والعين ، والغين ، والنون التي تخفى عند التاء .

٨) جهر الصاد لمجاورتها الدّال :

وذلك نحو قولهم "مَزْدَر" في "مَصْدَر" ويشترط النحاة سكون الصاد حتى تكون مجاورتها للدال مباشرة (١) ، ولجهر الصاد بتأثير الدال طريقان :

أحدهما : إبدالها زايا خالصة ، قال سيبويه : "وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة ، كما جعلوا الإطباق ذاهبا في الإدغام - يعني إطباق الصاد - وذلك قولك في التَّصْدِير : "التَّزْدِير" ، وفي الفَصْد : الفَزْد ، وفي أَصْدَرتُ : أَزْدَرت" (٢) وهذا الوجه لهجة ينسبها ابن جني لقبيلة "كَلْب" (٣) ويستشهد على إبدال الزاى من الصاد بقول الشاعر (٤) :

---

(١) سيبويه ٤/٤٧٨ ، وسر الصناعة ١/٥١ .
(٢) سيبويه ٤/٤٧٨ .
(٣) سر صناعة الإعراب ١/١٩٦ .
(٤) المصدر نفسه ١/١٩٦ .

وَدَعْ ذا الهوىٰ قَبْلَ القِلَىٰ ، تَرْكُ ذي الهوىٰ
مَتِينَ القُوى خَيْرٌ مِن الصَّرْمِ مَزْدَرا

يريدُ مَصْدَرا .

وقول الشاعر :(١)

يَزِيدُ زادَ اللّهُ في خَيْرَاتِهِ حامِي نِزارٍ عِنْدَ مَزْدُوقَاتِهِ

أي مَصْدُوقَاتِه .

وقُرِئ في قوله تعالى : "يَصْدُرَ الرِّعاءُ" (القصص ٢٣) بالزاي خالصة لتجانس الدال .(٢)

والآخر: أن تشم الصاد شيئا من الجهر ، ويسميها القدماء "الصاد التي كالزاي"(٣)

قال ابن جني : "هي التي يقل همسها قليلا ، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي ، وذلك قولك في يَصْدُر : يَصْدُر ، وفي قَصْد ـ قَصْد ".(٤)

وقد قرأ حمزة والكسائي(٥) قوله تعالى "أَصْدَق" (النساء ٨٧) و "يَصْدِفُون" (الأنعام ٤٦) ، بين الصاد والزاي قال مكيّ محتجا لهذه القراءة : "لأن الصاد حرف مهموس ، وبعدها الدال حرف مجهور ، فقربت الصاد من الدال بأن خلط لفظها بالزاي ، لأنه حرف مجهور ، مثل الدال ، فصار اللسان يعمل في حرفين مجهورين ، وحسن ذلك ، لأن الصاد والزاي من مخرج واحد ، ومن حروف الصفير".(٦)

---

(١) سر صناعة الإعراب ١٩٦/١ .
(٢) التبيان في اعراب القرآن ١٠١٩/٢ .
(٣) سر صناعة الإعراب ٥٠/١ ، وسيبويه ٤٣٢/٤ .
(٤) سر الصناعة ٥٠/١
(٥) انظر الإقناع ٦٣١/٢ ، والنشر ٣٢/٣ ، والكشف ٣٩٢/١ ، وفيه أن الصاد ساكنة وقعت قبل الدال في اثنى عشر موضعا في كتاب الله ، وقرأ حمزة والكسائي في ذلك كله بإجهار الصاد بجعلها بين الصاد والزاي.
(٦) الكشف ٣٩٤/١ .

وهذه الصاد التي كالزاى تشبه في النطق " الظاء " الصفيرية (١) في العامية المصرية في كلمات من مثل " مظَاهر ، والوَظِيفة " ، ويسميها الدكتور عبد العزيز مطر الزاى المفخمة . (٢)

كما تسمع هذه الصاد المجهورة قبل الغين في الأداء العامي المصرى والشامي والخليجي للفظ " صَغِير " .

٩) همس العين لمجاورة الهاء :

هي ظاهرة لهجية تميمية (٣) ، تقلب فيها العين والهاء إلى حائين ثم تدغمان إدغام المثلين (٤) . يقول سيبويه : " ومما قالت العرب تصديقا لهذا في الإدغام - يعني قلب العين والهاء حائين - قول بني تميم : مَحُّم ، يريدون : مَعْهُم ، ومَحَّاؤُلاء ، يريدون : مَعَ هَؤُلاء " . (٥)

فالعين المجهورة همست بتحويلها إلى حاء ، بتأثير من الهاء ، ثم حدث العكس وأثرت الحاء في الهاء فحولت حاء ، ومن ثم أدغمتا إدغام المثلين ، هذا موجز ما يذهب اليه المحدثون . (٦)

وهذا يعني أن الاهماس حدث لأجل الادغام ، إذ الصوتان متقاربان مخرجيا ، وللإدغام يحدث من الإهماس والإجهار والشدة

---

(١) الأصوات اللغوية (انيس) ١٤٧ ، وانظر حديثه عن" الزاى الظائية" في نفس الصفحة . ويذهب جان كانتينو الي أن الظاء الصفيرية (ẓ) هي نطق تركي الأصل للظاء دروس في علم أصوات العربية ٦٤ ، ويصدق قوله إذا ما قارناه بما يسمع في الحجاز بعامة من نطقهم " للضابط " و" بالضبط" بزاى مفخمة بدلا من الضاد ، وهو أمر يفسره الوجود العثماني في بلاد الحجاز على عكس المناطق الأخرى التي لم تكثر وطأة الأتراك فيها .

(٢) خصائص اللهجة الكويتية ١٦ .

(٣) سيبويه ٤/٤٥٠ ، وانظر لهجة تميم دراسة تاريخية وصفية ١٦٠ .

(٤) انظر ما سبق ص ٧٣ .

(٥) سيبويه ٤/٤٥٠ .

(٦) لهجة تميم دراسة تاريخية وصفية ١٦٠ ، ١٦١ .

والرخاوة ، والتفخيم والترقيق ، ما لا يحدث لغيره ، لذلك اقتصرت حالات التماثل لغير الادغام على صيغة "افتعل" وبعض النماذج الخاصة بموقعية الصوت كتجاور الصاد والدال ، والسين والقاف ، وهذا يقودنا إلى الحديث عن الفرق بين الإدغام والتماثل ، أو بالأحرى بين الإبدال للإدغام والإبدال للتماثل الصوتي .

ونبدأ أولا بحديث الدكتور عبد الصبور شاهين الذى يرى أن بين الإدغام وبين المماثلة ـ كما هي عند المحدثين ـ عموما وخصوصا، فالمماثلة أعم من الإدغام لشمولها حالات التماثل الجزئي ، والكلّي ، والإدغام أعم من المماثلة حيث يشمل إدغام المثلين (١) .

ومن خلال رأيه نستطيع أن نقول إن العموم المتبادل في الجهتين ـ الإدغام والتماثل ـ جعل المحدثين يصنفون الإدغام في المتقاربين ضمن حديث المماثلة الكاملة (٢) ، وأجدني هنا متابعا للقدماء الذين كانوا يفرقون بين الإبدال للإدغام (٣) والإبدال لغير الإدغام ، وأخرج الإدغام من حديث المماثلة أو التماثل ، لأقصره رجعيا كان ، أو تقدميا على المواطن التالية :

١) المماثلة الحركية الكاملة وهذه لا يحدث فيها فناء تام لعدم التجاور؛ إذ الحركة تلي الصامت دائما .

٢) المماثلة الجزئية التي يتأثر فيها الصوت جزئيا بصوت آخر سواء منهما المتصلة أو المنفصلة وسنحقق بهذا الإخراج هدفين :

---

(١) ملخصا من أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي ٢٣٥ فما بعدها .

(٢) انظر المماثلة الكاملة في الأصوات اللغوية ويعبر عنها بالفناء ١٨٢ ، ودراسة الصوت اللغوى ٣٣٢ ، والتطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ٢٢ ، ٢٥ ، وفقه اللغات السامية ٦٠ ، ٦١ ، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٥ .

(٣) سر الصناعة ١/١٨٥ .

الأول : إعادة التوازن بين التأثر الرجعي والتقدمي فيستويان من حيث الشيوع(١) في العربية لإخراجنا الإدغام من المماثلة ، وهو مصنف على أنه من المماثلة الرجعية .

الآخر : أن المماثلة والتأثير من شأنها أن تخلق " ألوفونات " تتحقق بها الفونيمات في السياق الصوتي ، وهذا يعني قلة عدد الألوفونات لكل فونيم متأثر سياقيا بالموقع أو المجاورة لأصوات أخرى .

ولتوضيح هذه النقطة أقول إن القول بأن الإدغام جزء من المماثلة يعني تعدد الألوفونات لكل فونيم يُدْغم ، وسنحصل فيما لو كان ذلك كذلك على عدد كبير من الألوفونات لكل صوت فيكون لفونيم " اللام " ثلاثة عشر ألوفونا ، وللتاء أحد عشر ألوفونا ، وللدال أحد عشر ألوفونا . . . وهكذا ، وبعبارة أوجز أقول إن ذلك يعني أن لكل فونيم أدغم ألوفونا مثل المدغم فيه ، مما يعني أن العربية تملك ثمانية وعشرين فونيما صامتا ، وعددا لا يحصى من الألوفونات .

وبعدا عن اطلاق الحكم في هذه المسألة نستطيع أن نقول إن المماثلة أو التماثل يقودان إلى الإدغام ، أو بعبارة يهيآن له في بعض النماذج ، كقلب تاء الافتعال دالا أو طاء ، قبل أن تدغم في مثل : ادَّكر ، واطَّرد . . . ، وكذا تاء الفاعل إن وقعت بعد مجهور أو مطبق فتقول " قَعَدُّ ، وخَبَطُّ " ، في لغة من يبقي الإطباق عند الإدغام .

وما القصد من الإدغام إلا التخلص من الحركات العضوية المتماثلة أو

---

(١) يذهب المحدثون الى أن المماثلة الرجعية هي الشائعة في اللغة العربية . انظر الأصوات اللغوية (أنيس) ١٨٠ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية ٢١ ، ويدعم التوازن الذى أشرت اليه ميل اللغة دائما إلى الثنائيات المتعارضة بدء من الثنائيات الصوتية الصغرى ، ومرورا بالصفات الصوتية المتقابلة كالجهر والهمس والشدة والرخاوة . . ، والمماثلة والمخالفة . . أنظر الأصوات اللغوية (الخولي) ٢٢٥ .

المتقاربة ، فهو أشبه بالمخالفة فيما يؤديه من حل لمشاكل التأليف الصوتي الطارئة عند التطبيق الفعلي لمعطيات النظام الصوتي ، وينطبق ما قلناه هنا على جميع نواحي التأثر أو التماثل في الصفات الصوتية كالجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق ، والشدة والرخاوة .

ثانيا : الشدة والرخاوة

الشدة :(١)

انحباس الهواء عند نقطة خروج الصوت انحباسا محكما ثم خروجه محدثا دويّا هو الصوت الموصوف بالشدة . ويسمى الصوت الشديد "انفجاريا".(٢)

الرخاوة :

وعكس الشدة الرخاوة ويراد بها الانحباس الجزئي الذى يسمح بمرور الهواء من مخرج ضيق يسبب احتكاكا هو الصوت الموصوف بالرخاوة ، ويسمى "احتكاكيا".(٣)

ومع الشدة والرخاوة صفة ثالثة قَسِيمةٌ لهما هي التوسط ،(٤) فالصوت إما شديد أو رخو أو متوسط . والتضاد يتضح أكثر بين صفتي الشدة والرخاوة .

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن الصوت الشديد أخفّ من الصوت الرخو ، يقول في معرض حديث له عن الشدة والرخاوة : "إن الأصوات الشديدة تحتاج إلى جهد عضلي أقل من نظائرها الرخوة ، ولذلك نلحظ أن الطفل قد يلتمس الصوت الشديد بدلا من نظيره الرخو "تِـتِّي" بدلا من "سِـتِّي" وكذلك

---

(١) الأصوات اللغوية (أنيس) ٢٣ .
(٢) الأصوات اللغوية (أنيس) ٢٣ ، ومعجم علم الأصوات ٢٥ .
(٣) الأصوات اللغوية (أنيس) ٢٣ ، ومعجم علم الأصوات ١٠ .
(٤) سبق الحديث عنها في هامش ص ١٤١ .

البدوى الذى يقتصد من الجهد العضلي في أثناء نطقه ، ويميل في كثير من الأحيان إلى قلب الصوت الرخو الى نظيره الشديد "[1] .

وكانت معظم الأمثلة التي ساقها الدكتور أنيس للتدليل على ما ذهب إليه هي من قبيل الإبدال لغير التناسب بين صوتين متجاورين ، فكان مما ساقه قولهم في اللصّ : اللصْت ، وعُكُوَبَ الطير في عُكُوف الطير . . . "[2] . وليس الميل إلى الأصوات الشديدة من المميزات البدوية كما ذهب اليه الدكتور أنيس ، لأن الأصوات الرخوة (ث ـ ذ ـ ظ) تحولت إلى شديدة في لهجات مكة وجدة والقاهرة . تسمع ذلك في النماذج : تُوب في ثُوب ، دَهْر في ظَهْر ، ودَبْح في ذَبْح . . . ، وللتدليل على ذلك نسوق نَصّ " كانتينو " الذى يرى فيه عكس ما رآه الدكتور إبراهيم أنيس يقول كانتينو : " لقد بقيت الحروف الرخوة التي من بين الأسنان أى الثاء والذال والظاء كما هي عند البدو الرحل أو البدو الرحل سابقا وأصبحت هذه الحروف حروفا شديدة من نفس المخرج أى تاء ودالا ودالا مطبقة في لهجات الحضر "[3] .

ويبدو أن تحول الصوت الرخو إلى صوت شديد ، أو العكس لم يحدث إلا للإدغام كما في " أَخَذْتُ وأَخَتُّ " ، " وعَبَثْتُ وعَبَتُّ . . ونحوها "[4] ، وهو قول يخرج من حديث التناسب على ما ذهبنا إليه في آخر حديث الجهر والهمس .

وقبل أن أترك هذا الحديث إلى غيره ، أشير إلى التضاد بين الجهر والهمس أو بين الشدة والرخاوة يظل نسبيا بدرجة كبيرة ، ولا يرقى للتضاد بين أصوات الاستعلاء والإطباق ومجاوراتها في السياق التي يحدث تواجدها في سياق صوتي واحد التأثير ولو لم يكن الصوتان متصلين .

---

(١) في اللهجات العربية ٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ٩٠ ـ ٩١ .
(٣) دروس في علم أصوات العربية (كانتينو) ٦٧ .
(٤) الأصوات اللغوية (أنيس) ١٨٦ .

ثالثا : التفخيـــم والترقيـــق

التفخيـــم : (١)

" سِمَة تصاحب الصوت وتنشأ عن ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى نحو الطبق وتراجعه إلى الخلف نحو الحلق ، ويُسمىٰ إطباقا أو تحليقا " .

وإذا لم يكن الصوت مفخما فهو مرقق ، وغياب التفخيم عن صوت ما يعـني حدوث الترقيق . (٢)

وهذا يعني أنهما صفتان متضادتان،غير أنهما لا تنتظمان جميـــع الأصوات كالجهر والهمس ،اللذَين تستطيع من خلالهما أن تصف الصوت بأنه مجهور أو مهموس ، وليس التفخيم والترقيق كذلك ، لأن التفخيم صفة مصاحبة للصوت فـي غير مخرجه ، فأصوات الإطباق الأربعة (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) تخـرج من منطقة الأسنان وأصول الثنايا ... ، وإطباقها يحدث في الطبق ،إذ يرتفع اللسان إليـه .

وهي بهذا لها نظائر غير مطبقة تخرج من نفس مخرجها ، ولا يصاحبهـا ارتفاع اللسان إلى الطبق وهي (السين ، والدال ، والتاء،والذال) (٣) ويشترك مع هذه الأربعة المطبقة في صفة التفخيم ثلاثة أصوات أخرى هي : (القــاف ، والغين والخاء) غير أن صفة تفخيمها تكون في مخرجها ، لأن اللسان حـــين النطق بها يرتفع مؤخرة إلى الطبق أو اللهاة ، وهما مخرجا هذه الأصـــوات ولتأثيرها في بعض السياقات تفخيما عُدَّتْ أصواتا مفخمة ، ولا نظائر لها مرققة .

---

(١) انظر تعريفه في الأصوات اللغوية (الخولي) ٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢١٤ .

(٣) انظر هذه النظائر في دراسة الصوت اللغوى ٢٧٠ ، والتناظر بــــين الدال والضاد لا يكون إلاّ طبقا للوصف الحديث للضاد .

ويتضح من الوصف الصوتي لطبيعة التفخيم ، أن تأثيره في الأصوات المجاورة في السياق الصوتي ، يحدث نتيجة حجرة الرنين التي تتشكل بتقعر اللسان أو ارتفاعه عند إحداث الإطباق أو الصوت .

ويسمي القدماء الأصوات السبعة السابقة أصوات الاستعلاء (١) ، ويجعل ابن جني الاستعلاء والاطباق صفتين فيقول : " فالمستعلية سبعة وهي : الخاء ، والغين ، والقاف ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والصاد ، وما عدا هذه الحروف منخفض ، ومعنى الاستعلاء : أن تتصعد في الحنك الأعلى ، فأربعة منها فيها مع استعلائها اطباق وقد ذكرناها ـ يعني الصاد ، والضاد ، والطاء والظاء ـ وأما الخاء ، والغين ، والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها .. " (٢) .

وأيا كان الخلاف في صفتي الاطباق والاستعلاء ، والعلاقة بينهما ، فإن تأثيرها في السياق الصوتي تفخيما واضح ومما لا خلاف فيه ، وإن كان يطّرد بشكل أكبر مع أصوات الإطباق .

وبالرغم من أن المحدثين يرون أن أصوات الإطباق أقل سهولة في النطق من سواها (٣) ، اعتمادا على قائمة الشيوع إذ تحتل الأصوات المطبقة آخر القائمة (٤) فإن ذلك لا يعني أن تأثيرها في السياق الصوتي تفخيما يعد ميلا للثقل ، بل هو ميل إلى الخلوص من التنافر أو التضاد الحاصل باجتماع النظائر المطبقة والمنفتحة والمستعلية والمستفلة .

وقبل أن أنتقل للحديث في النماذج ، والأمثلة التي حدث فيها هذا

---

(١) انظر سر صناعة الإعراب ١/٦٢ . وسيبويه في باب الإمالة ٤/١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) سر الصناعة ١/٦٢ .
(٣) الأصوات اللغوية (الخولي) ١١٩ . والأصوات اللغوية (أنيس) ١٨٨ .
(٤) المصدر نفسه ١١٩ .

التناسب ، أشير أولا إلى أن هذه الأصوات المطبقة لا يأتلف بعضها مع بعض في الجذور الثلاثية [١] ، كما أنها قليلة الائتلاف مع نظائرها المرققة ، وهذا يعني أن تواليها لا يكون إلا على سبيل التخلص من التضاد بينها وبين نظائرها في السياق الصوتي الذى تجتمع فيه .

كما أن الأصوات (خ . غ . ق) لا تأتلف مع بعضها إلا نادرا ، وذلك بين الخاء والقاف [٢] فقط . وتأتلف أصوات هذه المجموعة مع مجموعة أصوات الإطباق ائتلافا شائعا ، لبعد المخارج في المجموعتين .

١) أصوات الاطباق ومجاورتها في السياق :

أ) في صيغة "افتعل" :

إذا كانت فاء "افتعل" صوتا مطبقا أثر في تاء الافتعال فتقلب طاء ، لتناسب في التفخيم (الإطباق) فاءَ الكلمة يقول ابن جني : "إن تاء "افتعل" إذا كانت فاؤه صادا ، أو ضادا ، أو طاء ، أو ظاء تقلب طاء البتة ، لا بد من ذلك ، كما لا بد من إعلال نحو قَال وبَاع البتة ، وذلك قولك من الصبر : اصْطَبر ، ومن الضرب : اضْطَرب ، ومن الطرد : اطَّرد ، ومن الظهر : اظْطَهر بحاجتي " [٣] .

وهذا هو الموضع الذى ينقاس فيه الإبدال للتناسب بين أصوات الإطباق والتاء ، وكنت قد أشرت إلى أن ائتلاف أصوات

---

(١) دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ٦٣ ، ٦٥ .
(٢) المصدر نفسه ٦٣ ، ٦٥ .
(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٢١٧ .

الإطباق مع نظائرها غير المطبقة قليل جدا ، وذلك يعني أن ائتلافها لا يكون إلا بزيادة التاء غالبا ، وموضع الزيادة التي يصلح أن يكون فيها تضاد دون تخلص منه إلا بالتناسب هو صيغة " افتعل "[1]، إذ لو تقدمت التاء قبل هذه الأصوات لجاز إدغامها فيها ، وهو الأمر الذى فسرت عليه القلب المكاني بين التاء وفاء " افتعل " وحملت عليه مرحلة الإدغام فيمن قال : اصَّبَر ، واضَّرب ، واظَّلَم[2] ، بأنها من بقايا مرحلة صيغة " اتْفَعَل " قبل القلب .

ويطرد هذا الإبدال على جميع ما اشتق من هذه الصيغة من أسماء وأفعال .. ونحوها فتقول من صَبَر : اصْطَبر ويَصْطَبِر مُصْطَبِر ، واصْطِبَار .. ، إذ يقع التنافر في جميع الاشتقاقات لو لم تبدل التاء صوتا مطبقا مناسبا للفاء في الإطباق .

ويلاحظ على التناسب بين تاء الافتعال وفاء الكلمة إذا كان صوتا مطبقا أنه وقع بين صوتين متجاورين لا يفصل بينهما فاصل وهذا يعني أن التماثل التقدمي كان متصلا،وما هو شبيه بهذا الموضع ـ أي صيغة الافتعال ـ من حيث اجتماع الطاء ، والتاء مع سبق الأولى قولهم في كل فعل لامه أحد أصوات الاطباق أسند إلى تاء الفاعل بالإدغام مع بقاء الإطباق ، تقول : خَبَطُّهُ في خَبَطْتُهُ[3] ، هذا إذا قاد التناسب إلى الإدغام بعد تحويل

---

(١) انظر ما سبق ص ٢١٤ .

(٢) شرح الملوكي في التصريف ٣١٩ . وورد على ذلك في غير رواية سيبويه قول الشاعر : هو الجوادُ الذى يُعْطِيك نائِلَهُ
عفوا ، ويَظَّلِمُ أحيانا فيَظَّلِمُ
المصدر نفسه ٣٢٠ ، ورواية سيبويه بالطاء المشددة ،أنظر سيبويه ٤/٤٦٨ .

(٣) سيبويه ٤/٤٧١

الصوت الثاني إلى مثل المدغم ، ومثله " حفطّه في حَفِظْتَه "(١) .

ومما لم يتبعه ادغام بعد التناسب بين الصوتين قولهم :
حِصْطُ في حِصْتُ(٢) حُوِّلت التاء طاء لتناسب الصاد في التفخيم .

يقول سيبويه : " وقد شبه بعض العرب ممن ترضى عربيتهم هذه الحروف الأربعة ، الصاد والضاد ، والطاء والظاء ، في فَعَلْتُ ، بهن في افْتَعل ، لأنه يبنى الفعل على التاء ، ويغير الفعل فتسكن اللام كما أسكن الفاء في افتعل ، ولم تترك الفعل على حاله في الإظهار فضارعت عندهم افْتَعل " ، غير أن هذا الموضع لا يطرد وينقاس كما اطرد في افتعل ، وقد سمع فيه الإدغام مع ذهاب الإطباق تقول في حِطْتُهُم : حِتُّهُم "(٣) .

ب) في سياقات أخرى :

أعني بالسياقات الأخرى تلك التي يكون فيها صوت مطبق يؤثر فيما جاوره تفخيما في غير صيغة الافتعال التي يلاحظ عليها المجاورة المباشرة بين الصوتين ، بالإضافة إلى كونها الموضع المقيس باطراد لظاهرة تأثير أصوات الإطباق .

أما السياقات الأخرى فتتسم بالتالي :

١) أنها ظاهرة لهجية يُسْمع فيها تأثير أصوات الإطباق في لهجة ، كما يسمع الأصل في لهجة أخرى .

---

(١) سيبويه ٤ / ٤٧١ .
(٢) المصدر نفسه ٤ / ٤٧١ .
(٣) المصدر نفسه ٤ / ٤٧١ .

٢) أنها ظاهرة ليست قياسية أو بمعنى آخر لا يقاس عليها .

٣) أنها تفتقد المجاورة المباشرة بين الصوتين المطبق وغير المطبق .

٤) أنها تخص السين والطاء غالبا مع سبق الأولى .

ولعل أشيع مثال لتفخيم السين مع الطاء هو قوله تعالى "السِّـراط" فقد قرئت بالصاد .[١]

ومن أمثلة ذلك أيضا قراءة قوله تعالى (المُصَيْطِرون)[٢] "الطور ٣٧" بالصاد لتناسب الطاء ، وقوله تعالى "بمُصَيْطِر"[٣] (الغاشية ٢٢) .

ويرى في هذه الأمثلة افتقاد المجاورة المباشرة بين السين والطاء ، فتارة كان بينهما صوت واحد[٤] هو الياء ، وأخرى صوتان هما الراء والألف ، ومع ذلك امتد تأثير إطباق الطاء إلى السين التي تحولت إلى أقرب مطبق من مخرجها وصفتها[٥] وهو الصاد .

ومما تجاورت فيه السين والصاد تجاورا مباشرا قوله تعالى : "بَسْطَة" (البقرة ٢٤٧ ، الأعراف ٦٩) ، فقد قرأ نافع[٦] بالصاد فيهما ، وكذلك في قوله تعالى "يَبْسُط" (البقرة ٢٤٥) .

ومن المثير للدهشة أننا نذهب دائما إلى أن أصوات التفخيم تؤدي إلى

---

(١) السبعة ١٠٧ ، قرأ السبعة إلا ابن كثير وحمزة بالصاد خالصة ، وقد كان ابن كثير يقرأ بالسين ، وحمزه بالصاد مجهورة (زايا مفخمة) ، وروى عن أبي عمرو الأوجه الثلاثة . المصدر نفسه ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) قرأ الكسائي وابن كثير (المصيطرون) بالسين ، والباقون بالصاد إلا حمزة فهو على مذهبه بالإشمام ، السبعة ٦١٣ .

(٣) قرأ الكسائي وابن عامر بالسين ، والباقون بالصاد ، إلا حمزة قرأ على مذهبة بالإشمام ، السبعة ٦٨٢ .

(٤) صوت واحد ، وصوتان إذا لم نعتد بحركة السين .

(٥) السبعة ١٠٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢١٢ .

(٦) السبعة ١٨٥ .

تفخيم الأصوات المرققة المجاورة ، وهو ما لم يثبت به استقراء، إذ تؤدى أصوات الإطباق (ط . ظ . ص . ض) إلى تفخيم التاء في صيغة افتعل ، وفي كل سياق ترد فيه أصوات الإطباق سابقة على التاء ، كما في الأفعال المسندة المطبقة لاماتها . كما مرّ معنا سابقا .

أو أن تجتمع السين الطاء مع سبق الأولى ، ولكي نجلو شيئا من هذه الدهشة ، نقدم التفسير التالي لخصوصية اجتماع السين والطاء مع سبق الأولى ، ويشتمل على النقاط التالية :

١) إن أصوات الإطباق لا يأتلف مع بعضها ، ولا تأتلف مع ما هو من مخرجها كالتاء ، والدال ، والذال ، والثاء ، والزاى إلا نادرا (١) .

٢) إن مخارج الأصوات الأخرى بعيدة عن مخارج هذه الأربعة المطبقة .

٣) إن الأصوات الحنجرية والحلقية (الهمزة ، والعين ، والحاء ، والهاء) لا توسم بالعلو والاستفال ، لأنها ليست من أصوات الفم من جهة ، ولانعدام دور جزء اللسان المتحرك بحرية ارتفاعا وانخفاضا عن مخرجها وكذلك الأصوات الشفوية والأسنانية الشفوية (الباء ، والميم ، والواو ، والفاء) ، لعدم عمل اللسان فيها ابتداء .

٤) إن الأصوات الغارية (الجيم ، والشين ، والياء) لا يسمح لها مخرجها الذى يتجه إليه مقدم اللسان ببقاء الإطباق وهو صفة التأثير التي تعنينا ، لا خلاله بحجرة الرنين التي يشكلها اللسان باتجاه مؤخره إلى الطبق .

٥) إن النون وهو الصوت الفموى الأنفي يخفى عند أصوات هذه المجموعة ، وإخفاؤه يكون بتحييد اللسان عن مخرجه الفموى ، ولذلك تبقى غنته .

---

(١) الخصائص ١ / ٥٤ ، ودراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ٦٣ ، ٦٥ .

٦) إن الأصوات اللهوية والقصية (الخاء ، والغين ، والقاف) مستعلية بمخرجها ، والتفخيم من صفاتها الأساسية ولذلك لا يبدو عليها في السياق أنها تتأثر بالتفخيم من صوت مجاور .

٧) ولم يبق بعد ذلك إلا ثلاثة أصوات هي (اللام ، والراء ، والسين) أما الأولان فسيأتي الحديث عنهما فيما بعد . أما السين فلأنها تأتلف مع الطاء وحدها — دون بقية أصوات الأطباق — ولذلك كان السياق الوحيد الذى تؤثر فيه أصوات الإطباق في السين هو السياق الذى توجد فيه السين مع الطاء (١) .

٢) بقية الأصوات المفخمة (خ . غ . ق) ومجاوراتها في السياق :

ولهذه المجموعة الصوتية المفخمة " خ . غ . ق " تأثيرها في تفخيم مجاوراتها في السياق ، إلا أنه أقل من تأثير مجموعة أصوات الإطباق ، فهي لا تؤدى إلى تفخيم التاء في صيغة " افتعل " لكنهما تتشابهان في أنها تؤدى إلى تفخيم السين إذا اجتمعت معها في سياق صوتي واحد مع سبق السين (٢) .

ولا تشترط المجاورة بينها وبين السين ، إذ يتم التفخيم حتى

---

(١) دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ٦٣ ، ٦٥ ، وفيه : لا تتابع السين والصاد ، ولا السين والضاد ، ولا السين والظاء ، وتتابعت السين والطاء في الموقعين الأول والثاني من الجذور الثلاثة ٧ مرات ، وفي الموقعين الثاني والثالث ست مرات ، وانظر الخصائص ١ / ٥٤ ، وسر الصناعة ٢ / ٨١٨ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٤٣ ، وسر الصناعة ١ / ٢١١ ، ويشترط سيبويه أن تكون السين والقاف أو الخاء أو الغين في كلمة واحدة ٤ / ٤٧٩ .

لو فصل بين السين[(١)] وهذه الأصوات بأكثر من صوت آخر ، يقول ابن جني " ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا على ما هو بين في موضعه من باب الإدغام ، وذلك كقولهم في سُقْتُ : صُقْتُ ، وفي السُّوق : الصُّوق ، وفي سَبَقْتُ صَبَقْتُ ، وفي سَمَلَّق وسَوِيق : صَمَلَّق وصَوِيق ، وفي سَالِخ وسَاخِط : صَالِخ وصَاخِط ، وفي سَقَّر : صَقَّر ، وفي مَسَالِيخ : مَصَالِيخ ".[(٢)]

وقد قرئ[(٣)] قوله تعالى " أَسْبَغَ عليكم " (لقمان ٢٠) بالصاد ، قال ابن جني : " وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تَعَاليهن والصاد مستعلية ، وهي أخت السين في المخرج ".[(٤)]

كما قرئ[(٥)] قوله تعالى " والنَّخْل باسِقَات " (ق ١٠) بالصاد لتقرب السين من القاف ، وإبدال السين صادا مع هذه الأصوات لهجة لبني العنبر[(٦)]، ويرى سيبويه أن " الأعرب الأكثر الأجود في كلامهم ترك السين على حالها ".[(٧)]

ثالثا : تفخيم اللام مع الأصوات المفخمة :

اللام صوت مرقق ، ويصنف ضمن مجموعة الأصوات المتوسطة الأكثر وضوحا سمعيا[(٨)] وتفخم اللام إذا وقعت في سياق صوتي مفخم ، كأن

---

(١) سيبويه ٤ / ١١٧ ، ١٢٩ .
(٢) الخصائص ٢ / ١٤٢ ، وانظر كذلك سر الصناعة (١ / ٢١٢ ، وسيبويه ٤ / ٤٨٠ .
(٣) قراءة يحيى بن عمارة : المحتسب ٢ / ١٦٨ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ١٦٨ .
(٥) المصدر نفسه ٢ / ٢٨٢ ، والقراءة فيه منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
(٦) سيبويه ٤ / ٤٨٠ ، وفي البحر المحيط أنها لهجة بني كَلْب ٧ / ١٩٠ ، والصحيح كما قال سيبويه إذ أن بني كلب يقلبون السين مع القاف زايا خالصة كما مر معنا في ص ١٩٧ ، وانظر سر الصناعة ١ / ١٩٦ .
(٧) سيبويه ٤ / ٤٨٠ .
(٨) الأصوات اللغوية (أنيس) ٢٤ ، ٢٥ .

تجاور واحدا من أصوات الاطباق .

وقد روى[1] ورش عن نافع تفخيم اللام في مثل : " ظَلَموا ، ومن أَظْلَم والصَّلاة ، ومُصَلّى ، والطَّلاق ، وطَلَّقتُم "[2] غير أن تفخيمه إياها مشروط بشرطين[3] :

١) أن تكون اللام تالية لأصوات الإطباق .

٢) ألّا تكون اللام مضمومة أو مكسورة .

ويوجه مكي بن أبي طالب رواية ورش هذه بقوله : " وعلة من فخم هذا النوع أنه لما تقدم اللام حرف مفخم مطبق مستعل ، أراد أن يقرب اللام نحو لفظه ، فيعمل اللسان في التفخيم عملا واحدا ، وهذا هو معظم مذاهب العرب في مثل هذا يقربون الحرف من الحرف ، ليعمل اللسان عملا واحدا ، ويقربون الحركة من الحركة ليعمل اللسان عملا واحدا ، وعلى هذا أتت الإمالات في عللها ، وعلى هذا أبدلوا من السين صادا إذا أتى بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء ، ليعمل اللسان في الإطباق عملا واحدا ، فذلك أخف عليهم من أن يتسفل اللسان بالحرف ، ثم يتصعد إلى ما بعده "[4] .

رابعا : التناسب بين الحركات والأصوات الصامتة

لا يتم التركيب الصوتي من الأصوات الصامتة فحسب ، بل لا بد من أن تصل الحركات بين صوامت الكلمة ، ولما كانت الحركات برغم قلتها ـ ذات مخارج متفاوتة

---

(١) الكشف ١/ ٢١٩ .
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢١٩ .
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢١٩ ، ويضيف مكي شرطا ثالثا يختص بالظاء وهي ألّا تكسر أو تضم .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢١٩ .

وتتمتع بحرية كبيرة عن إصدارها ، فإنها تؤثر تغييرا في بعض الصوامت من حيث المخرج أو الكيفية ، إذ تجتذب الحركة الصامت نحوها تقدما أو تأخرا [١] من حيث كونها حركة أمامية أو خلفية [٢].

ولعل أمثل نموذج يساق للتدليل على تأثير الحركات في الصوامت هو ما عرف " بالكشكشة " وهي نطق الكاف المكسورة شينا أو صوتا شبيها بصوت (CH) في الإنجليزية [٣]. ويطرد نطق الكاف المكسورة شينا ، اذا كانت لخطاب المؤنث ، في حال الوقف [٤] ، وعليه قول المجنون [٥] :

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وجِيْدُشِ جِيْدُها ... سِوىٰ أَنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ

يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " فالذين رووا هذه الظاهرة بين اللهجات العربية القديمة ، وقصروها على قلب كاف المؤنث إلى " شين " كانوا أقرب الجميع إلى الصواب ، لأن الكسرة في كاف المؤنثة هي العامل الأساسي في هذا الانقلاب [٦].

وإذا كنا قد سقنا هذا المثال للتدليل على تأثير الحركات في الصوامت تقديما وتأخيرا ، فإن الذى يعنينا في حقيقة الأمر التناسب بين الحركة والصامت، أو بمعنى آخر تغير الصامت ليناسب الحركة السابقة عليه ، أو اللاحقة له ، وسنقتصر على تفخيم الراء وترقيقها ، وكذا تفخيم اللام وترقيقها بتأثير الحركة المجاورة لها .

---

(١) الأصوات اللغوية (الخولي) ٢١٢ .

(٢) المصدر نفسه ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) في اللهجات العربية (أنيس) ١١١ ، وهو في حقيقته الصوتية صوت واحد ، وإن سمع كأنه مركب من التاء والشين .

(٤) سر الصناعة ١ / ٢٠٦ .

(٥) المصدر نفسه ١ / ٢٠٦ .

(٦) في اللهجات العربية ١١٢ ، ويعتمد في تفسيره للظاهرة على ما عرف " بقانون الأصوات الحنكية "، وملخصه : " إن الأصوات الحنكية القصية (الكاف والجيم الخالية من التعطيش ، تتحول بمخرجها إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو أصول الثنايا ، بفعل اصوات اللين الأمامية (الكسرة والفتحة) المصدر نفسه ١١١ .

١) ترقيق الراء وتفخيمها :

الراء صوت مكرر ، وهذه هي صفته المميزة له ، وهو من الأصوات المفخمة ، ويقوم بدورها في منع الإمالة .[(١)]

والأصل في نطق الراء أن يؤدى مفخماً[(٢)] ، غير أنه إذا جاور الكسرة سابقة عليه ، أولاحقه له رقق بتأثير منها ، ولأجل أن يناسبها إنْ كان ساكنا ، يقول مكي بن أبي طالب : " فإذا كان قبله كسرة لازمة غير عارضة ، رققت الراء ، لقربها من الكسرة التي قبلها ، وإن كان بعدها ياء رققت ، لقربها من الياء التي بعدها،وذلك في الكسر نحو " مِنْ فِرْعَون " (يونس ٨٣) ، و " أَنْذِرْهُم " (مريم ٣٩) ، وفي الياء نحو " مَرْيَم " (البقرة ٨٧) ، و " قَرْيَة " (البقرة ٢٥٩) ، فإن انكسر ما قبلها وأتت الياء بعدها فذلك أقوى في ترقيقها نحو : " مِرْيَة " (هود ١٧) "[(٣)]

والراء إن كانت مكسورة فإنها ترقق كذلك وذلك نحو " مَرَرْتُ بساتِرٍ وغافِرٍ " .[(٤)] ويبقى تفخيم الراء إن كانت مضمومة أو مفتوحة أو ساكنة مجاورة لصوت من أصوات الاستعلاء[(٥)] ، كما في قوله تعالى : " فِرْقَة " (التوبة ١٢٢) .

ويذهب " كانتينو " إلى أن تفخيم الراء ظاهرة مقيدة[(٦)] ، لكنه

---

(١) سيبويه ٤ / ١٣٦ .
(٢) الكشف ١ / ٢٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٢٠٩ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٢٠٩ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ .
(٦) دروس في علم أصوات العربية ٧٤ .

كان يتردد بين الراء المفخمة والراء المرققة وأيهما الأصل ، ويتخلص من حل هذا الإشكال بقوله في نهاية حديثه عن تفخيم الراء وترقيقها :

" ومهما يكن من حال فالراء المفخمة والراء المرققة إنما هما في العربية القديمة مجرد عَرَضين تماطيين لصوت واحد فالتمييز بينهما له قيمة من حيث النطق، وليس من حيث علم وظائف الأصوات " . (١)

وبالرغم من موافقتي له في أن أحد الصوتين " أولفونا " للآخر، وهو نحوى النص الذى نقلته عنه ، إلاّ أنني أرى أن الراء المفخمة هي الأصل ، لا متابعة للقراء فحسب ، وإنما استنادا على قول سيبويه : " والراء اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة ، والوقف يزيدها ايضاحا " (٢) ، وقد أشار إلى ذلك كانتينو (٣) ولكنه أعرض عنه بآخرة ، ويبدو في ذلك أن ترقيقها ليس إلا سلبها قَدْرا من صفة تكريرها ، وهو ما يسمى في علم الأصوات بالاستلال أو اللمس (٤) ، وهو نطق الصوت التكرارى بسرعة واختصار لعدد مرات التكرار إلى مرة واحدة . (٥)

وعلى هذا يكون وصف الراء بأنها مفخمة من باب التجوز ، وإلاّ فهي صوت ليس بالمفخم ،

---

(١) دروس في علم أصوات العربية ٧٥ .
(٢) سيبويه ٤/١٣٦ .
(٣) دروس في علم أصوات العربية ٧٤ .
(٤) الأصوات اللغوية (الخولي) ٢١٢ ، ويسمى الصوت استلاليا أو لَمْسِيا .
(٥) المصدر نفسه ٢١٢ .

٢) ترقيق لام لفظ الجلالة وتفخيمها :

لفظ الجلالة " اللّـه " هو اللفظ الوحيد الذى تفخم فيه اللام بشكل مطرد ، أو بعبارة أخرى الأصل فيه أن تكون لامه مفخمة ، وسبب تفخيمه التعظيم .(١)

وهو إذا تلا كسرة سواء أكانت كسرة إعراب أم كسرة بناء ، فإن لامه ترقق . قال مكي بن أبي طالب : " تقول : بِالله أثق ، وفي الله عوض ، ولا سم الله حلاوة ، فترقق اللام للكسرة التي قبلها ".(٢)

وترقيق اللام هو الأصل في غير هذا ، ولذا يكون التناسب في تفخيمها إن جاورت حرفا مطبقا ، أما هنا فالتناسب في الترقيق ، ولتعود اللام الى أصلها " الفونيمي " ، بتأثير من الكسرة السابقة عليها .

---

(١) الكشف ٢ / ٢١٨ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٢١٩ .

الفصل الثالث

طلب الخفة في ظواهر صوتية متفرقة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : أ- ثقل الابتداء بالساكن

ب- ثقل التقاء الساكنين

المبحث الثاني : الإسكان وحذف الحركة

المبحث الثالث : ثقل الهمزة المفردة

المبحث الرابع : حسن تأليف الكلمة

(الفصــل الثالــث)

المبحـث الأول :

ثقل الابتداء بالساكن ، وثقل التقاء الساكنين

القســـم الأول :

(ثقــل الابتداء بالساكن)

كثير من اللغات تجيز أنظمتها اللغوية الابتداء بالساكن ، وقد أدرك القدماء هذه الحقيقة اللغوية ، وأشار إليها منهم أبو علي الفارسي ، الذى نقل عنه ابن جني أنه كان لا يستوحش من الابتداء بالساكن في كلام العجم (١) ، يقــول ابن جني : " ورأيت أبا علي ـ رحمه الله ـ كغير المستوحش من الابتــــداء بالساكن في كلام العجم ، ولعمرى أنه لم يصرح بإجازته " (٢).

وينقل ابن جنى عن أبي علي تعليله لظاهرة الابتداء بالساكن في لغــة العجم فيقول " .. وإنما خفى حال هذا في اللغة العجمية لما فيهـــا مـــن الزمزمة (٣) ، يريد أنها لما كثر ذلك فيها ضعفت حركاتها وخفيت (٤) ، ثم يعقـــب " وأما أنا فأسمعهم كثيرا إذا أرادوا المفتاح قالوا : " كْليــد " ، فإن لم تبلـــغ

---

(١) الخصائص ١/٩١ .

(٢) المصدر نفسه ١/٩١ .

(٣) في اللسان (زمم) : الزمزمة : كلام المجوس عند أكلهم ، وفي حديث عمر رضي الله عنه : كتب الى أحد عماله في أمر المجوس : " وانْهَهُم عن الزمزمة "

(٤) الخصائص ١/٩١ .

الكاف أن تكون ساكنة ، فإن حركتها جِدُّ مُضْعَفَة ، حتى أنها ليخفى حالها عليّ فلا أدري أفتحة هي أم كسرة ، وقد تأملت ذلك طويلا فلم أحـل منه بطائل (١) .

وإذا كان ابن جني يقف موقف الشاك من الابتداء بالساكن في هـذه اللغة الأعجمية ـ الفارسية ـ ، فإن المحدثين يؤكدون أن أنظمة لغات أخرى تجيز الابتداء بالساكن ، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : " فالإنجليزية مثلا تنطق الكلمة مبدوءة بصوامت دون حركة تفصل بينها مثل "Street" ، ففيهـا السين والتاء (St) تعقبهما الراء المتحركة بحركة (ee) وهذا التكوين البنيوي للكلمة لا يمكن أن يأتي في العربية " (٢) .

ـ تحديد موطن الثقل وتحليله :

إن موطن الثقل هو الابتداء بالساكن ـ أعني الصامت غـير المتبوع بحركة ـ ويذهب الدكتور تمام حسان (٣) إلى أن النظام اللغوي يسمح بالابتداء بالساكن ، ولكن الاستعمال السياقـي يكره توالـي الأمثال ، المثلان هنا هما الصمت والسكون (٤) .

إذن فعلة ثقل الابتداء بالساكن ، إنما كانت كراهة توالـي الأمثال ، فهو من قبيل ما عالجناه في الفصل الأول، وكان حقه أن يتناول هناك ـ غير أن اختصاص اللغة العربية به ، واختلاف نوعي المثلـين هنا ـ جعلنا نفرده في هذا الفصل .

---

(١) الخصائص ١/٩١ ، قال السيوطي : " لا يبتدأ بساكن ، وهو محال في كل لغة ، أما في الألف فبالإجماع ، وأما في غيرها فكذلك نص عليه ابن جني ، وأبو البقاء العكبري " همع الهوامع ٦/٢٢٢ .

(٢) في علم اللغة العام (شاهين) ١٠٩ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ٢٧٧ .

واختلاف نوعي المثلين هنا مرده إلى أن أحدهما ، وهو الصمت عنصر غير لغوى ، بل غير أصواتي ، وإذا كنا نلجأ إليه هنا ، فإنما هو من باب ما لا يتم الواجب إلّا به .

وقد اتسم الذوق العربي وهو ذوق استعمالي بكراهة هذا التوالي ، أو قل هذا الابتداء بالساكن . حتى أنه ليصعب على ناطق العربية الفصحي أن يبدأ كلامه بمقطع لا يكون أول صامت فيه متلواً بحركة ، وهو الأمر الذى يجيزه النظام الصوتي العربي كما سبقت الاشارة اليه .

ولا أريد أن يفهم من قولنا "أن اللغة لا تجيز الابتداء بالساكن ، إنها تجيز الابتداء بالحركة ، لأن ذلك أيضا ليس في النظام الصوتي العربي ، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : "لا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية بحركة شأن الكلمة الانجليزية "Important" .[١]

ولقد ذهب الدكتور تمام حسان إلى مثل ذلك ، غير أنه كان يشير إلى وجود مقطع صوتي من نوع (ح ص) في اللغة العربية ، ويصفه بأنه مقطع تشكيلي تجريدى غير متحقق في النطق بالضرورة ،[٢] يقول الدكتور تمام معللا عدم التحقق : "لأن الأصوات لا تعترف بأن تبتدئ المجموعة الكلامية بحركة ، ولذلك تعمد إلى همزة تنشئها قبل هذه الحركة ، وتتخذها قنطرة للنطق بها ، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع"[٣] ، فالدكتور تمام يوافق أن المتحقق الفعلي في الكلام يخلو من المقطع (ح ص) ، وهو ما حاول الذهاب إليه في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها حين اعتبر هذا النوع متكونا من (ص) فقط[٤] ، وهو

---

(١) في علم اللغة العام ١٠٩ ، وانظر مناهج البحث في اللغة ١٧٧ .
(٢) مناهج البحث في اللغة ١٧٣ .
(٣) المصدر نفسه ١٧٧ .
(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٦٩ ، وانظر دراسات في علم أصوات =

الأمر الذى يدعو إليه دائما من أن النظام اللغوى يجيز الابتداء بالساكن ، ولكن الاستعمال يكره ذلك .[1]

- طرق التخلص من ثقل الابتداء بالساكن :

للتخلص من ثقل الابتداء بالساكن طريقان :

أحدهما : زيادة همزة الوصل :

وهي همزة متحركة تسبق الصامت الساكن ليتوصل إلى النطق به ، ولا يكون ذلك إلا في أول المجموعة الكلامية أو بعبارة أكثر وضوحا في أول الكلمة التي يبتدأ بها الكلام لا في أول الكلمة مطلقا ، لأنها إذا كان قبلها كلام[2] حذفت الهمزة واعتمد على حركة آخر مقطع من الكلمة السابقة .

واختلف في همزة الوصل على رأيين هما :

(أ) أن أصلها الألف : وهو قول ذكره ابن عقيل والسيوطي[3] ، ولم ينسباه إلى أحد من النحاة ، ويبدو أنه رأى جمهور النحاة ، والخليل وسيبويه بوجه خاص ، لأنهما كانا يسميانها ألفا ، يقول

- العربية (داود عبده) ١٢٧ ، ودراسة الصوت اللغوى ٢٥٦ ، وظاهرة التنوين في اللغة العربية ٣٢ ، وكلهم يرون أن همزة الوصل تكون في مقطع من نوع (ص ح ص) .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٧ .

(٢) سيبويه ٤/١٤٦ .

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ٢/٦١٣ ، وهمع الهوامع ٦/٢٢٤ .

الخليل : " والألف التي في اسْحَنْكَكَ ، واقْشَعَرَّ .... ليست من أصل البناء ، وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عمادا ، وسلما للسان إلى حرف البناء " .(١)

وأما سيبويه فنص على تسميتها " الألف الموصولة "(٢) ، والذى يؤكد ما ذهبنا إليه أنهما كانا يعدان الألف والهمزة صوتين ضمن الأصوات العربية ،(٣) ووافقهما الأخفش الأوسط في تسميتها ألفا .(٤)

٢) أنها همزة : وينسب هذا الرأى لابن جنى(٥) ، وهذا هو الرأى الراجح إذ به يتحقق إمكان أداء الساكن بعدها .

ويبدو أن هذا الخلاف خلاف تسمية ، ويرجح هذا ما قاله المالقي محاولا التوفيق بين الرأيين ، إذ قال : " واختلف فيها – أى همزة الوصل – هل يقال لها همزة أو ألف ؟ فبعضهم يسميها ألفا مراعاة لأصلها من السكون الذى هو مد صوت ، وبعضهم يسميها همزة مراعاة للنطق بها وهو الأبين ، ولكلا الوجهين نظر ، والأحسن أن تسمى بما هي عليه في النطق ، لأن ذلك هو معنى الهمزة " .(٦)

كما اختلف في كيفية وضعها على رأيين هما :

---

(١) العين/١ ٥٤ .
(٢) سيبويه ٤/١٤٤ .
(٣) العين ٦٤ ، وسيبويه ٤/٤٣١ .
(٤) معاني القرآن ١/٤ .
(٥) المساعد على تسهيل الفوائد ٢/٦١٣ ، وهمع الهوامع ٦/٢٢٤ ، وسر الصناعة ١/١١٢ .
(٦) رصف المباني في حروف المعاني ١٢٩ .

١) إنها اجتلبت ساكنة : وهو رأي أبي علي الفارسي[1] وابن جني[2] وغيرهما من البصريين[3] ، وعلة ذلك على ما ذهب اليه أبو علي الشلوبين : "أن أصل الحروف السكون"[4] ويوافقهم الكوفيون[5] في أنها اجتلبت ساكنة ، ولكنهم يجعلون حركتها حركة إتباع ، على عكس ما ذهب اليه أبو علي الفارسي من أن كسرها لالتقاء الساكنين[6] .

٢) إنها اجتلبت متحركة ، لأن سبب الإتيان بها إنما هو التوصل إلى الابتداء بالساكن ، فوجب كونها متحركة كسائر الحروف المبدوء بها[7] .

وأما ما كان الخلاف في أصلها ، فإن الأرجح والأسهل أن يقال : إنها اجتلبت متحركة ، حتى يصح أن تبدأ الكلمات العربية في النظام والاستعمال على السواء بمقطع مكون من(ص ح)، ينضم إليه الصامت الساكن المبدوء به فيصبح (ص ح ص) .

- مواضع زيادة همزة الوصل :

أولا : في الأسماء : تزاد في أسماء معلومة عدتها عشرة على ما ذكر سيبويه وابن جني[8] ، وهذه الأسماء هي : "ابن ، وابنة

---

(١) همع الهوامع ٦ / ٢٢٤ .
(٢) المنصف ١ / ٥٣ ، وهمع الهوامع ٦ / ٢٢٤ .
(٣) همع الهوامع ٦ / ٢٢٤ .
(٤) المصدر نفسه ٦ / ٢٢٤ .
(٥) المصدر نفسه ٦ / ٢٢٤ .
(٦) المصدر نفسه ٦ / ٢٢٤ .
(٧) المصدر نفسه ٦ / ٢٢٤ .
(٨) سيبويه ٤ / ١٤٨ ، ١٤٩ ، وسر الصناعة ١ / ١١٥ .

واثنان واثنتان ، وامرؤ وامرأة ، وابْنُـــم واسم ، واست ، وايمن".

ثانيا : في الحـــروف : وتزاد للتوصل لنطق الحرف الساكن في موضعين هما " لام التعريف (١) ، وام التعريف " (٢) .

ثالثا : في الأفعـــال :

قال السيوطي : " تزاد في الأفعال الماضية الخماسيـــة والسداسية كانطلق ، واستخرج ، وفي الأمر منها كانطلـــق ، واستخرج ، وفي مصادرها كالانطلاق والاستخراج ، وفي فعل الأمر الثلاثي : كاضْرِب ، واعْلَم ، واخْرُج " . (٣)

حركة همـــزة الوصـــل :

قدمنا أن همزة الوصل لا بد وأن تكون متحركة ، وقدمنا الخلاف فـــي حركتها وذكرنا أن الكوفيين يرون أن حركتها حركة إتباع ، ولكن أبا علي الفارسي يرى أن حركتها الكسر لالتقاء الساكنين ، غير أن حركة همزة الوصل عند الجمهور تكون على النحو التالي :

(١) الأصل في حركتها الكسر (٤) إن كانت في الأسماء والأفعال إلا أن يكون ثالث الفعل مضموما ضمة أصلية فتضم إتباعا له . (٥)

---

(١) سيبويه ٤ / ١٤٧ .

(٢) في لهجة من يبدلون لام التعريف ميما وتسمى هذه اللهجة الطمطمانية وعليها قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ليس من امبر امصيام في امسفر " انظر رصف المباني ١٨٠ ، واللهجات العربية في التراث ١ / ٣٩٨ .

(٣) همع الهوامع ٦ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ / ٦١٥ .

(٥) المصدر نفسه ٢ / ٦١٥ ، وانظر ما قدمناه في مبحث التناسب الحركـــي ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

٢) تفتح مع ال التعريف ، ولفظ " ايمن " القسمي .(١)

الآخر : الاعتماد على حركة المقطع الأخير في الكلمة السابقة :

ولا يكون ذلك الا في وسط الكلام ، يقول سيبويه : " واعلم أن هذه الألفات إذا كان قبلها كلام حذفت ، لأن الكلام قد جاء قبله ما يستغني به عن الألف ، وذلك قولك : يا زيدُ اضْرِب عمرا ، ويا زيدُ اُقْتُل . واستخرج ، وإنّ ذلك احْرَ نْجَم ، وكذلك جميع ما كانت ألفه موصوله ".(٢)

هذا إن كان ما قبلها متحركا وهو غير همزة الاستفهام ، فإن كان ما قبلها همزة الاستفهام لم تحذف ، ويعلل سيبويه ذلك بأمن اللبس فيقول : " لأنّها - أي همزة الوصل في لام التعريف - لما كانت في الابتداء مفتوحة كرهوا أن يحذفوها فيكون لفظ الاستفهام والخبر واحدا ، فأرادوا أن يفصِلوا ويبيِّنُوا ".(٣) ويجوز في إحدى الهمزتين حينئذ التسهيل أو الإبدال(٤) ألفا ، كما في قوله تعالى " قُلْ ءآلذَّكرين " (الأنعام ١٤٤) . ونحوها ..

إلا أنني أزعم أن حذفها جائز ، ويفرق حينئذ بين الاستفهام والخبر بقرينة التنغيم ، إذ هي تختلف في الخبر عنها في الاستفهام .

وإن كان ما قبل الساكن ساكنا أيضا حرك بحركة التقاء الساكنين فتقول في " اضْرِبْ الْولد " اضْرِبِ الولد " ، وتحذف همزة الوصل ".(٥)

---

(١) سيبويه ٣ / ٥٠٣ ، وفيه خلاف حول همزة " أيمن " أهي قطع أم وصل ؟
(٢) المصدر نفسه ٤ / ١٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ٤ / ١٤٨ ، وانظر ٤ / ١٥٠ .
(٤) المساعد على تسهيل القواعد ٢ / ٦١٥ .
(٥) سيبويه ٤ / ١٥٢ .

وفي هذه المواقع تمتزج الكلمات المتتابعة ، وتبعا لذلك تنضم المقاطع الصوتية بعضها مع بعض وتصبح الكلمتان والثلاثة سلسلة مقاطع متتابعة ، وهنا يتدخل النبر ليعين فواصل الكلمات ، فقد ذكر الدكتور تمام حسان أن المقطع الذي تسقط فيه همزة الوصل لا يقبل النبر أبدا(١) ، ولعل ذلك ما دعاه إلى ذكر المقطع (ح ص) ضمن المقاطع العربية .

القسم الثاني :

(ثقل التقاء الساكنين)

والتقاء الساكنين كالابتداء بالساكن في أن اللغة العربية تمنعه ، وتجيزه كثير من اللغات الأخرى ، فقد ذكر ابن جني أن الفارسية تجيز التقاء الساكنين ، والثلاثة ، ويقول في ذلك : " ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيء وإن كان في لغة العجم ، فإن طريق الحِسّ موضع تتلاقى عليه طباع البشر ، ويتحاكم إليه الأسود والأحمر ، وذلك قولهم : "آرد " للدقيق ، و" ماست " للّبن ، فيجمعون بين ثلاثة سواكن ، إلا أنني لم أر ذلك إلاّ فيما كان ساكنه الأول ألفا "(٢) .

كما ذكر الدكتور تمام حسان أنه توجد في الانجليزية مجموعات صوتية تتوالى فيها السواكن من مثل : " five sixths " قال : " ووجدت من الصعب على معظم العرب في بريطانيا أن ينطقوا هذه الكلمة ، أو حتى أسهل منها ، وهي كلمة " clothes " أي ملابس ، لأنها تنتهي بتاء ساكنة متلوة

---

(١) مناهج البحث في اللغة ١٧٧ .

(٢) الخصائص ١/ ٩٠ .

بسين ساكنة أيضا ، فكان من شأن العربي أن يحشر بين هذين الساكنين حركة ليتمكن من النطق بالكلمة ". (١)

ويقول الدكتور عبد الصبور شاهين : "إنه يأتي داخل الكلمـــة ـ الانجليزية ـ ثلاثة صوامت بل أربعة مثل : "abstraction, construction" وقد تعود اللسان الإنجليزى أن ينطق بها دون صعوبة ". (٢)

ـ وظيفـــة الحركـــات :

تمثل الحركات في اللغة العربية دورا مزدوجا ، فهي تقـــوم بدور الوصل بين الأصوات الصامتة ، في الوقت الذى تكون فيـــه دوال في بنية الكلمة ، أو دوال إعرابية في آخرها ، وقد فطن القدماء إلى هذا الدور الذى تؤديه الحركات في العربية ، فقد نقل سيبويه عـــن الخليل زعمه : "أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذى لا زيادة فيه ، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ". (٣)

وقد أخذ قطرب قول الخليل هذا وزاد فيه ليبلغ به حـــدّ الحركات الإعرابية ، وأنها إنما دخلت الكلام للوصل أو تخفيفا علـــى اللسان (٤) ، وقد نقل الزجاجي مذهب قطرب فقال : "قال قطـــرب : " وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه الســـكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقـــف

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) في علم اللغة العام ١٠٩ .
(٣) سيبويه ٤/ ٢٤١ ، ٢٤٢ .
(٤) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ١٥٦ .

والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ، ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون ، وتذهب المهلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان " . [١] وأيد الدكتور ابراهيم أنيس مذهب قطرب ، وبالغ في تأييده حتى قَصَر مجيء الحركة الإعرابية على التخلص من التقاء الساكنين ، وانتهى في حديث طويل له أسماه " قصة الاعراب " [٢] إلى أن حركات أواخر الكلمات لم تكن تفيد تلك المعاني التي أشار اليها النحاة من الفاعلية والمفعولية ونحو ذلك ، وإنما هي حركات دعا إليها نظام المقاطع وتواليها في الكلام الموصول. [٣]

ويبدو لي أن الحركات تقوم بدورها المزدوج الذى أشرنا اليه آنفا ، والذى يكون أحد طرفي ازدواجه الوصل بين الأصوات الصامتة في إطار الكلمة الواحدة ، وفي إطار الكلمتين حين تكون الحركة حركة إعراب أو بناء .

والطرف الآخر كونها دالة على معنى في الصيغة أو الجملة ، ففي الصيغة لا يكون معناها أكثر من الفرق بين الأبنية المختلفة ، وفي الجملة حين تكون قرينة من جملة القرائن [٤] النحوية اللفظية المتضافرة في السياق .

وإذا كان الأمر بهذه الصورة التي أوضحناها من دور الحركة في العربية فإن السكون له نفس الدور باعتباره قيمة خلافية ، [٥] في مقابل الحركة ، سواء

---

(١) الإيضاح في علل النحو ٧٠ ، ٧١ .
(٢) من أسرار اللغة ١٩٨ .
(٣) المصدر نفسه ٢٦٨ .
(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٥ .
(٥) المصدر نفسه ٢٩٥ .

أكان ذلك في البنية أم في الجملة ، أو كما يقول الدكتور تمام : "إن النظـــام اللغوى في صوره المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية يقرر السكون علامة على وظائف لا تُؤدى إلاّ به ". (١)

وقد يقع في السياق ما لا يقع في النظام من توالي الساكنين ، ســـواء أكانا في كلمة أو كلمتين ، وعلى ذلك حاولت اللغة التخلص من تواليهمـا في مواضع وسمحت به في مواضع سيأتي الحديث عنها فيما يلي :

— تحديـد موطن الثقـل وتحليلـه :

يتمثل ثقل التقاء الساكنين في التواليات الآتية :

١) توالي صامتين غير متحركين في وسط الكلمة ، أو في آخرها في حال الدرج ، أو أن يجتمع في المقطع صامتان (ص ص) غير متحركين ، وعلى ذلك فإن المقطع الطويل المزدوج الاقفال (٢) (ص ح ص ص) لا يوجد في اللغة العربية الفصحى إلاّ فـــي حال الوقف (٣). كما في كلمة "عبد" موقوفا عليها .

٢) توالي حركة طويلة (ح ح) وصامت غير متحرك ، أو أن تجتمع في المقطع حركة طويلة يليها الصامت غير المتحرك ، ولا يوجـد مثل هذا المقطع في اللغة العربية الفصحى إلاّ في حال الوقف أو أن يكون الصامت الذى يلي الحركة الطويلة مُدْغما ، ومثاله

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٦ .
(٢) مناهج البحث في اللغة ١٧٣ .
(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٦٩ .

كلمة " الضَالِّين " ، فما بعد أداة التعريف مكون من مقطعين هـــــا ص ح ح ص (ضَالْ) ويلاحظ أن الصامت الذى يلي الحركة مدغـــم ، والمقطع الثاني ص ح ح ص (لِينْ) في حال الوقف . والساكن الأول في هذا التوالي حركة طويلة ، وقد سبقت الإشارة (١) إلى أن أصوات المد تعد سواكن بإزاء موقعيات أخرى مثل قال وقل ، وأنها تُعَدُّ سواكن في العروض الشعرية .

وبالنظر إلى أنواع المقاطع في العربية نلحظ أن كل صامت لا بد أن يكون متبوعا بحركة ، فإن لم يكن متبوعا بالحركة فإن ذلك الصامـــت ينتمي إلى المقطع السابق (٢) ليكون معه مقطعا من نوع " ص ح ص " .

ويوضع هذا المقطع (ص ح ص) بإزاء المقطع " ص ح ح " ، نجد تقابلا بين الحركة القصيرة والصامت ، وهذا يعني أن الساكن الأول في مثل هذا التوالي ليس إلاّ الحركة القصيرة .

٣) توالي ثلاثة سواكن ، الأول منها حركة طويلة (ح ح) والآخـــران صامتان غير متحركين ، ولا يوجد مثل هذا التوالي في العربية إلاّ فـــي آخر الكلمة موقوفا عليها ، ويكون المقطع الذى توجد فيه من نـــــوع : (ص ح ح ص ص) وتمثله كلمة : " سَـارّ " (٣) موقوفا عليها .

٤) أن تجتمع حركتان طويلتان (ح ح ح ح) ، ومثاله الأفعال المعتلـــة الآخر المنقلبة واواتها أو ياءاتها ألفات " في حال إسنادها إلى ألـــف

---

(١) انظر ص ٤٥ ، ٤٦ من الفصل الأول .
(٢) انظر التشكيل الصوتي في اللغة العربية " فونولوجيا العربية " ١١٩ .
(٣) المصدر نفسه ١٣٣ .

الاثنين في نحو " رَمَيَا ودَعَوَا " ، حيث تجتمع عند الإسناد ألفـــان ، وحينئذ ترد المنقلبة إلى أصلها الواوى أو اليائي هربا من لقاء الألفين ، ولا يمكن الحذف هنا حتى لا يلتبس الاثنان بالواحد . (١)

وقد صنف الدكتور تمام حسان هذه الظاهرة ضمن كراهة توالي المثلين ، وجعل المثلين هما الساكنين ، غير أن المثلية فيهما تختلف عما كنا نعالجه في الفصل الأول ، إذ الصوتان الساكنان هنا وإن تماثلا في سكونهما فإنهما قد لا يتماثلان أو يتقاربان من الناحية الأصواتيـة لا في المخرج ، ولا الصفـة ، ويصدق ما ذهبت إليه إذا نظرنا إلـى الموطنين الثاني والثالث حيث الساكن الأول حرف مد ، ولا يجمعه مع الساكن الثاني إلا أنه صوت كما أن هذا صوت .

ويشرح ابن يعيش ثقل التقاء الساكنين بدقة أكثر حين يقـول : " واعلم أن التقاء الساكنين لا يجوز بل هو غير ممكن ، وذلك من قبل أن الحرف الساكن كالموقوف عليه ، وما بعده كالمبدوء به ، ومحال الابتداء بساكن فلذلك امتنع التقاؤهما (في الدرج) " . (٢)

- طرق التخلص من ثقل التقاء الساكنين :

يتخلص من ثقل التقاء الساكنين بأحد طريقين هما :

الأول : تحريك الساكن الأول :

ولا يكون ذلك إلا حين يكون الساكن الأول صامتـا ، ويحرك بحركة عارضة ، ليست حركة إعرابية ، ولا حركة بناء ، إلا أن يكون

---

(١) شرح المفصل ٩/١٢٣ .
(٢) شرح المفصل ٩/١٢٠ ، وعبارة (في الدرج) من كلام الزمخشري .

فعلا مضعفا مسندا لتاء الفاعل نحو " رَدَدْتُ " ، أو مجزوما في لغة الحجاز [1] نحو (لم يَرْدُدْ) ونحوها .

والحركة العارضة التي يحرك بها الساكن الأول إما الكسرة وهي الأصل ، أو الضمة ، أو الفتحة ، وسنستعرض كلا منها بإيجاز فيما يلي :

(١) التحريك بالكسر :

وهو الأصل نحو " اضْرِبِ ابْنَك ، واكْرِمِ الرجل " ، ويعلل المبرد اختيار الكسرة حركة للساكن الأول بقوله " إنه إذا كان الساكن الذى تحركه في الفعل كسرته ، لأنك لو فتحته لالتبس بالفعل المنصوب ، ولو ضممته لالتبس بالفعل المرفوع ، فإذا كسرته علم أنه عارض في الفعل ، لأن الكسر ليس من إعرابه .

وإن كان الساكن الذى تحركه في اسم كسرته ، لأنك لو فتحته لالتبس بالمنصوب غير المنصرف ، وإن ضممته التبس بالمرفوع غير المنصرف ، فكسرته لئلا يلتبس بالمخفوض ، إذ كان المخفوض المعرب يلحقه التنوين لا محالة ، فلذلك كان الكسر اللازم لالتقاء الساكنين " . [2]

ويحرك بالكسر الفعل والاسم والحرف [3] نحو قولك " اضْرِبِ الْوَلَدَ ، ومَنِ الرَّجُلُ ، وقَدِ انْطَلَق " . ويدخل في التحريك بالكسر حملا على الصامت ، تحريك الياء بالكسر إذا كانت غير مسبوقة بحركة من جنسها ، في نحو " اخْشَيِ الرَّجُلَ " فتتحول

---

(١) شرح المفصل ٩ / ١٢٨ ، وسيبويه ٣ / ٥٣٠ .
(٢) المقتضب ٣ / ١٧٤ .
(٣) شرح المفصل ٩ / ١٢٠ .

من حركة طويلة هي ياء المخاطبة ، إلى نصف صامت بنفس المعنى .

٢) **التحريك بالضم :**

ويعدل عن الكسر إليه للمناسبة الصوتية حيث تتبع حركة الساكن الأول ضمة مجاورة لها في السياق ، وذلك نحو قوله تعالى : " قَالَتُ اخْرُجْ " (يوسف ٣١)(١) ، وقوله تعالى : " قُلُ انْظُرُوا " (يونس ١٠١)(٢) .

كما يحرك أول الساكنين بالضم ، إذا كان واوا مفتوحا ما قبلها ،(٣) وذلك قوله تعالى : " ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُم " (البقرة ٢٣٧) " واخْشَوُا اللّهَ "، وتصبح الواو هنا " نصف صامت " .

٣) **التحريك بالفتح :**

ويفتح الأول من الساكنين إذا كان نون " مِنْ " الجارة الداخلة على اسم معرف بأل وذلك قولك " مِنَ اللّهِ ، ومِنَ الرَّسُولِ . . " لكثرة هذا الحرف في الكلام ، وخفة الفتحة .(٤) وقد يؤتى بالموضعين الأخيرين محركين بالكسر ، ودون عدول إلى : الأخف ، فيقال : " اخْشَوِا اللّهَ "(٥) ، وقالتِ اُخْرُجْ ، ومِنِ الرَّجُلِ " .(٦)

---

(١) قرأ الجمهور بضم الساكن الأول فيما كان مثل هذه الآية إلا حمزة وعاصما وأبا عمرو ، الكشف ١/٢٧٤ .

(٢) قرأ أبو عمرو بضم اللام من " قل " والواو " أو " ، وباقي مذهبه الكسر لأول الساكنين ، الكشف ١/٢٧٤ .

(٣) سيبويه ٤/١٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ٤/١٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ٤/١٥٥ .

(٦) المصدر نفسه ٤/١٥٤ .

الثاني : حـذف السـاكن الأول :

ويحذف الساكن الأول إذا كان صائتا طويلا ، سواء أكان ألفا أو ياء أو واوا على التفصيل التالي :

١) حـذف الألـف :

وهي تحذف إذ لا سبيل إلى تحريكها ، ومواطنها الـتي تحذف منها هي :

أ) ألف الفعل الأجوف في حال جزمه نحو " لَمْ يَخَـفْ "، أو في حال الأمر منه نحو " قُلْ وبِعْ " أو عند إسـناد ماضيه إلى ضمير رفع متحرك مثل " قُلْتُ وبِعْتُ " .

ب) ألف المعتل الآخر عند تأنيثه مثل : رَمَتْ ، وسَعَتْ ، ودَعَتْ .

جـ) ألف التأنيث ، أو الإلحاق ، في الوصل ومثالـه : " هذهِ حُبْلَى الرَّجُلِ ، ومِعْزَى القَوْمِ " .

د) ألف الاثنين ، وألف التثنية ، نحو قولك : " غَـزَوا القوم ، غلاما الرَّجُل " على الأرجح . (١)

٢) حـذف اليـاء :

أ) ياء الفعل الأجوف المضارع المجزوم نحو " لَمْ يَبِعْ " ، وفي الأمر منه نحو " بِعْ ، وسِرْ " .

---

(١) المساعد على تسهيل الفوائد ٣٣٧/٣ .

ب) ياء الفعل المعتل الآخر المضارع في الوصل نحـــو "يَرْمِي الرَّجل ، ويَقْضِي الدَّينَ" .

جـ) ياء المخاطبة سند إليها فعل صحيح الآخر نحـــو قولك: اضْرِبِي ابْنَكِ ، "ولَمْ تَضْرِبِي ابْنَكِ" .

د) ياء المنقوص : في مثل : قَاضِي البَلْدَة ، ومَرَرْتُ بِقَاضٍ إذا كان الساكن الثاني التنوين .

٣) حـذف الـــواو :

أ) واو الفعل الأجوف المضارع المجزوم ، نحو : "لَمْ يَقُمْ ولَمْ يَقُلْ" .

ب) واو الفعل المعتل الآخر المضارع في الوصل ، نحو : "يَغْزُو الْجَيْشَ ويَدْعُو اللّهَ" .

جـ) واو الجماعة سند إليها فعل صحيح الآخر : نحـو: "اضْرِبُوا الوَلَدَ ، ولَمْ يَضْرِبُوا الآنَ" . (١)

وبعد هذه المواضع التي تحذف فيها الحركات فإن طريقا آخر للتخلص من التقائهما يتدخل حين لا يمكن التحريك أو الحذف ، ويختص هذا الطريق للتخلص من التقاء ألفين لا سبيل إلى حذف أحداهما فـــي مثل : "رَمَيَا وغَزَوَا" ، قال ابن يعيش : "نقلبوا لئلا يلتبس الا ثنـــان بالواحد ، فكان احتمال ثقل رَدِّهما إلى الأصل أسهل من اللبـــس" (٢) وكذلك تثنية المؤنث المختوم بألف مقصورة كحُبْلَى وحُبْلَيَان ، وذفـــريات

---

(١) انظر مواضع الحذف القياسي في التقاء الساكنين في شرح المفصـــل ١٢٢/٩ ، ١٢٣ .

(٢) شرح المفصل ١٢٣/٩ .

فقلبوا الالتقاء الساكنين ، إذ لو حذفوا فقالوا " حُبْلانٍ وذِفْرَانٍ " لا لتبس بما ليس للتأنيث " .(١)

ـ اغتفار التقاء الساكنين :

يغتفر التقاء الساكنين على ما نصّ عليه النحاة (٢) في موضعين :

أولهما : في الوقف : ويصح التقاؤهما فيه سواء أكانا صامتين ، أم كان الأول منهما صائتا ، وذلك نحو قولك " بَكْر " و " عَبْد " أو ضَالّين ويَعْلَمُون ومُسْلِمُون . . موقوفا عليها .

الثاني : أن يكون الساكن الأول صائتا ، والثاني صامتا مدغما ، نحو قولك " دَابَّة وصَاخَّة ، وحَاقَّة " ونحوها . ويضاف إلى هذين الموضعين كل موضع يؤدي فيه الحذف للالتباس بموضع آخر ، وقد أشار ابن يعيش إلى أن ألف التثنية والاثنين في حال الاضافة إذا حذفتا أدى ذلك إلى اللبس بالمفرد . (٣) ولربما كان من نفس الباب اغتفار التقاء الساكنين إذا كان الأول منهما ألف " نا " الفاعلين في مثل " قمنا الآن " لو حذفت الألف لا لتبست " نا " الفاعلين بنون النسوة وقد يكون الواقي من اللبس في مثل الأمر المسند إلى ياء المخاطبة النبر فقد ذكر الدكتور تمام حسان (٤) أن الفرق بين الجملتين :

اذْكُرِ اللّهَ و اذْكُرِى اللّهَ

---

(١) شرح المفصل ٩/١٢٣ ، بتصرف يسير .

(٢) المصدر نفسه ٩/١٢٠ ، والمساعد على تسهيل الفوائد ٣/٣٢٤ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢١٠ ، وفيه مواضع أخرى تؤول بلطف الحيلة إلى هذين الموضعين المشهورين .

(٣) شرح المفصل ٩/١٢٣ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٨ .

هو أن النبر في الأولى يكون على مقطع همزة الوصل (ص ح ص) ، وفي الثانية وصلا يكون على المقطع القصير " كَ " يقول الدكتور تمام : " فيكون النبر هنا ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدليل على المحذوف في نحو " تَسْعَون " حيث تدل الفتحة على ألف " سَعَىٰ " المحذوفة " . (١)

وقد كان القراء يروون عن أبي عمرو أنه كان يقرأ بالتقاء الساكنين الصحيحين في مثل قوله تعالى " شَهْر رَّمَضَان " (البقرة ١٨٥) ، وقوله تعالى " مِنْ بَعْد ذّلك " (البقرة ٥٢) إذا أدغم ، وقراءته هذه عند النحاة (٢) على الاختلاس والإخفاء على إذهاب الحركة بالكلية . (٣)

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٨ .

(٢) سيبويه ٤/٤٣٨ ، وشرح المفصل ١٠/١٢٣ ، والحجة في علل القراءات السبع ١/١٣٣ .

(٣) انظر ما سبق في مبحث الادغام ص : ٤٨ ، ٤٩ .

المبحث الثاني :

(الإسكان وحذف الحركة)

قدمت في آخر الحديث عن وظيفة الحركات أن السكون يعد مقابلا خلافيًا لها ، ويكون علامة على وظائف لا تؤدى إلا به .

غير أنها قد تكون ذات وظيفة أدائية صرفة ، في مقابل وظيفة الحركة التي أشار إليها الخليل (١) وقطرب (٢) ، من أنهما للوصل بين الأصوات الصامتة .

وقد أشار اللغويون قدماء ومحدثون إلى ذلك ، وذكر سيبويه (٣) أنه لا تتوالى أربعة أحرف متحركة إلا ويكون فيها ساكن محذوف ومثل بكلمة "عُلَبِط" . (٤)

ويوافقه المبرد حين يقول : "واعلم أنه لا يكون اسم على أربعة أحرف كلها متحركة إلا وأصله في الكلام غير ذلك فيحذف ، وذلك قولهم : عُلَبِط ونحوه ، وإنما أصله عُلَابِط ، وكذلك هُدَبِد إنما أصله هُدَابِد ، وكذلك جميع بابه" . (٥)

إن عدم توالي الأربعة المتحركة يعني أن اللغة تميل إلى توالي المقاطع الساكنة ، وهذا ما أشار إليه المحدثون ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : "إن اللغة العربية تميل عادة في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة ، وهي التي تنتهي بصوت ساكن ، ويقل فيها توالي المقاطع المتحركة ، خصوصا حين تشتمل على أصوات لين قصيرة" . (٦)

---

(١) سيبويه ٤/٢٤١ ، ٢٤٢ .
(٢) الإيضاح في علل النحو ٧٠ .
(٣) سيبويه ٤/٢٨٩ .
(٤) المصدر نفسه ٤/٢٨٩ .
(٥) المقتضب ١/٦٧ .
(٦) الأصوات اللغوية (أنيس) ١٦٢ .

ويؤكد الدكتور أحمد مختار عمر ما ذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس حيث ذكر أنه بتحليل أوزان اللغة العربية وجد أن أكثر المقاطع وقوعا في هذه الأوزان المقطع المتوسط المقفل " ص ح ص " . (١)

فهذا إذن من قبيل كراهة توالي الأمثال ، غير أن الذى يفرق بينه وبين الأمثال المتوالية التي تناولناها في الفصل الأول شيئان .

أولهما : أن كراهة التوالي هنا تنصب على الحركات لا على الأصوات الصامتة .

والآخر : أنه ينظر اليها في كمّية صوتية أكبر ، تتجاوز الصوت المفرد (الفونيم) إلى المقطع على اختلاف كمياته .

وإن كان الإسكان يرتبط مع الإدغام من وجه هو سكون أول المدغمين ، مما يؤدى إلى تقليل عدد المقاطع ، وهو مما يبنى عليه سيبويه حكما في حسن الإدغام ، فهو يحسن كلما توالت خمس متحركات . (٢)

وإذا كنا بملاحظة مواضع الإسكان فيما روى لا نستطيع أن نحدد موطنا للثقل؛ لاختلاف موضع الحركة المخففة بين الحركة الإعرابية وبين حركة البنية إلا أننا نلمس الخفة فيما آلت الكلمة بعد الإسكان حيث السكون أخف من الحركة على ما قال النحاة . (٣) كما يؤدى إسكان المتحرك إلى تقليل المقاطع ، وقفلها ، " وقفل المقطع الذى يؤدى إلى اختصار الجهد في الوقت نفسه يؤدى إلى اختصار الزمن في نطق الكلمة " . (٤)

وبالنظر إلى مواضع الإسكان في المتحرك فإنه يمكن تقسيمها إلى قسمين كبيرين :

---

(١) دراسة الصوت اللغوى ٢٦١ .
(٢) سيبويه ٤ /٤٣٧ .
(٣) الأشباه والنظائر ٢ /٢٣ .
(٤) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢٢٠ .

القسم الأول : اسكان عين الكلمة ويتفرع عنه :

١) حركة تلي مثلها في مقطع سابق ، ويتفرع عنه بحسب عدد الحركات :

أ) توالي الضمتين . مثل : رُسُل ، عُنُق .

ب) توالي الكسرتين . مثل : إِبِل ، وإِطِل ، وهو بناء نادر .

جـ) توالي الفتحتين . مثل : طَلَل . والفعل الماضي من باب(نَصَرَ وفَتَحَ وضَرَبَ) .

٢) حركة تخالف حركة المقطع السابق ويتفرع عنه بحسب عدد الحركات واختلافها :

أ) توالي الكسرة والفتحة . مثل : عِنَب .

ب) توالي الفتحة والكسرة . مثل : كَبِد ، وفَخِذ في الأسماء ، وعَلِم وضَجِر في الأفعال .

جـ) توالي الضمة والكسرة . مثل : دُئِل ، وهو بناء نادر في الأسماء والصفات ، ويكون عليه الفعل المبني للمجهول مثل : عُصِر .

د) توالي الفتحة والضمة . مثل : رَجُل ، وعَضُد في الأسماء ، وكَرُم في الأفعال .

هـ) توالي الضمة والفتحة . مثل : رُبَع ، وخُزَز .

ولا تتوالى الكسرة والضمة في بناء لازم (١) ، ويلاحظ على هذا القسم (٢) ما يلي :

---

(١) المنصف ١/٢٠ .

(٢) أمثلة هذا القسم من المنصف ١/١٨ وما بعدها ، وسيبويه ٤/١١٣ وما بعدها .

١) أن الإسكان فيه غالبا يكون لحركة العين حتى فيما زاد عن ثلاثة أحرف في مثل "انطُلْق" و"مُنتَفْخٌ". (١)

٢) أن قسما منه وهو ما توالت فيه الفتحتان، أو كانت الحركة الثانية فيه الفتحة مما لم تشع فيه ظاهرة الإسكان لخفة الفتحة كما يذهب إلى ذلك سيبويه (٢) وغيره من النحاة (٣)، وحُمل ما خفف من المفتوح بإسكان عينه في الشعر على الضرورة، وفي غيره على الشذوذ يقول ابن جني معقبا على قول الشاعر : (٤)

وإنْ أَهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجْرَ بَازِلٌ ... مِنَ الأَدْمِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وغَارِبُه

"فإنما أراد به الشاعر "ضَجِر ودَبِرَتْ"، ولكنه أسكن الحرف استثقالا للكسرة، وعلى هذا كَرْمَ الرَّجُل" يريدون "كَرُمَ" وقالوا "لَقَضْوَ الرَّجُل" يريدون "لَقَضُوَ الرَّجُل" فأسكنوا المضموم كما أسكنوا المكسور، ولم يجئ من هذا شيء في المفتوح لخفة الفتحة ألا ترى أن من قال "فَخْذ ورَجْل" يريد "فَخِذاً ورَجُلاً"، لم يقل في "جَمَلٍ جَمْلٌ" لخفة الفتحة". (٥)

ثم نقل عن سيبويه : "أنَّهم يستغنون بالشيء عن الشيء حتى يكون المستغنى عنه مسقطا لا سيما إذا دلّت عليه دلالة وهي تسكينهم عين الفعل، وهذا التسكين لم نره في المفتوح البتّة". (٦)

---

(١) سيبويه ٤/١١٥ .
(٢) سيبويه ٤/١١٥، يقول سيبويه : "وليس شيء أكثر في كلامهم من فَعَل ألا ترى أن الذى يُخَفِّف عَضُدا وكَبِدا لا يُخَفِّف جَمَلا" ٤/٣٧ .
(٣) المنصف ١/٢٢ .
(٤) المنصف ١/٢١ .
(٥) المنصف ١/٢١ .
(٦) المصدر نفسه ١/٢٢، وانظر المقتضب ١/٢٠١ .

٣) أن منه ما يرجع إلى كراهة التنافر بين الحركات ، وخاصة إذا سبقت الحركة الأخف الحركة الأثقل ، ويكون ذلك في التواليات :

أ) الفتحة والكسرة .

ب) الفتحة والضمة .

وعلى هذا لا يقتصر إسكان العين في مثل : كَبِدٍ وفَخِذٍ ، ومثل : رَجُلٍ وعَضُدٍ على خفة السكون أو الاقتصاد في الجهد العضلي الناتج عن قلة المقاطع تبعا لإسكان عين الكلمة .

يقول سيبويه معللا الإسكان في مثل " فَخِذٍ وكَبِدٍ ، وعَضُدٍ ورَجُلٍ : " وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور ، والمفتوح أخف عليهم ، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل "(١) ، ويقاس عليه " المفتوح والمضموم " الذى لم يصرح سيبويه بكراهة الانتقال فيه .

٤) إن الاسكان في الفعل سواء أكان مبنيا للمعلوم ، أو مبنيا للمجهول من قبيل الضرورة الشعرية ، ذلك أن شواهده التي وردت في كتب النحو كانت في سياق شعرى من مثل قول أبي النجم :(٢)

لَو عُصْرَ مِنْهُ البَانُ والمِسْكُ انْعَصَر

وقول الآخر :(٣)

عَجِبْتُ لمولودٍ ولَيْسَ لَهُ أَبٌ ... وذِى وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوانِ

---

(١) سيبويه ٤/١١٤ .
(٢) المصدر نفسه ٤/١١٤ .
(٣) المصدر نفسه ٤/١١٥ .

وقول الأخطل (١) التغلبي :

وَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرْ كَما ضَجْرَ بَازِلٌ ... مِنَ الأَدْمِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وَغَارِبُه

وأما قول الأخطل التغلبي : (٢)

إِذَا غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا ... وإن شِهْدَ أَجْدَى فَضْلُهُ وَجَدَاوِلُه

فاستشهد به سيبويه على الإسكان في الفعل الذى أُتْبِعَت حركةُ فائه حركةَ عينه لحلقيتها ، وجعل من هذا الباب الأفعال لِعْبَ وبِئْسَ ونِعْم ، قال معللا : "لأن الأصل عندهم أن يكون الثاني متحركا ، وغَيَّرَ الثاني أولَ الحرف". (٣)

والذى يلاحظ على هذا الإسكان الذى أشار إليه سيبويه في "شِهْد" أنه مرحلة ثالثة من مراحل تطور الثلاثي الحلقي العين نحو الأيسر فقد مَرَّتْ الأفعال من نحو "شَهِدَ ، لَعِبَ" والأسماء من نحو : "فَخِذٍ وضَحِكٍ" والصفات من نحو "وَخِمٍ ، لَهِمٍ" بمرحلتين تسبقان مرحلة الإسكان ، هاتان المرحلتان هما :

أولا : المرحلة الأصل : بفتح الفاء وكسر العين كـ : فَخِذ ولَعِب ووَخِم .

ثانيا : مرحلة الإتباع : حيث تتبع الفاء حركة العين ، لأن العين حرف حلقي فيقال : فِخِذ،ولِعِب ، ووِخِم بكسرتين ، وهذا هو المقصود بقول سيبويه غَيَّرَ الثاني أولَ الحرفين" . (٤)

ثم أسكنت هذه الأفعال والأسماء والصفات كراهة توالي الكسرتين : يقول

---

(١) المنصف ١/ ٢١ ، ونسبة البيت للأخطل من كلام للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في هامش الإنصاف ١/ ١٢٣ .

(٢) سيبويه ٤/ ١١٦ .

(٣) المصدر نفسه ٤/ ١١٦ ، وضبطت كلمة "أول" بضم اللام ، وعلق المحقق عليها بقوله "أى أن يكون ثانيه وأوله متحركين" ، والصواب ضبطها بالفتح مفعولا لغَيَّرَ ، حتى يستقيم في باب الإتباع ، وستجد تفسيرا لها فيما يلي هذا النص من هذا المبحث .

(٤) المصدر نفسه ٤/ ١١٦ .

سيبويه : " إن فَعِلا " إذا كان ثانيه من الحروف الستة فإن فيه أربع لغات : مطرد فيه : فَعِلٌ ، وفِعِلٌ ، وفَعْلٌ ، وفِعْلٌ ، إذا كان فِعْلا أو اسما أو صفة فهو سواء" [١]

أما اللغة الرابعة التي ذكرها سيبويه وهي " فَعْلٌ " متطورة مباشرة من الأصل فأُسْكِنَتْ العين كراهة توالي الفتحة والكسرة ، وهو خروج من خفيف الى ثقيل ، قياسا على الخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه أي من الكسرة الى الضمة.

ولم يرد من الأفعال ساكنة العين في النثر إلا هما " نِعْم وبِئْس" وهما لهما وضعهما الخاص لجمودهما أولا ، وللخلاف [٢] في فِعْلِيَّتِهِما ، فـلا يصح الاستشهاد بهما على إسكان الأفعال لغير ضرورة الشعر .

ومما يؤكد ما ذهبت اليه قول الدكتور عبد الصبور شاهين : " أما تسكين عين الفعل فبيد وأنه قد ظلّ حبيسا في إطاره اللهجي دون أن يشيع في اللغة الفصحى ، ربما لأن تقاليدها تأباه ، ولذا لم نجد من يقرأ بتسكين الفعل حتى في القراءات الشاذة " [٣] ، ثم أضاف بعد أن سرد عددا من الشواهد الشعرية قائلا : " وقد يكون التسكين في هذه الأفعال ناشئا عن ضرورة الشعر ، وهـو مانرجحه ، فلا تصلح شاهدا " . [٤]

٥) أن الثلاثي الذى تتابع فيه الضمتان أو الكسرتان هو الذى يسكن كراهة توالـي المثلين بعد أن يخرج بناء " فُعِـل " وهو بناء نادر في الأسماء فلم يجيء منـه إلا " دُئِل " . [٥]

فأما ذو الكسرتين وهو نادر في الأسماء بالأصالة ،فلم يذكر منه سيبويه

---

(١) سيبويه ٤/١٠٧ ، ١٠٨ ، وانظر المنصف ١/١٩ ، والمحتسب ١/٣٥٦ .

(٢) اختلف في " نعم وبئس " فذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان ، وذهـب البصريون إلى أنهما فعلان ، ويعدهما الدكتور تمام حسان خالفتين ـ انظر الإنصاف ١/١٢٣ ، واللغة العربية معناها ومبناها ١١٥ .

(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٣٣٠ .

(٤) المصدر نفسه ٣٣١ .

(٥) المنصف ١/٢٠ ، وسيبويه ٤/١١٤ .

إلاّ "إبِل "(١) ، واستدرك عليه "إِطِل وبِلِص" . (٢)

فأما ما توالت فيه كسرتان فيعد مما اتبعت فاؤه حركة عينه تقول في "فَخِذ ونَغِر : فَخْذِ و نَغْرِ" بالإسكان كراهة توالي الكسرتين .

والذى يؤكد صحة ما ذهبت إليه من أن مرحلة الإسكان فيهما تأتي بعد مرحلة الإتباع أن كلا اللهجتين تنسبان لتميم ، (٣) كما ينسب إليها أيضا الإتباع في صيغة فَعِيل الحلقي العين . (٤)

وأما توالي الضمتين في بناء "فُعُل كعُنُق وطُنُب .. ونحوهما ، فمما أسكن تخفيفا من توالي الضمتين ، لأن إحداهما مستثقلة يقول سيبويه : "وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخففون أيضا ، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين ، وإنما الضمتان من الواوين ، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان ، لأن الضمة من الواو . وذلك قولك: الرُّسْل ، والطُّنْب ، والعُنْق تريد الرُّسُلَ ، والطُّنُبَ ، والعُنُقَ " (٥) وقد قُرِئ بذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: (٦) "عُرُبًا أَتْرَابًا " (الواقعة ٣٧) ، وقوله تعالى (٧) " خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ " (المنافقون ٤) .

القســم الثانــي : إسكان لام الكلمة وهو موضع حركة البناء والإعراب ، ويتفرع عنه :

١) الإسكان اللازم للأفعال عند إسنادها .

٢) الإسكان غير اللازم .

---

(١) سيبويه ٤/١١٥ .
(٢) همع الهوامع ٦/١٠ .
(٣) سيبويه ٤/١٠٨ ، ١١٣ .
(٤) المصدر نفسه ٤/١٠٨ .
(٥) المصدر نفسه ٤/١١٤ .
(٦) السبعة ٦٢٢ ، حيث قرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي بضمتين ، وحمزة بضمة واحدة ، واختلف رواة الباقين بين الضم والإسكان .
(٧) السبعة ٣٣٦ ، حيث قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بضمة واحدة ، وقرأ الباقون بضمتين .

فأما الأول : فقد أُسْكنت لام الفعل المسند إلى ضمير الرفع المتحرك الدال على المفرد أو المثنى أو الجمع ، سواء أكان للمذكر أم للمؤنث عدا ضمير جماعة المفعولين المتكلمين ، وذلك قولك :

ضَرَبْتِ ، وضَرَبْتُما ، وضَرَبْتُم ، وضَرَبْنَ ، وضَرَبْنَا ، وضَرَبْتُن .

وعلة الإسكان عند الأكثر كما يقول السيوطي : كراهة توالي أربع حركات،[1] ونقل عن ابن مالك[2] أنها للفرق بين الفاعل والمفعول في الفعل المسند إلى الضمير " نا " نحو أَكْرَمْنَا ، وأَكْرَمَنَا ، ثم طرد الباب على وتيرة واحدة .

وأجدني أميل إلى رأي ابن مالك بأن الإسكان عند الإسناد إنما كان للفرق ، بين "نا" الفاعلين والمفعولين ، وبين تاء الضمير وتاء التأنيث في الوقف ، وحين تلقى تاء التأنيث الساكنة ساكنا مثلها ، كقولك " ضَرَبَتِ الولد " ، فيلتبس لولا الإسكان بضمير المؤنثة المخاطبة ، وكذا نون النسوة مع نون التوكيد الخفيفة إذ لو لم تسكن لالتبس بفعل الواحد المؤكد بالخفيفة ، ولا يكون ذلك مع الثقيلة إذ يلزم الفصل بالألف بين النونات .[3]

ولمزيد من إيضاح هذه المسألة قارن بين القائمتين التاليتين،وانظر موطن الإلباس لولا فرق الإسكان :

الأولى	الثانية	موطن الإلباس
ضَرَبْتُ	ضَرَبَتْ	الوقف
ضَرَبْتَ	ضَرَبَتْ	الوقف

---

(١) همع الهوامع ١/١٩٧ .

(٢) المصدر نفسه ١/١٩٧ .

(٣) سيبويه ٣/٥٢٦ ، وانظر ٥١٩ .

الأولى	الثانية	موطن الإلباس
ضَرَبْتِ	ضَرَبْتْ	الوقف والتقاء الساكنين
ضَرَبْنَا	ضَرَبَنَا	بين الضميرين
اضْرِبْنَ	اضْرِبَنْ	أمر النسوة غير المؤكد ، وأمر المذكر المؤكد بالخفيفة .
اضَرِبْنَ (١)	اضْرِبَنْ	أمر النسوة المؤكد ، وأمر المذكر المؤكد بالخفيفة .
تَضْرِبْنَ	تَضْرِبَنْ	المضارع المسند غير المؤكد في خطاب النسوة ، والمضارع المؤكد بالخفيفة في خطاب المذكر .

وعلى رأى ابن مالك لا يكون الإسكان لكراهة توالي الحركات ، وإنما للفرق ، وما أتى للفرق لا يصلح التخفيف تفسيرا له ، وليس قولي هذا ينقض أن توالي الحركات فيما زاد عن الثلاثة أمر مكروه ، فنحن نلاحظ أن معظم الأبنية المجردة والزائدة في الأفعال والأسماء والصفات ، ساكن الثاني فإن بلغت به الزيادة ستة أحرف أسكن ثانيه ورابعه نحو " اشْتَفْهم " .

وأما الثاني وهو الإسكان غير اللازم ، فأعني به حذف الحركة الإعرابية لغير الضرورة الشعرية من نحو قراءة أبي عمرو بن العلاء "(٢) يَأْمُرْكم " (البقرة ٦٧) ، و "يُشْعِرْكم " (الأنعام ١٠٩) ، بإسكان لا ماتها ، وقد اختلف النحاة والقراء في قراءة أبي عمرو بإسكان الحركة الإعرابية ، فكان النحاة يذهبون إلى أن

---

(١) قال سيبويه : " وإذا أردت الخفيفة في فعل جميع النساء قلت في الوقف والوصل : اضْرِبْنَ زيدا ، ولِيَضْرِبْنَ زيدا ، يكون بمنزلته إذا لم تُرِد الخفيفة " ٤/٥٢٧ ، وسكون الأمر المسند إلى نون النسوة سكون مستصحب إذ الأمر مبني على السكون . انظر همع الهوامع ١/١٩٧ .

(٢) إبراز المعاني ٣٢٤ .

أبا عمرو كان يختلس ولا يسكن سكونا تاما،وعلى هذا سيبويه وابن جني وغيرهم . ومذهب النحاة هذا ذكره القراء عن بعض رواة أبي عمرو .(١)

فالنحاة على هذا يؤيدون وجها قُرِىء به ، لكنهم يرفضون الرواية الأخرى .

وبالرغم من أن النحاة يرون الاختلاس في المضموم والمكسور ، لا في المفتوح بحجة أن الفتحة أخف عليهم(٢) من أختيها ، إلا أن الواضح أن أبا عمرو كان يسكن أواخر الكلمات للإدغام ، حتى لو لم تتوال أربع متحركات أو بعبارة أخرى حتى فيما ليس كالكلمة الواحدة ، ومن ثم يدغم إن توالى مثلان أو متقاربان.(٣) والأمثل في تفسير هذا الإسكان لأواخر الكلمات ما ذهب إليه الدكتور أحمد علم الدين الجندى ، من أن هذا الإسكان سواء أدى إلى الإدغام كما في قوله تعالى "لَنْ نُؤْمِنَ لَّك" (البقرة ٥٥) ، أو كان لتوالي الحركات فيما هو كالكلمة من مثل قوله تعالى : "إلى بَارِئْكُم" (البقرة ٥٤) ، دليل على أن العربية الفصحى كانت تهمل الإعراب أحيانا .(٤)

إن إهمال الحركة الإعرابية فيما يبدو كان قديما جدا ، وليس صفة خاصة باللهجات العربية الحديثة(٥) ، وهذا يقودنا إلى القول بأن إسكان أواخر الكلمات لم يكن المقصود به الإدغام ، أو الميل إلى مقطع ساكن عند توالي الحركات ، وإن كان ذلك يقع عند الإسكان بالضرورة .

وتوجيه قراءة أبي عمرو بالإسكان عموما يحمل على إهمال الحركة الإعرابية في لهجة عربية كان يقرأ أبو عمرو بن العلاء على منوالها .

---

(١) انظر قول النحاة بالاختلاس في سيبويه ٤/ ٢٠٢ ، والخصائص ٢/ ٣٤٠ .
(٢) سيبويه ٤/٢٠٢ .
(٣) السبعة ، (مذهب أبي عمرو في الإدغام) ١١٦ .
(٤) اللهجات العربية في التراث ١/ ٣١٥ .
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣١٥ .

المبحث الثالث :

ثقل الهمزة المفردة

- الوصف الصوتي للهمزة :

يصنف سيبويه الهمزة من أصوات أقصى الحلق(١) مع الهاء والألف وتابعه في هذا المبرد(٢) ، وابن جني(٣) ، وهم بذلك يخالفون الخليل الذى يعد الهمزة صوتا هوائيا ، من مجموعة أصوات العلة مع الألف والواو والياء ، يقول الخليل : " في العربية تسعة وعشرون حرفا ، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج " وأربعة هوائية وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة ".(٤) والمحدثون يجعلون الحنجرة هي مخرج الهمزة فيصفونها أنها صوت حنجرى ، ذهب إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس(٥) والدكتور تمام حسان(٦) وغيرهم(٧) .

ويتفق القدماء والمحدثون على أن الهمزة صوت شديد(٨) (انفجارى) ، غير أنهم يختلفون في وصفها بالجهر أو بالهمس .

---

(١) سيبويه ٤/٤٣٣ .

(٢) المقتضب ١/١٩٢ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٤٦ .

(٤) العين ١/٦٤ .

(٥) الأصوات اللغوية (أنيس) ٨٩ .

(٦) مناهج البحث في اللغة ١٢٥ .

(٧) انظر دراسة الصوت اللغوى ٢٧٣ ، علم اللغة العام (الأصوات)١١٢ ، والأصوات اللغوية (الخولي) ٣٢ .

(٨) انظر من القدماء سيبويه ٤/٤٣٤ ، والمقتضب ١/١٩٤ ، ومن المحدثين الأصوات اللغوية (أنيس) ٩٠ ، ومناهج البحث في اللغة ١٢٥ .

فيذهب القدماء [١] إلى أنها صوت مجهور ، ويختلف المحدثون عنهم ، إذ يذهب الدكتور تمام حسان إلى أنها صوت مهموس [٢] ، ويذهب غيره إلى أنها صوت [٣] لا هو بالمجهور ولا بالمهموس .

وهذا الخلاف بين المحدثين في وصف الهمزة بالهمس أو الجهر ، يجعلني أذهب مذهبا مخالفا لهم موافقا للقدماء ، إذ يحسن بهذا الصوت أن يكون مجهورا ، لأن منطقة الجهر (الوترين الصوتيين) وقع فيهما إعاقة ــ ولو كانت تامة ــ للهواء مما يوفر نظريا صفة الجهر لها . وذلك لا يتنافى قياسا أن مخرج الصوت وصفته كلها في منطقة واحدة كما هو الحال في الأصوات (خ . غ . ق) التي تسمى عند القدماء " مستعلية " وهي مطبقة (مفخمة) تماما كأصوات الإطباق (ط ظ ص ض) غير أن صفة تفخيم الأولى حدثت في مخارجها نفسها ، لأن اللسان يعمل مؤخره لا خراجها ، فتشكلت حجرة الرنين التي يتم بها التفخيم ، ولعل هذا ما جعل القدماء يفرقون بين الإطباق والاستعلاء رغم أنهما صوتيا صفة واحدة إلا أن الإطباق صفة صوتية مصاحبة للصوت في غير مخرجه .

- ثقل الهمزة :

الهمزة هي الصوت العربي الوحيد الذى يستثقل لذاته ، لا لمجاورته الأصوات الأخرى في السياق كما يستثقل المثلان أو المتقاربان

---

(١) انظر سيبويه ٤/٤٣٤ ، وسر الصناعة ١/٦٩ .
(٢) مناهج البحث في اللغة ١٢٥ .
(٣) الأصوات اللغوية (أنيس) ٩٠ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ١١٢ .

أو المتنافـــران .

ويبدو أن ثقل هذا الصوت يرجع إلى مخرجه بالدرجة الأولى ثم صفتـه، وهو ما ارتكز عليه تفسير القدماء لثقلها ، فقد قال ابن يعيش : "اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق ، إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به ، إذ كان إخراجه كالتَّهَوُّع " . (١)

ويقول مكي بن أبي طالب مفسرا تخفيف الهمزة المفردة : "إن الهمـزة على انفرادها (٢) حرف بعيد المخرج جلد صعب على اللافظ به ، بخــــلاف سائر الحروف ، مع ما فيها من الجهر والقوة ، ولذلك استعملت العرب فـــي الهمزة المفردة ما لم تستعمله في غيرها من الحروف ، فقد استعملوا فيهـــــا : التحقيق ، والتخفيف وإلقاء حركتها على ما قبلها وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها في مواضعها ، وذلك كله لاستثقالهم لها ،ولم يستعملوا ذلك في شيء من الحروف غيرها . . " . (٣)

ويقصر الدكتور إبراهيم أنيس ثقل الهمزة على صفة الشدة فيقول : " ولا شك أن انحباس الهواء انحباسا تاما ثم انفراج المزمار فجأة ، عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر ، مما يجعلنا نَعُدُّ الهمزة أشق الأصـــــوات" . (٤)

ورغم أن الدكتور إبراهيم أنيس يذهب إلى أن الأصوات الشديدة أخـفُّ من الأصوات الرخوة ، (٥) إلاّ أنني أفسر كلامه عن ثقل الهمزة بأنه متعلق بمخرجها

---

(١) شرح المفصل ٩ / ١٠٧ ، التكملة لأبي علي الفارسي ٣٤ .

(٢) كان يتحدث عن علل اختلاف القراء في اجتماع همزتين ، فسُئِل : فما بال الهمزة كره فيها التكرير واستثقل ، ولم يكره في سائر الحروف" ؟ فأجاب بما نقلناه أعلاه .

(٣) الكشف ١ / ٧٢ .

(٤) الأصوات اللغوية (أنيس) ٩٠ .

(٥) في اللهجات العربية ٨٩ .

لا بوصفها صوتا شديدا (١) ، وإنما بوصف الهواء ينحبس وراء الوترين الصوتين ، وهما أضعف أعضاء النطق ، وموضع الإجهاد المدرك في عملية الكلام ، وليس أدل على ذلك من إحساس المتكلم بالإجهاد في هذا الموضع إذا أطال في الكلام خطيبا أو محاضرا ، وكل الأصوات اللغوية صوامت وحركات يتدخل في نطقها الوتران الصوتيان إما همسا أو جهرا . وإذا كانت الهمزة بهذا القدر من الثقل فإن اجتماعها مع مثلها يزيد الأمر ثقلا ، ولذلك كان من لغة المحققين تسهيل احدى الهمزتين إذا التقتا في كلمة أو كلمتين ، إذ كان غيرهم يخففها وهي مفردة (٢) ، وقد تناولنا حديث الهمزتين في الحذف والمخالفة والفصل من الفصل الأول ، بوصفهما مثلين يكره تواليهما ، وإنما نتناول هنا الهمزة المفردة فقط .

- التخلص من ثقل الهمزة :

للتخلص من ثقل الهمزة المفردة ثلاث طرق :

الأول : تسهيل الهمزة :

ويكون بجعلها (بين بين) ، ومفهوم البينية عند سيبويه يشرحه ابن جني إذ يقول : " أى بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركتها ، إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف ، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والواو ، إلا أنه ليس لها تَمَكُّن الهمزة المحققة " (٣) .

---

(١) تتحقق صفة الشدة والرخاوة في مخرج الصوت ، إذ ينحبس الهواء كليا أو جزئيا عند مخرج الصوت .

(٢) المقتضب ٣ / ١٥٨ .

(٣) سر صناعة الاعراب ١ / ٤٨ .

ومواضع تسهيل الهمزة بين بين كما ذكرها سيبويه سبعة [١] هي :

١) الهمزة المفتوحة إذا كانت قبلها فتحة ، ومثالها : سَأَلَ .

٢) الهمزة المكسورة إذا كان قبلها فتحة ، ومثالها : يَئِسَ ، وسَئِمَ .

٣) الهمزة المضمومة إذا كان قبلها فتحة ، ومثالها : لَؤُمَ الرَّجُل . [٢]

٤) الهمزة المكسورة وقبلها كسرة ، ومثالها : مِنْ عِنْدِ إِبِلِكَ .

٥) الهمزة المكسورة وقبلها ضمة ، ومثالها : مُرْتَعُ إِبِلِكَ .

٦) الهمزة المضمومة وقبلها ضمة ، ومثالها : هٰذا دِرْهَمُ أُخْتِكَ .

٧) الهمزة المضمومة وقبلها كسرة ، ومثالها : مِنْ عِنْدِ أُمِّكَ .

ويوضح سيبويه علة جعلها " بين بين " فيقول : " فكل همزة تقرب من الحرف الذى حركتها منه ، فإنما جعلت هذه الحروف بين بين ولم تجعل ألفات ولا ياءات ولا واوات ، لأن أصلها الهمز ، فكرهوا أن يخففوا على غير ذلك فتحول عن بابها ، فجعلوها بين بين ليعلموا أن أصلها عندهم الهمز " . [٣]

وهمزة " بين بين " بزنة المتحركة غير أنها تقرب من الساكنة . [٤]

ويتحدث الدكتور إبراهيم أنيس عن همزة (بين بين) فيقول : " أما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفا علميا مؤكدا ، وإذا صح النطق الذى سمعته من أفواه المعاصرين من القراء ، تكون هذه عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام ، تاركة حركة وراءها ، فالذى نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة ، من فتحة أو ضمة أو كسرة ، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتي لين قصيرين ، وهو ما يسميه

---

(١) سيبويه ٣/٥٤١ ، ٥٤٢ .
(٢) هذا المثال من المقتضب ١/١٥٦ .
(٣) سيبويه ٣/٥٤٢ .
(٤) سيبويه ٣/٥٤١ ، ٥٤٢ .

المحدثون " *Hiatus* " ، ويغلب في معظم اللغات أن تؤدى مثل هذه الحالة إلى صوت لين انتقالي ، ينشأ من الحركتين أو صوتي اللين القصيرين"(١)

ويؤكد الدكتور عبد الصبور شاهين مقالة الدكتور أنيس حين يقول : " وقد قمنا في دراستنا للماجستير(٢) ببعض التجارب العملية على جهاز (سبكتروجراف) أثبتنا بها هنالك أن (بين بين) ليس في الواقع سوى حركة ، ونضيف هنا أن " بين بين " يعني في الواقع سقوط الهمزة أساسا ، واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة ، بحيث يتكون لدينا المزدوج بالمعنى الكامل ، وفي هذه الصورة للمزدوج يضعف وجود الانزلاق الذى تنشأ عنه أنصاف الحركات (الواو والياء)"(٣)

ويثير الدكتور عبد الصبور على رأيه هذا في همزة (بين بين) شبهتين هما مع إجابته عليهما كما يلي :

الشبهة الأولى : " أن الانزلاق بين الحركتين في حالة (بين بين) أقل ظهورا منه في حالة القلب الكامل ، في مثل : يُقْرِيك ، حيث نتج عن نطقه المزدوج محققا ياء يُبْرِز الناطق وجودها ، ولكن ذلك يضعنا أمام تساؤل : عما إذا كان النظام المقطعي المألوف في العربية سليما في حالة اعتبار (همزة بين بين) من باب المزدوج ؟

وإيضاحا لهذا التساؤل نذكر ما هو مقرر من أن المقطع في العربية لا بد أن يبدأ بصامت ، على حين نجده في حالة البين بين في مثل " أَأَنْ زُم) يبدأ — بحسب تفسيرنا — بحركة هكذا : (*a/an/zum*) ، ومعنى ذلك اضطراب القاعدة في نظام المقطع العربي .

---

(١) الاصوات اللغوية (أنيس) ٩١ .

(٢) صدرت تحت عنوان " أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء ، غير أنه لا ذكر لهذه التجارب في المطبوع، ولعله عدل عن رأيه في هذه الهمزة . ص ١٦٣ — ١٧٢ .

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥ .

غير أننا إجابة عن هذا نعود إلى ما سبق أن ذكرنا [(١)] من أن الانزلاق بين الحركتين له وجود سياقي (فونولوجي) ، ولكنه عند التحليل يختفي ، والواقع أن المقطع يتحقق وجوده في المستوى السياقي ، ولذا جاز أن يبدأ بأنصاف الحركات (الواو والياء) وهما صوامت ضعيفة ، وإن اختفيا تماما عند التحليل بانفصال عنصرى المزدوج [(٢)] " .

الشبهة الثانية : إن توالي حركتين متماثلتين (فتحتين مثلا)لا يحقق صوره انزلاق ، وبالتالي لا نجد نصف حركة يبدأ بها المقطع ، من الناحية السياقية (الفونولوجية) ؟ ...

وجوابنا على ذلك أن عملية التقسيم المقطعي في هذا المثال تفرض على الناطق ما يشبه الهمزة ، وإن كانت من وجهة نظر النحو ساقطة تماما كما يحدث عند نطق الكلمة الانجليزية (reation) ، برغم خلو اللغة الإنجليزية من أى رمز للهمزة ، وفي اللغة الدنمركية توجد مثل هذه الهمزة كصوت لا كرمز [(٣)] " .

ولي فيما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين رأى أفصله في النقاط التالية :

١) أنه أغفل الحديث عن كون همزة (بين بين) بزنتها محققة كما ذهب إلى ذلك القدماء [(٤)] ومثلوا لها بقول كثير عزة [(٥)] :

أَإِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ ... وَصَاحَ غُرَابُ البَيْنِ أَنْتَ حَزِينُ ؟

بالرغم من أنه ذكر هذا البيت ، وعلى ما ذهب إليه الدكتور لا يصح أن تكون الهمزة المخففة " بين بين " بزنتها محققه .

---

(١) في حديثه عن طبيعة الواو والياء وعلاقتهما بالهمزة في المصدر نفسه ٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ١٠٦ .
(٣) المصدر نفسه ١٠٦ ، وانظر الأصوات اللغوية (أنيس) ٨٩ .
(٤) سر الصناعة ١ / ٤٨ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٤٨ .

٢) رغم موافقتي له في أن التقاء الحركتين ينشأ عنهما الصوت المزدوج إلا أن ذلك يعني أن في العربية ـ لأنها تخفف الهمزة بين بين ـ سبعة أصوات مزدوجة هي :

١ ـ في حال الهمزة المفتوحة التي قبلها فتحة (aa) . وهذا يصبح صائتا طويلا هو الألف إن كان ما ذهب إليه الدكتور من أن الهمزة ساقطة صائتا .

٢ ـ في حال الهمزة المكسورة التي قبلها فتحة ، (ai) .

٣ ـ في حال الهمزة المضمومة التي قبلها فتحة ، (au) .

٤ ـ في حال الهمزة المكسورة التي قبلها كسرة ، (ii) وهذه تعد صائتا كالأولى .

٥ ـ في حال الهمزة المكسورة التي قبلها ضمة ، (ui) .

٦ ـ في حال الهمزة المضمومة وقبلها ضمة ، (uu) وهذه تعد صائتا كالأولى والرابعة .

٧ ـ في حال الهمزة المضمومة وقبلها كسرة ، (iu) .

ويلاحظ أن ثلاثا منها هي صوائت طويلة ، والأربعة يصدق عليها أن تكون مزدوجة ، غير أن اثنتين منها لا توجدان في اللغة العربية ، وهما (ui) ، (iu) إذ يقلب الجزء الثاني منهما ليناسب الأول كما في " مِيزَان " وأصلها مِوْزَان ، و " مِيعَاد " وأصلها مِوْعَاد .

وكما في اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي تقول " مَبِيع " وتكسر ما قبل الياء حتى يناسبها ، وكذلك قلب الياء في " مُوسِر ومُوقِن " واوا ، لسكونها وانضمام ما قبلها .

٣) لم يبق من هذه الأصوات المزدوجة إلا اثنتان هما (ai ، au) وهاتان

الحركتان هما الوحيدتان اللتان توجدان في اللغة العربية [(١)] في نحو: "بَيْتٍ ، وحَوْضٍ" .

٤) يلاحظ على ما سبق من تعقيب على الأصوات المزدوجة المحتملة في العربية أننا كنا نمثل بأمثلة الجزء الثاني من الحركة المزدوجة فيها ليست صائتا قصيرا كما يشير إليه الرمز؛لأن مثل هذه الحركات المركبة (المزدوجة) غير موجودة في العربية إلّا ويكون الثاني منهما صوتا انزلاقيا كامل الانزلاق (شبه صائت) ، وهما صوتان اثنان في العربية "الواو والياء". [(٢)]

٥) إن هذا الصوت الانزلاقي أو شبه الصامت (الواو أو الياء) حين يقعان موقعا كما في الأمثلة "بَيْتٍ وحَوْضٍ" ونحوهما ، يتوزعان فونيميا ومقطعيا [(٣)] على أنهما صوامت ، وهما في هذه الحالة صوامت ساكنة ، وهذا يقودنا إلى مناقشة الدكتور عبد الصبور في قوله : " والواقع أن المقطع يتحقق وجوده في المستوى السياقي ، ولذا جاز أن يبدأ بأنصاف الحركات (الواو والياء) وهما صوامت ضعيفة ، وإن اختفيا تماما في التحليل بانفصال عنصري المزدوج " .

إذ من المعروف أن أنصاف الحركات (أشباه الصوائت) تتوزع فونيميا ومقطعيا توزع الصامت تماما،وحينئذ تعد سواكن في المستويين النظامي والسياقي ، وإن عدت صوتيا مع الحركات صوتا واحدا .

---

(١) الأصوات اللغوية (الخولي) ٩٩ .
(٢) المصدر نفسه ٩٧ .
(٣) المصدر نفسه ٩٧ .

فالكلمات مثل " بَيْتٍ وحَوْضٍ " الياء والواو فيهما فونيمان صامتان وهما يقعان قفلة للمقطع الأول من الكلمتين (ص ح ص) ومعنى ذلك أنه إذا سلمنا أن (بين بين) ليست إلا حركة مزدوجة ــ ولو كان الانزلاق فيها ضعيفا ــ نقر أن الهمزة المخففة ليست بزنة المحققة، لأن ثاني هذه الحركات المزدوجة ليس إلا صامتا في التوزيع فونيميا ومقطعيا .

يقول كانتينو : " إن الحركات المزدوجة من الناحية الصوتية حركات طويلة يتحور جرسها أثناء النطق بها ، وبخلاف ذلك فإنه يبدو أن ليس للحركات المزدوجة في العربية وجود خاص من الناحية الوظائفية فيظهر أنهم يحللونها دائما هكذا : حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف". (١)

٦) يشير الدكتور عبد الصبور إلى أن توالي الحركتين المتماثلتين لا يحقق صورة الانزلاق كما في الفتحتين مثلا ، وبالتالي لا تجد نصف حركة يبدأ بها المقطع من الناحية السياقية (الفونولوجية) ، وأجاب أن عملية التقسيم المقطعي تفرض على الناطق ما يشبه الهمزة ، وإن كانت من وجهة النحو ساقطة .

وهذه النقطة هي أهم ما أخل بتفسير همزة (بين بين) عند الدكتور عبد الصبور شاهين ، وكون الناطق ينطق صوتا يشبه الهمزة فإن ذلك لا يعني عدم وجودها ، لأن السياق لا يحقق إلا الوفونات هي المتحقق الفعلي للفونيمات ، فالنظام الصوتي يقرر أن النون فونيم واحد ، لكنه فونولوجيا يتحقق في صورة ستة عشر ألوفونا بحسب حالته عند الأصوات التي يُخْفَىٰ عندها ، ولعل هذا ما يؤيد مقولة النحاة من

---

(١) دروس في علم أصوات العربية (١٧) ، وقوله : " نصف حركة " يعني شبه صائت وليس حركة قصيرة .

أن المخففة بزنة المحققة ، وكذلك الكاف هي فونيم واحد ، وإن نطقت لهجيا مرة (CH) وأخرى (ts) كما في ظاهرتي الكشكشـــــة والكسكســـة .

٧) إضافة إلى إدراك النحاة القدماء أن الهمزة المخففة بزنتها محققـــة ، فإنهم كانوا يسمعونها همزة ضعيفة (١) ، بدليل أنهم كانوا يصنفونها فـــي الحروف الفروع ، وهي التي نسميها بالاصطلاح المقترض "الوفونـــات" بل إنها عند سيبويه من الفروع المستحسنة (٢) ، وهو ما يتعارض مع ما أتى به الدكتور عبد الصبور شاهين من تفسير ، لأنه يخرجها من أن تكون همزة أو على الأصح ألوفونا لها .

والأمر حينئذ لا يخلو من احتمالات :

أ) أن القدماء لم يحسنوا الوصف لأداء الهمزة المسهلة ، وهـــــو احتمال يدفعه إدراكهم لوزنها ، ولكونها ألوفونا للهمزة المحققة.

ب) أن الدكتور عبد الصبور لم يحسن الوصف هو الآخر ، وهو احتمال يدفعه عنه اعتماده على التجريب المعطي والأجهزة الصوتية ، مما يجعله أدق وصفا من القدماء .

---

(١) سيبويه ٢/٥٤٤

(٢) سيبويه ٤/٤٣٢ ، وسر صناعة الإعراب ١/٤٨ .

الثاني : إبدال الهمزة :

تُغَيَّر الهمزة إلى صائت من جنس حركة ما قبلها ، وذلك حين تكون الهمزة متحركة بالفتح وقبلها كسرة أو ضمة ،أو حين تكون ساكنة ، ولكن ذلك الصائت الذى يقع بدلا منها وهي متحركة يصبح شبه صائت نتيجة تحركه بفتحة الهمزة وإليك مواقعها وأمثلتها كما في سيبويه (١) :

الهمزة المفتوحة :

أ) الهمزة المفتوحة التي قبلها كسرة ، يبدل مكانها ياء ، ومثالها : مِئَر : مِيَر ، ومِنْ غُلامِ أَبِيكَ : مِنْ غُلامِ يَبِيكَ .

ب) الهمزة المفتوحة التي قبلها ضمة ، يبدل مكانها واو ، ومثالها : جُؤَن : جُوَن ، وغُلامُ أَبِيكَ : غُلامُ وَبِيكَ .

ويذكر سيبويه علة المنع في أن تجعل (بين بين) حين يقول :

" وإنما منعك أن تجعل الهمزة ههنا بين بين من قبل أنها مفتوحة ، فلم تستطع أن تنحو بها نحو الألف وقبلها كسرة أو ضمة ، كما أن الألف لا يكون ما قبلها مكسورا ولا مضموما ، فكذلك لم يجيء ما يقرب منها في هذه الحال " . (٢)

الهمزة الساكنة :

أ) إن كان قبلها فتحة ، يبدل مكانها ألف : ومثالها : رَأْس : رَاس ، وقَرَأْتُ قَرَاتُ .

ب) إن كان قبلها ضمة ، يبدل مكانها واو : ومثالها : الجُؤْنَة : الجُوْن ، والمُؤْمِن : المُومِن .

---

(١) سيبويه ٣/٥٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ٣/٥٤٣ .

جـ) إن كان قبلها كسرة ، يبدل مكانها ياء : ومثالها : الذِّئْب : الذِيب ، المِئْره : المِيره .

قال سيبويه : " وإنما منعك أن تجعل هذه السواكن بين بين أنها حروف ميّتة ، وقد بلغت غاية ليس بعدها تَضْعِيفٌ — أي اضعاف — ولا يوصل إلى ذلك ولا تحذف ، لأنه لم يجيء أمر تحذف له السواكن ، فألزموه البدل ، كما ألزموا المفتوح الذى قبله كسرة أو ضمة " . (١)

ويلاحظ أن الهمزة في الحالة الأولى تحولت إلى واو أو ياء متحركين ، وهما بهذا الوصف صامتان وظيفيان ، إذ يظل التقسيم المقطعي لكلمتي " جُوَن ومِيَر " بالهمز والإبدال متكونا فيما قبل المقطع الأخير من المقطعين (ص ح — ص ح) .

لكنهما في الحالة التالية إذا كانت الهمزة ساكنة تتحول مع حركة ما قبلها إلى صائت طويل ، إمّا الألف أو الضمة الطويلة (الواو) ، أو الكسرة الطويلة (الياء) . وهنا يتغير التوزيع المقطعي، إذ تصبح الكلمات رَاس ، ومُومن ، وذِيب ، متكونة فيما قبل المقطع الأخير من مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) بدلا من (ص ح ص) في حال الهمز . ويبدو في هذا التقسيم مقدار الخفة التي يتركها إبدال الهمزة الساكنة .

فبالإضافة إلى إسقاطها ، وهي صوت غير مرغوب فيه في ذاته ، نجد أن العوض عنها كان حركة من جنس الحركة السابقة عليها ، وذلك لا يكلف جهدا عضليا ، إذ الصوائت أخف من الصوامت ابتداء .

الثالث : حذف الهمزة :

تحذف الهمزة إذا كانت متحركة وقبلها حرف ساكن ، وتنقل حركتها على

---

(١) سيبويه ٣/٥٤٤ .

الساكن الذى قبلها ،

وفي ذلك يقول سيبويه : " واعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذى قبلها ، وذلك قولك : مَنَ بُوكَ ، ومَنُ مُّكَ ، وكَمِ بِلُكَ ، إذا أردت أن تخفف الهمزة في الأَبِّ والأُمِّ والإِبِلِ " (١) .

وقد قُرِئ على ذلك قوله تعالى (٢) (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الذى يُخْرِجُ الخَبَ في السَّمٰوات " (النمل ٢٥) . ويعلل سيبويه الحذف في مثل هذا بقوله : " وإنما حذفت الهمزة ههنا لأنك لم ترد أن تتم الصوت ، وأردت إخفاء الصوت ، فلم يكن ليلتقي ساكن وحرف هذه قصته (٣) كما لم يكن ليلتقي ساكنان ، ألا ترى أن الهمزة إذا كانت مبتدأة محققة في كل لغة فلا تبتدئ بحرف قد أوهنته ، لأنه بمنزلة الساكن ، كما لا تبتدئ بساكن ، وذلك قولك : أُمْرُ . فكما لم يجز أن تُبتدأ فكذلك لم يجز أن تكون بعد ساكن ، ولم يبدلوا لأنهم كرهوا أن يدخلوها في نبات الياء والواو اللتين هما لامان . فإنما تحتمل الهمزة أن تكون بين بين في موضع لو كان مكانها ساكن جاز ، إلا الألف وحدها فإنه يجوز ذلك بعدها (٤) ، فجاز ذلك فيها (٥) . ولا تبالي إن كانت الهمزة في موضع الفاء أو العين أو اللام ، فهو بهذه المنزلة إلا في موضع لو كان فيه ساكن جاز (٦) " (٧) .

---

(١) سيبويه ٤/٥٤٥ .

(٢) البحر المحيط ٧/٦٩ .

(٣) قوله : " وحرف هذه قصته " يعني همزة بين بين كما سيأتي في آخر النص .

(٤) قوله : " إلا الألف وحدها فإنه يجوز ذلك بعدها " يعني أن الألف يصح أن تكون أول ساكنين على حَدِّهِ الجائز في العربية .

(٥) قوله (فيها) يعود الضمير على الهمزة .

(٦) قوله " فهو بهذه المنزلة إلا في موضع لو كان فيه ساكن جاز " الضمير هو يعني به الحذف " والمستثنى مواضع تخفيف الهمزة (بين بين) وانظر قبل ذلك قوله : " فإنما تحتمل الهمزة ... الخ) .

(٧) سيبويه ٤/٥٤٦ .

ويلحظ في هذا النص إشارة سيبويه إلى أمن اللبس حين قال : "ولم يبدلوا لأنهم كرهوا أن يدخلوها في بنات الواو والياء اللتين هما لامان" وفحوى كلامه حتى لا يلتبس المهموز اللام بالمعتل اللام لو أبدل من الهمزة واو أو ياء .

كما يلحظ إشارة سيبويه إلى أن الهمزة (بين بين) صوت بين الساكن والمتحرك ، وذلك قوله : " فلا تبتدئ بحرف قد أوهنته ، لأنه بمنزلة الساكن ". وعلى ذلك لم يصح عنده أن يبتدأ به ، ولا أن يلتقي مع ساكن آخر . بالرغم من أنه عنده أيضا بزنته محققا .(١)

ومع ثقل الهمزة المفرط الذى دعا الى تخفيفها بهذا الشكل ، وبهذا العدد من الطرق إلا أن ابن جني يذهب إلى تعدادها ضمن الحروف الخفيفة وهي تلك التي سميت بأحرف الزيادة ،(٢) وأيا ما ذهب إليه فان طرق التخفيف منها قد اعتورتها في كل موضع بالتسهيل والإبدال والحذف إلاّ أن تكون صدرا للكلمة أصلية أو زائدة .

---

(١) سيبويه ٤/ ٥٤١ .
(٢) سر الصناعة ٢/ ٨١١ .

المبحث الرابع :

حسن تأليف الكلمة

كان من نتيجة كراهة توالي الأمثال والمتقاربات ، وكذا كراهة المتنافرات ، أن كان التتابع الصوتي العربي يمتاز بخلوه من عدد من التواليات ويطلق على هذا الخلو بوصفه يعنى التتابع الأمثل أو الشائع للأصوات الصامتة حسن التأليف .(١)

ولو حاولنا رصد مواطن التتابعات حسب احصاءات تتابع أي صوتين في الجذور الثلاثية(٢) لمعجم الصحاح الذى قام به الدكتور علي حلمي موسى سنلاحظ خلوها من التتابعات التالية :

المخارج المتقاربة :

(١) الأصوات الحلقية :

(أ)	(ب)(٣)
ص١ ص٢	ص١ ص٢
ح + ء	ــــــ
خ + ء	ــــــ
ع + ء	ء + ع

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢ / ٨١٤ ، وانظر اللغة العربية معناها ومبناها ٢٦٥ .

(٢) دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ص ٦٧ ، جدول (٩) .

(٣) تشير (أ) إلى تتابع الصوتين ، و(ب) إلى عكس ذلك التتابع ، وفي حالة شيوع العكس سنترك مكانه خاليا من الإشارة ، وقد اعتبرنا ما لم =

(ب)	(أ)
ء + غ	غ + ء
ح + خ	خ + ح
ح + ع	ع + ح
ح + غ	غ + ح
ح + هـ	هـ + ح
———	ع + خ
خ + غ	غ + خ
خ + هـ	هـ + خ
ع + غ	غ + ع
غ + هـ	هـ + غ

ويلاحظ على هذه المجموعة من التتابعات المهملة أن أصواتها الحلقية لا تأتلف مع بعضها ائتلافا شائعا ، وقد أشار ابن جني إلى ذلك ، إذ قال في سر الصناعة (١) : " واعلم أن أقل الحروف تألفا بلا فصل حروف الحلق ، فسبيل هذه الحروف متى اجتمع في كلمة اثنان أن يكون بينهما فصل وذلك نحو : هَدَأْتُ ، وخَبَأْتُ ، وعَبْء ، وخَيْعَل ... " .

وقد بين ابن جني أن تجاور حروف الحلق بلا فصل يكون في

= يرد فيه أكثر من جذرين تتابعا غير شائع .

(١) سر الصناعة ٢ / ٨١٢ .

ثلاثة مواضع هي [1] :

" ١) أن تبتدأ الهمزة ، فيجاورها بعدها واحد من ثلاثة أحرف حلقية هي الهاء والحاء والخاء .

٢) ائتلاف الهاء مع العين ، ولا تكون العين إلا مقدمه .

٣) ائتلاف العين مع الخاء ، ولا تكون الخاء إلا مقدمة ."

وقد مر بنا أن الإدغام ليس أصلا في حروف الحلق ، وقد يكون ذلك مفسرا لعدم تآلفها ، إذ لا سبيل إلى إدغامها .

٢) أصوات مقدم اللسان :

وتشمل الأصوات الأسنانية ، والأسنانية اللثوية (ث / ذ / ظ / ت / ز / ض / ط / س / د / ص) ..

(أ)	(ب)
ص١ ص٢	ص١ ص٢
د + ت	ـــــ
ذ + ت	ت + ذ
ض + ت	ت + ض
ز + ت	ت + ز
ط + ت	ت + ط
ظ + ت	ت + ظ

---

(١) سر الصناعة ٢/ ٨١٢ ، ٨١٣ ، وقارن ذلك بالتتابعات الممتنعة .

ت + ث	———
ذ + ث	ث + ذ
ز + ث	ث + ز
س + ث	ث + س
ص + ث	ث + ص
ظ + ث	ث + ظ
ذ + د	د + ذ
ط + د	د + ط
ظ + د	د + ظ
ز + د	د + ز
ز + ذ	ذ + ز
س + ذ	ذ + س
ص + ذ	ذ + ص
ض + ذ	ذ + ض
ط + ذ	ذ + ط
ظ + ذ	ذ + ظ
س + ز	ز + س
ص + ز	ز + ص
ط + ز	ز + ط
ظ + ز	ز + ظ
ت + س	———

ص + س	س + ص
ض + س	س + ض
ظ + س	س + ظ
ت + ص	———
د + ص	———
ض + ص	ص + ض
ط + ص	ص + ط
ظ + ص	ص + ظ
ث + ض	ض + ث
د + ض	———
ز + ض	ض + ز
ط + ض	ض + ط
ظ + ض	ض + ظ
ظ + ط	ط + ظ

ويلاحظ على أصوات هذه المجموعة إضافة إلى أنها متقاربة المخارج ، أنها تشكل ثنائيات صغرى ، لا يمتاز أحد الثنائيين عن الآخر إلا بصفة واحدة ، بعد ألا يكون المخرج فارقا بين الصوتين الثنائيين . وتلك الثنائيات هي : السين والصاد ، والسين والزاى ، والتاء والدال ، والثاء والذال ، والدال والضاد[١] ، والتاء والطاء[٢]

---

(١) بحسب نطقها المعاصر ، أما كما يصفها سيبويه فلا نظير لها ٤ / ٤٣٦ .

(٢) بحسب نطقها المعاصر ، أما بوصفها القديم فلا تناظر إلا الدال ، سيبويه ٤ / ٤٣٦ .

والذال والظاء ، والطاء والضاد .

ويمكن من خلال ذلك أن نقدم ثلاثة تفاسير لامتناع هذه التتابعات :

الأول : ثقل هذه التتابعات لتقارب مخارجها ، إذ تنحصر في عمل اللسان في اللثة والأسنان ، وهذا يعني أن الأصوات في هذه التتابعات منحصرة بين هاتين المنطقتين من الفم .

الثاني : أن مجموعة من هذه الأصوات لا تأتلف للتضاد الواقع بين أصواتها بين التفخيم والترقيق والجهر والهمس . . . كالتاء والطاء ، والسين والصاد ، والسين والزاى .

وقد يمتد التنافر ليشمل جملة الصفات الصوتية الرئيســـة ، ويقع ذلك مثلا بين التاء والظاء ، فالظاء تمتاز عن التاء بالجهر والرخاوة والتفخيم ، بينما التاء مهموسة شديدة مرققه .

الثالث : أن عددا من الائتلافات بالذات بين الثنائيات الآنفة الذكـــر ، أهمل بسبب الإلباس ، إذ إن تجاور الوحدات الصوتية في السياق يؤدى إلى أن يؤثـر بعضها في بعض ، فأهمل ما يمكن أن يقع فيـــه إلباس بطريق التأثر الصوتي نتيجة الإجهار والإهماس والتفخيـــم والترقيق والتشديد والرخاوة ، بحسب الأصوات المتتابعة ، وخاصة أن هذه الثنائيات كما أشرنا لا تفترق إلا في صفة صوتية واحدة .

ومن باب الإهمال أمنا للبس اهمالهم الصاد والطاء ، لانهم يَفِـرّون إلى هذا التآلف عند اجتماع السين والطاء ، فنحن ننطق الصاد والطاء فـي اصْطَبر ، ومُصَيْطِر ونحوها بدون احساس بالثقل ، فلا يكون إهمالها للثقـــل إذن ، وإنما اطراحا لتآلف يلجأ إليه في سياق آخر .

كما أن ائتلاف هذه التواليات في الموقعين الثاني والثالث من الجذر

يمهد لمرحلة الإدغام لتقارب المخارج ، والإدغام يتحد فيه الصوتان المدغمان ، فيكون حالهما كحال المثلين ، فيلتبس المضعف بغيره من الثلاثي ذي الأصوات المختلفة وإن كانت متقاربة .

قال سيبويه " ومن ذلك وَدٌّ وإنما أصله وَتِدٌ وهي الحجازية ، ولكن بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في فَخِذٍ : فَخْذٍ فأدغموا ، ولم يكن هذا مطردا لما ذكرت من الإلباس " .(١)

ويلاحظ على هذه الأصوات أنها تحتل ذيل القائمة في شيوعها في الجذور الثلاثية(٢) سواء اجتمعت كما في التتابعات السابقة ، أو كانت مع غيرها من الأصوات ، وهذا يفسر عدم ائتلافها بالإضافة إلى التفاسير السابقة .

وقد ذكر ابن جني إهمال هذه التتابعات ، وفسره بالثقل فقال : أما إهمال ما أهمل ، مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصوره ، أو المستعملة ، فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفاه على أثره .

فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه ، نحو سص ، صس ،(٣) وظث ، وثظ ، ... وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه " .(٤)

---

(١) سيبويه ٤٨٢/٤ .

(٢) دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ٥٩ ، إلا أن الصوتين الدال والسين احتلا الموقعين الثامن والعاشر في هذه القائمة الخاصة بشيوع الأصوات ، وقارن هذا الجدول بقائمة الشيوع الواردة في صفحة ١٠٩ ، من نفس المصدر ، ولن تجد اختلافا كبيرا مما يعني صدق الاستقراء الناقص في المسائل اللغوية .

(٣) في الأصل " طس " بطاء بعدها سين ، وصوابه من سر صناعة الإعراب ٨١٨/٢ ، ويؤيده أن تتابع السين والطاء وعكسه تتابع مألوف، راجع دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ٦٧ .

(٤) الخصائص ٥٤/١ .

كما ذَكَر أن " الطاء والدال والتاء لا يتركبن إلّا أن تتقدم الطــاء والتاء على الدال " .[١] وكذلك الظاء والذال والثاء .[٢]

٣) الأصــوات الشـــفويه :

وتشمل الصوتين الشفويين (ب / م) ، والصوت الشفوى الأسناني (ف) .

والممتنع منها التتابعات الآتية :

ب + ف ، ف + ب

م + ف ، ف + م

م + ب ، ———

ويُفَسَّر إهمال هذه التتابعات ما يلي :

أولا : التقارب المخرجي ، وتآلف المتقاربة مستثقل .

ثانيا : يهمل التأليف " م + ب " لأن تأليفا آخر ، وفي موقع سياقي آخر يصير إلى هذا التتابع ، ذلك هو التأليف (ن + ب) فإذا سكنت النون تحولت إلى (م) لمجاورتها الباء فأهملوا (م + ب) لأنهم يَفِرُّون إليه من الأول ، فداعي إهمالـــه إذن هو أمن اللبس بين المبنيين ، يقول سيبويه : " فالميم لا تدغم في الباء ، وذلك أكرم به ، لأنهم يقلبون النون ميمــا في قولهم : العنبر ، ومن بدالك . وقع مع الباء الحرف الذى يَفِرُّون إليه من النون لم يغيّروه ، وجعلوه بمنزلة النون إذ كانا حَرْفَي غُنّة " .[٣]

---

(١) سر الصناعة ٢ / ٨١٨ ، وانظر احصائية جذور الصحاح ٦٧ .

(٢) سر الصناعة ٢ / ٨١٨ .

(٣) سيبويه ٤ / ٤٤٧ ، وانظر المقتضب ١ / ٢٢٠ .

٤) **الأصـــوات اللثويـــة :**

وتشمل الأصوات " ل / ر / ن " ويهمل منها التواليـــان :

(ل + ر ، ن + ل) .

فأما الأول فهو مهمل لثقل المتقاربين،إذ هما من مخـــرج واحد ، وأما الآخر فلعل للإلباس دورا في إهماله،إذ تدغم النون في اللام ، ولذلك يقول سيبويه : " ولا نعلم النون وقعت ساكنة في الكلام قبل راء ولام ، لأنهم إن بينوا ثَقُل عليهم لقرب المخرجين ، كما ثقلت التاء مع الدال في وَتِد ، وعَدّان ، وإن أدغموا التبس بالمضاعف ، ولم يجز فيه ما جاز في وَدّ فيدغم ، لأن هذين حرفان كلّ واحد منهمـــا يدغم في صاحبه ، وصوتهما من الفم ، والنون ليست كذلك لأن فيهـــا غنّة فتلتبس بما ليس فيه الغنة ، إذ كان ذلك الموضع قد تضاعف فيـــه الراء . وذلك أنه ليس في الكلام مثل " قِنْر وعِنْـــل " . (١)

ويرى في نص سيبويه أنه يشير إلى إهمال النون والراء مع سبق الأولى ، ولم تشر احصاءات معجم الصحاح ـ الجذور ـ الثلاثيـــة إلى صدق هذه المقولة،إذ يذكر الاحصاء أن هناك عشرة جذور سبقت النون فيها الراء ، في واحد منها اجتمعتا في الموقعين الأول والثاني والتسعة الباقية اجتمعتا في الموقعين الثاني والثالث من الجـــذر الثلاثـــي .

وبمراجعة التسعة الأخيرة وجد أنه ليس منها ما استعمـــل

---

(١) سيبويه ٤/٤٥٦ .

اعتمادا على أصوله الثلاثية ، بل كانت في معانيها المشهورة مستخدمة بالفصل بين النون والراء .

كما وجد أن منها عددا من الألفاظ المعربة وتلك الألفاظ التسعة وهي : التَّنُّور ، والحَنِيرة ، وأم خَنور ، والدِّينار ، والزَّنانير ، والسَّنور ، والصِّنارة ، والشنار ، والقَنَّور " . (١)

ويبدو اعتماد صاحب الاحصاء على رؤوس المواد الموضوعة كأنها أصول للمادة ، جعله يذكر ذلك التوالي من التواليات الشائعة ، ويصدر حكمه عليه في أول الكتاب ، حيث ذهب إلى أن النون لا يتبعه اللام ، ويجوز أن يسبقه أى حرف في العربية . (٢)

وقد كان ابن جني مدركا للاحتمالات التي ذهب إليها صاحب الاحصاء فقال : " فأما الراء واللام والنون فمتى تقدمت الراء على كل واحدة منهما جاز نحو " وَرَلٍ " و " أُرلٍ " ، و " رَنَّه " و " رَنْدٍ " ، ولو قدمت واحدة منهما على الراء لم يجز لأنها أقوى منهما ، فينبغي إذا تدانى الحرفان أن يبدأ بالأقوى منهما ، فيعتمد عليه ويتلوه الآخر تبعا له ، فأما " الخُلَّر " فاسم أعجمي ، وإنما كلامنا على اللغة العربية ..

وأما قولهم " دَنَّر يُدَنِّر " ورجل مُدَنَّر ومُزَنَّر " فإنما جاز فيه أن تتقدم النون على الراء لأن النون مشددة فقويت بذلك ، فصار لها حكم لولا التشديد

---

(١) الصحاح (تنر ، حنر ، خنر ، دنر ، زنر ، سنر ، صنر ، شنر ، قنر " ، ومعاني الغريبة منها كما يأتي : الحنيرة : عقد الطاق المبني ، وأم خنور : الضبع ، الزنانير : الحصى الصغار ، والسّنور : بفتح السين لباس من قدّ كالدرع ، وبكسرها واحد السنانير والصنارة : رأس المغزل ، والأذن بلغة أهل اليمن ، والشّنار : العيب والعار ، والقنّور : الضخم الرأس .

(٢) دراسة احصائية لمعجم الصحاح ٤٠ .

لم يكن " (١)

ويلاحظ على الراء واللام ندرة ائتلافهما حتى إذا تقدّمت الأقوى منهما ، فلم يرتَمِنْ ذلك إلّا خمسة جذور تقدمت فيها الراء (٢) ، وجذر تقدمت فيه اللام (٣) ، وكانا في الموقعين الثاني ، والثالث من الجذر ، أما في الموقعين الأول والثاني ، فلم تأتلفا ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه من أنهما إذا كانا في موقع متأخر كان أكثر قبولا لاجتماعهما. (٤)

ومعنى ذلك أن الراء واللام لا يأتلفان إلا مع الفصل بصوت ثالث كرَجُلٍ ورَحْلٍ ونحوها مع تقدم الراء ، أما إذا تأخرت الراء مع احتمال الفصل ، فهو تتابع ثلاثي (ل + أى صوت + ر) مهمل (٥) وكأن أحسن ائتلاف لها أن تتقدم الراء .

٥) الأصوات اللهوية والطبقية :

وتشمل اللهوية الثلاثة " خ / غ / ق " ، والطبقي " ك " :
وقد أهملت منها المتواليات التالية : (٦)

ص١ص٢	ص١ + ص٢
خ + ك	ك + خ
غ + ق	ق + غ

---

(١) سر الصناعة ٢ / ٨١٩ .
(٢) (٣) دراسة احصائية لمعجم الصحاح ٦٥ .
(٤) سر الصناعة ٢ / ٨١٩ .
(٥) دراسة احصائية لمعجم الصحاح ٦٩ .
(٦) سبقت الإشارة إلى (غ ، خ) متواليين ضمن الإشارة إلى تواليات الأصوات الحلقية المهملة .

غ + ك	ك + غ
ق + خ	——
ق + ك	ك + ق

ولا تأتلف هذه المجموعة الصوتية مع بعضها أيا كان السابق منها ، ويبدو أن عدم الائتلاف يعود لتقارب المخارج ،إذ هي تخرج من منطقتين تليان المخرج الحلقي مباشرة ، فيجرى عليهما ما يجرى على أصوات الحلق من عدم الائتلاف ، ويؤكد على أن استثقال تتابعها إنما كان للشبه بالأصوات الحلقية ، أن إدغام القاف في الكاف أحسن من العكس ، لأن الأولى أقرب الحلق ، والأقرب إلى الحلق لا يدغم في الأبعد (١) .

٦) الأصوات الشفوية الأسنانية والأسنانية :

وتشمل الأصوات (ف / ث / ذ / ظ)

ولم يهمل منها سوى التوالي (ف + ذ) ، ولعل إهماله يعود لتقارب المخرجين ،إذ الفاءوهي الصوت الشفوى الأسناني تخرج باشتراك الشفة السفلى وأطراف الأسنان العليا في إخراجه ، والذال يخرج اللسان من بين الأسنان السفلى والعليا لأدائها ، غير أن هذا ينقضه أن الفاء ائتلفت مع الثاء والظاء فلم يمتنع تقارب المخرجين هذا الائتلاف ، ولربما كان إهمالها اعتباطا .

---

(١) انظر الفصل الأول ص٧٤ ،٧٥من هذا البحث .

كان هذا حديث المهمل من التتابعات الصوتية في كل منطقة مخرجية (١) ، فشملت جميع المخارج الصوتية المتقاربة التي أهمل فيها شيء مما تحتمله القسمة في الثلاثي .

ويلاحظ أن التواليين " ج + ش ، ش + ج " يأتلفان بشبوع رغم أنهما صوتان غاريان ، ولم يمنع ذلك ائتلافهما ، ولعل ذلك يعود لتفشي الشين واستطالتها حتى اتصلت بغيرها من الأصوات اللثوية والأسنانية والأسنانية اللثوية ، فحسن ائتلافهما لذلك .

ثانيا : المخارج المتباعدة :

( ) الأصوات الحلقية واللهوية ، والأصوات الأسنانية ، والأسنانية اللثوية .

وقد اهملت فيها التتابعات الآتية :

ث + ح	ـــــــ
ث + خ	ـــــــ
ظ + خ	خ + ظ
أ + ن	ـــــــ
أ + ط	ـــــــ

---

(١) اضطررنا للجمع بين المخرجين إذا كان أحدهما لا يُخْرِج إلا صوتا واحدا ، كالمخرج الشفوي الأسناني مع الشفوي ، والطبقي مع اللهوي كما جمعنا الأحرف الحلقية . وعددت معها اللهويين (خ ، غ) مرة ومرة أخرى مع القاف والقاف لاعتبار التوزيع ، وكذلك جمعنا المخرجين الأسناني والأسناني الشفوي لأننا وجدنا أنها تأتلف مع بعضها تآلفا شائعا ، وسيفيد هذا الجمع في دراسة المهمل من المخارج المتباعدة فيما سيلي إن شاء الله .

غ + ظ	ظ + غ
ص + غ	———
هـ + ظ	ظ + هـ
ذ + غ	———
ظ + ح	———
ث + هـ	———
ك + ي	———
ق + ظ	ظ + ق
ض + ق	———
ط + ك	ك + ط
ظ + ك	———
ص + ك	———

ولا يمكن تفسير إهمال هذه التتابعات إلّا على أنها نقلة بين مخرجين متباعدين على ما ذهب إليه السبكي فيما نقله عنه السيوطي من قوله : " وأحسن التراكيب ما تقدمت فيه نقلة الانحدار من غير طَفْرة بأن ينتقل من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى ، أو من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط " . (١)

وقد كان السبكي قد وضع احتمالات انتقال اللسان بين ثلاثة مخارج كبرى هي (الحلق وهو الأعلى ، ووسط الفم ، وأدناه) فكانت عنده في الكلمة

---

(١) المزهر ١/١٩٨ .

الثلاثية اثنا عشر تركيبا هي :(١)

١) الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى ،نحو "ع د ب".

٢) الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو "عرد" .

٣) من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو "ع م هـ" .

٤) من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو "ع ل ن" .

٥) من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو "ب د ع" .

٦) من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط ، نحو "ب ع د" .

٧) من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى ، نحو " ف ع م" .

٨) من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو "ف د م" .

٩) من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى ، نحو "د ع م" .

١٠) من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو "د م ع" .

١١) من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط ،نحو "ن ع ل" .

١٢) من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو "ن م ل" .

فقضية الإهمال هنا إذن عملية انتقال بطفرة ، إما من الحلق واللهاة (الأعلى) إلى اللثة والأسنان (الأدنى) أو عكسه .

غير أن هذا الانتقال ذا الطفرة لم يكن منعكسا سوى التتابعات : "ظ + خ / غ + ظ / هـ + ظ / ق + ظ / ط + ك" .

أما البقية فاتجاه واحد ، فأهملت "ص + غ" ولم يهمل العكس وكذا "ض + ق" لم يهمل عكسه ، وهما من الأدنى إلى الأعلى .

غير أن الملاحظ أن المهملة في هذا الاتجاه "الأدنى إلى الأعلى" كانت أكثر من المهملة في الاتجاه الآخر وهو من الأعلى إلى الأدنى نحو "أ + ذ / ك + ض" .

---

(١) المزهر ١/١٩٧ .

ولعل في هذا ما يؤيد ما ذهب اليه السبكي من " أن أحسن التراكيب وأكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى الى الأوسط الى الأدنى ، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط " ،(١) فقد كان من هذه الأكثر استعمالا اثنان في اتجاه خروج الهواء من الأعلى إلى الأوسط، ومن الأعلى إلى الأدنى .

٢) الأصوات الغاريه ، والأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية :

وقد أهمل من احتمالات التأليف من الأصوات الغارية والأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية التتابعات التالية :

ج + ت	———
ذ + ج	———
ص + ج	ج + ص
ط + ج	ج + ط
ظ + ج	ج + ظ
ث + ش	———
ذ + ش	———
ز + ش	———
س + ش	———
ص + ش	———
ض + ش	ش + غ
ج + ض	———
ظ + ش	———

---

(١) المزهر ١٠/١٩٧ .

فاذا قلنا إن الشين وهي صوت متفشٍ[١] شابهت التاء والثاء والسين وأخواتهن ، لأنها اتصلت بمخرجهن لاستطالتها على ما ذكر سيبويه[٢] ، فإن الضاد كذلك على الوصف القديم ، وهو الوجه الوحيد الذي يُفَسِّر عدم ائتلافها مع الأصوات الغارية ، لأنها أقرب مخرجا ، لكونها تخرج من حافة اللسان وما يليها من الأضراس[٣] ، ولا تكون حافته وما يليها من الأضراس إلا على حافة الغار الأمامية خصوصا وأن الصوت مطبق فتقعر اللسان يجذبه إلى الخلف . هذا تفسير يخص الشين والضاد .

أما التفسير الآخر ، وهو يخص الجيم " وحدها ، إذ لم تأتلف مع تسعة تتابعات ، سبعة منها كان أحد المتوالين فيها صوتا مطبقا ، والإطباق اتجاه اللسان إلى الطبق ، وقبله مباشرة منطقة الغار التي تخرج منها الجيم ، وبخاصة وهي صوت مركب جزء صفة تركبه الأولى الشدة ، فلا بد أن يلمس مقدم اللسان الغار لمسا محكما مع انفراج يعقبه لتكون الجيم كما هي في الفصحى وقراءة القرآن ، فتظل العلاقة بين الصوتين المتواليين المهملين علاقة مخرجية .

يبقى أن نفسر عدم توالي الجيم والتاء ، والذال والجيم ، فأما الأولى (ج + ت) محمولة على التضاد بينهما في الجهر والهمس . وأما الأخرى (د + ج) فلا أجد مبررا صوتيا ، لهما وبخاصة وأن كلا الصوتين مجهور ، فليس لهما إلا أنهما أهملا اعتباطا .

---

(١) سيبويه ٤ / ٤٤٨ .
(٢) المصدر نفسه ٤ / ٤٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ٤ / ٤٣٣ .

٣) الأصوات الغاريه والأصوات اللهوية والطبقية :

وقد أهمل من تواليها التتابعات :

ق + ج	ج + ق
غ + ج	ج + غ
ك + ج	ج + ك

ويقال فيها ما يقال في أصوات الإطباق مع الجيم، إذ القاف والكاف والغين تخرج بارتفاع مؤخر اللسان نحو اللهاة أو الطبق ، والجيم يرتفع مقدم اللسان معها نحو الغار ، واجتماع صوتين منها "ق + ج" مثلا يجعل اللسان يعمل من مؤخره إلى مقدمه ، أو بالعكس ، وهي عملية عضوية بالغة الثقل . هذا على الوصف المعاصر لهذه الأصوات .

أما على الوصف القديم فبيد وأن القاف والكاف كانا الأقرب إلى الجيم ، إذ الغين معدودة في الأصوات الحلقية .

يقول سيبويه : "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ومن أسفل من موضع القاف قليلا وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف" ، (١) وهذا يعني أن علة الإهمال بناء على الوصف القديم . بين القاف والكاف والجيم علة مخرجية ، لتقارب مخارجها .

٤) أصـــوات متفرقـــة :

خلت قائمة تتابع الأصوات من التواليات التالية :

(١) سيبويه ٤/٤٣٣ ، وانظر ليس كلام العرب لابن خالويه ٢٨٤، حيث نقل عدم اجتماع اللام والشين عن الخليل .

" ل + ش / ل + ض / ى + غ / ى + ذ "

فأما اللام مع الشين ، فلأن الشين استطالت حتى اتصلت بمخرج الطاء كما يقول سيبويه (١) ، ولذلك تدغم اللام في الشين ولعل عدم الائتلاف إنما كان لئلا تدغم اللام في الشين إذا سكنت الأولى .

وأما اللام مع الضاد فلقرب مخرجيهما على الوصف القديم لها ، بالإضافة إلى أن اللام تتأثر بأصوات الاطباق فتفخم وتقرب من الضاد ، إذ هما تشتركان في المخرج ، والرخاوة ، كما أنهما مجهورتان ، فلا يبقى فرق إلا أن الضاد مفخمة ، وقد ذكر سيبويه نوعا من الضاد أسماه "الضاد الضعيفة" ، (٢) وهي من المستقبحة في الشعر وقراءة القرآن ، ويبدو أنها ضاد كاللام المفخمة في "الْطَجَع" . (٣)

أما إهمال (ى + غ) و (ى + ذ) فيبدو أنه إهمال اعتباطي ، إذ لا شيء يفسره ، وبخاصة وأن الياء تأتلف مع أخوات الغين ، وكذا مع أخوات الذال .

وبعد فإذا كان تفسير هذه التتابعات إنما يقوم على الثقل من جهة ، وأمن اللبس من جهة أخرى ، فإنه يعني أحد شيئين :

١) أن القول بالخفة والثقل إن فسر كثيرا من الظواهر الصوتية فهو أمر نسبي لا يصح أن يفسر كلّ مُشْكِلٍ صوتي .

٢) أن كثيرا من الظواهر الصوتية تهدف بالدرجة الأولى إلى إيجاد الفرق الصوتي بين الألفاظ والبعد بها عن أن تؤدي إلى الالباس بأي طريق ، وفي

---

(١) سيبويه ٤/٤٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ٤/٤٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ٤/٤٨٣ ، وانظر اللغة العربية معناها ومبناها هامش ص ٢٩٥ .

ذلك يقول سوسير في معرض حديثه عن قوانين التناوب أن : " تلك القوانين ليست سوى نتيجة عرضية من نتائج الظواهر الصوتية المتسببة في وجودها ، وذلك أن الظواهر الصوتية لما كانت تحدث مقابلة صوتية منتظمة بين سلسلتين من الكلمات بينهما مقابلة من حيث القيمة ، فإن الذهن يعمد إلى الفارق المادى المحسوس فيجعله فارقا دلاليا ، ويحمله الفارق الموجود بين المتصورات الذهنية " .(١)

فائدتان لمعرفة المستعمل والمهمل من التأليف الصوتي :

(١) تؤدى معرفة التواليات الصوتية المستعملة والمهملة إلى حصر المهمل واتخاذها طريقا للحكم على عربية الكلمة وعجمتها ، وقد أدرك القدماء مثل هذه التواليات الممتنعة ، وأشار اللغويون إلى عدد منها ، أخذه من أَلَّفَ في الأعجمي وطبقه مقياسا لمعرفة العربي من المعرب ، فكان مما يعرف به المعرب عند الجواليقي .

١ ــ عدم اجتماع الجيم والقاف .

٢ ــ عدم اجتماع الصاد والجيم .

٣ ــ عدم توالي النون والراء .

٤ ــ عدم توالي الدال والزاى .

٥ ــ عدم توالي الباء والسين والتاء .

وزاد السيوطي في المزهر : عدم اجتماع الطاء والجيم (٣) ، وعدم

---

(١) دروس في الألسنية العامة ٢٤٠ بتصرف .
(٢) المعرب من الكلام الأعجمي ٥٩ وما بعدها .
(٣) المزهر ١ / ٢٧١ .

توالي الدال والذال[١] .

ويضاف إلى ذلك كل التواليات التي سقناها ، وفسرنا عدم تواليها فيما سبق إلا الصاد والطاء مع سبق الأولى،فإن كان أصلها السين وفخمت للطاء فهي عربية على الأرجح لأن اجتماع السين والطاء شائع وغير مستثقل . كما حكم على الكلمات الرباعية والخماسية المجردة التي تخلو من حروف الذلاقة[٢] " فر من لب " بأنها أعجمية ، ذلك أنهم لا يجدون كلمة رباعية أو خماسية إلا ويكون واحدا من هذه الأحرف ضمن أصواتها المؤلفة لها عدا قليل من الرباعي نحو " عَسْجَد "[٣] وهو أمر يحكمه إلحاح تأليف الكلمة من المخارج المتباعدة ، ونحن إذا أخذنا مقطعا عرضيا لمخارج الأصوات على الشكل التالي :

هـ ء	ح ع	خ غ ق	ك	ج ش ى	ن ل ر	س ز ص/ ت د ط/ ت ذ ظ/ ض	ب م ف و
حنجرى	حلقي	لهوى	طبقي	غاري	لثوى	أسناني لثوى ، وأسناني	شفوى وشفوى أسناني
(أ)					(ب)	(جـ)	(د)

وجدنا أن أحرف الذلاقة في المجموعة (ب ،د) تتوسطان بقية الأحرف في المجموعتين (أ ، جـ) اللتين تتكونان معا مجموعه (٢١) حرفا تقريبا ، والكلمة الرباعية أو الخماسية حين تأتلف من أحرف المجموعتين (أ ، جـ) ، فإن ذلك يؤدى إلى وجود مخارج متقاربة ، أو ثقلا ناتجا من الاعتماد على كتلتين

---

(١) المزهر ١/ ٢٧٢ .

(٢) العين ١/ ٥٨ ، ٥٩ ، حيث قال : " أما البناء الرباعي المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها " .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٥٩ .

صوتيتين غير متآلفتين ، [١] وهذا يعني لزوم الفصل والاستراواح لمخرج آخر يكون حرفه أحد حروف الذلاقة .

ويمكن أن يعزى سبب وجود واحد من أحرف الذلاقة ضمن الكلمات الرباعية والخماسية ، إلى أن هذه الأصوات من أكثر الأصوات وضوحا سمعيا ، بعد الصوائت ، كما أنها أشيع الأصوات الصامتة في قائمة الشيوع [٢] ، إذ تأتلف مع غيرها بشكل كبير جدا .

٢) اختير هذا الحسن ليكون معيارا نقديا للكلمة الشعرية ، فقد ذهب كثير من البلاغيين إلى وضع حسن الكلمة وتناغم جرسها وخلوها من توالي الأمثال والمتقاربات والمتنافرات معيارا نقديا تنسب إليه فصاحة الكلمة .

فهذا الخطيب القزويني يجعل فصاحة المفرد " خلوصه من تنافر الحروف ومخالفة القياس اللغوى ، فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل وعسر النطق بها ، كما روى أن أعرابيا سئل عن ناقته ، فقال : تركتها ترعى الهُعْخُع " ، ومنها ما هو دون ذلك كلفظ " مُسْتَشْزِر" في قول امرىء القيس :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلا [٣]

واستطال أمر ثقل الحروف المتنافرة حتى تجاوز الكلمة الواحدة إلى الكلمات المتتابعة من مثل قول الشاعر :

وقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ .

---

(١) يلاحظ على المجموعة (أ) عدم ائتلاف أكثر أصواتها ، وهي أصوات الحلق ، وكذا المجموعة (جـ) فإن ائتلافها قليل ، كما أنها في ذاتها قليلة الشيوع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى . انظر دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ص ٥٩ .

(٢) دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ص ٥٩ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ٤ .

وقول الآخر :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي (١)

بل إنه استطال حتى بلغ السامع ، فأصبحت الكلمة لا بد أن تخلص من الكراهة في السمع .

ويؤكد ابن سنان الخفاجي على قضية أن تكون الألفاظ حسنة في السماع فيقول في حديثه عن الفصاحة "فأما الذى يوجد في اللفظة فثمانية أشياء" :

الأول : أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج .. وعلة ذلك في هذا واضحة . وهي أن الحروف التي هي أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة .." (٢)

الثاني : عنده كالأول أو قريب منه .

وبقية الثمانية ليست مما يهمنا هنا .

ولست أريد الافاضة في هذا الجانب فجزء منه عظيم مما قاله اللغويون وجعله البلاغيون معيارا لفصاحة الكلمة الشعرية .

---

(١) الإيضاح في علم البلاغة ٤ .
(٢) سر الفصاحة ٦٤ .

الخاتمة

(الخاتمـــــة)

وبعد هذه الفصول الثلاثة ، آن لنا أن نرصد النتائج التي أثمرت في هذا البحث ، ويتصدر هذه النتائج ، النتائج الصوتية العامة وهي :

أولا : التفريق بين الاقتصاد اللغـــوى والاقتصاد في الجهد العضلي ، وموازاة طلب الخفة بالثاني ، وعرض ذلك في دراسات القدمـــاء والمحدثين ، والإشارة إلى أن النحاة العرب القدماء أدركوا مفهوم الاقتصاد اللغوى بعمومه وإن لم يكونوا يفرقون بين الاقتصاد فـــي الجهد (Economy of effort) والاقتصاد اللغـــوى (Linguistic economy) وبالذات ابن جني الذى كـــان مدركا لهذا المفهوم إدراكا كبيرا ، غير أن جهد القدماء كان مبعثرا ومقفاةً به كثير من المسائل اللغوية باعتبارهم يتناولون المسألـــة بالتعليل والتخريج ، ومن ثم لم يخرج التخفيف عندهم عن كونه علة من العلل النحوية التي يرفضها نقاد النحو قدماء ومحدثين .

ثانيا : تحديد طلب الخفة وأنه لا يصلح أن يكون تفسيرا إلا للمتغـــير الصوتي في الاستعمال .

ثالثا : التأكيد على نسبية الثقل والخفة وأنهما أمران مدركان في التأليـف الصوتي ، غير أنهما ليسا التفسير الأوحد للمتغير الصوتي التاريخي والتركيبي (السياقي) .

رابعا : ربط مسألة الخفة باللبس ، وانتفاؤها ، ووجودها مع وجوده وعدمه .

خامسا : ذهبت إلى أن الادغام لا يعد تماثلا صوتيا حملا على الغرض منـــه وبالتالي يستوى في اللغة العربية من حيث الشيوع التماثل الرجعي والتقدمي .

النتائج الصوتية الخاصة :

١) ذهبت إلى أن إدغام الميم في الباء لا يوفر جهدا عضليا ،إذ نطقهما يتم بحركة عضوية واحدة من الشفتين غلقا وانفراجا ، ولذلك يشـترط القراء في إخفاء الميم عند الباء الانفراج اليسير في الشفتين حـــتى لا يتم إخراج الميم بتمامها وإنما يقتصر على غنتها .

٢) رجحت رأى الفراء في أن النون تخفي عند الباء ولا تقلب وإنما سمي إقلابا حملا على السماع لا الأداء ، وأنه لا مناص من نطق النـــون الساكنة ميما قبل الباء .

٣) خالفت سيبويه في الاتباع في المبني للمجهول نحو " اُسْتُضْعِف " فقد ذهب إلى أن الإتباع هنا رجعي (تأثر الأول بالثاني) وأراه تقدميا (تأثر فيه الثاني بالأول) اعتمادا على أن حركة همزة الوصل حركة مبنى ، وحركة التاء حركة فرق عند سقوط همزة الوصل .

٤) أثبت وجود همزة بين بين من خلال مناقشة رأى الدكتور عبد الصبور شاهين ، الذى ذهب إلى عكس ذلك .

٥) أوجزت الحديث عن وظيفة الحركة وأيدت قول قطرب في أنهـــــا للتخفيف اعتمادا على قول الخليل فيما نقله عنه سيبويه ــــــن أن الحركات زوائد يلحقن الساكن للتوصل إلى التكلم به .

٦) إن الإسكان في الثلاثي إذا توالت حركتان وسبقت الأخف منهمـــا

إنما يكون لكراهة الخروج من الخفيف إلى الثقيل .

٧) ذهبت إلى أن اسكان لام الفعل المسند إلى الضمير المتحرك إنما يكون لأمن اللبس مسترشدا برأى ابن مالك في أن الاسكان إنما كان للفرق بين المسند إلى "نا" الفاعلين أو "نا" المفعولين ، ثم طرد باب إسكان المسند على وتيرة واحدة ، وهو فيما أرى طرد لأمن اللبس بين متشابهات لا يفرق بينها إلا الإسكان .

٨) ذهبت إلى أن إهمال الحركة الإعرابية ليس لكراهة المقاطع المتحركة أو للإدغام ، وإنما هو نوع من إهمال الحركة في لهجة كانت تترخص في هذه القرينة .

٩) عالجت قضية المهمل من التتابعات الثنائية في الموقعين الأول ، والثاني ، والموقعين الثاني والثالث ، من الجذور الثلاثية وخلصت إلى أن إهمال ما أهمل مما تحتمله القسمة يعود إلى ثلاثة أسباب :

أولها : الثقل وهو تفسير ابن جني للمهمل ، وبينت ثقل التأليف من المخارج المتقاربة ومن المخارج المتباعدة .

ثانيها : أمن اللبس ، فكثير مما أهمل إنما كان إهماله لاحتمال تغيره في السياق إدغاما أو تناسبا ، ولذلك أهملت التواليات الممكنة من أصوات مقدم اللسان والأسنان لأنها تشكل ثنائيات صغرى ، الفرق بينها لا يكون إلا بصفة واحدة إما جهرا أو همسا أو شدة أو رخاوة أو تفخيما أو ترقيقا .

ثالثها : أن جزءا مما أهمل أهمل احتياطا بمعنى أننا لا نجد تفسيرا له غير أنه لم يؤلف منه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المصادر والمراجع

(قائمة المصادر والمراجع)

- القرآن الكريم .

- أبحاث في اللغة العربية .

للدكتور داود عبده ، بيروت ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٧٣م .

- الإبدال

لأبي يوسف يعقوب بن السكيت (٢٤٤ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف ، ومراجعة علي النجدي ناصف ، القاهرة ـ مجمع اللغة العربية ـ ١٣٩٨هـ .

- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع .

لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ) ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض ، القاهرة ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ ١٤٠٢هـ .

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر .

للبناء الدمياطي (١١١٧هـ) ، صححه وعلق عليه : علي محمد الضباع ، القاهرة ـ مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي ـ ١٣٥٩هـ .

- الإتقان في علوم القرآن .

لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ، وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) ، بيروت ـ المكتبة الثقافية ـ ١٩٧٣م .

- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي " أبو عمرو بن العلاء " .

للدكتور عبد الصبور شاهين ، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ .

- إحياء النحو .
لإبراهيم مصطفى ، القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٩م .
- إدغام القراء .
لأبي سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) ، تحقيق الدكتور محمد علي عبد الكريم الرَّدَيني ، مطبعة الأمانة ـ القاهره ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥هـ
- أسرار العربية .
لأبي البركات الأنبارى (٥٧٧ هـ) ، تحقيق بهجت البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ١٣٧٧هـ
- أسس علم اللغة .
ماريوباى ، ترجمة أحمد مختار عمر ، القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٤٠٣هـ
- الأشباه والنظائر .
للسيوطي ، جلال الدين (٩١١هـ) ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، طبعة ١٣٩٥هـ ـ مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، وطبعة أخرى حققها الدكتور عبد العالم سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٦هـ
- الأصوات اللغوية .
للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهره ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الخامسة (١٩٧٩م) .
- الأصوات اللغوية .
للدكتور محمد علي الخولي ، الرياض ـ مكتبة الخريجي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

- الأصـول . دراسة ابيستمولوجيه لأصول الفكر اللغوى العربي .
للدكتور تمام حسان . المغرب ـ دار الثقافة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠١هـ
- الأصـول في النحـو .
لأبي بكر بن السّراج (٣١٦هـ) تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥هـ
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج .
تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبناني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ
- الأفعال .
لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافرى (توفي بعد سنة ٤٠٠هـ) .
تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف ، وراجعه الدكتور محمد مهدى علام ـ القاهره ـ مجمع اللغة العربية ـ ١٣٩٥هـ
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب .
لأبي محمد بن السيد البطليوسي (٥٢١هـ) ، تحقيق مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد ـ الهيئة العامة المصرية للكتاب ـ ١٩٨١م.
- الإقناع في القراءات السبع .
لأبي جعفر بن الباذش (٥٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، مكة المكرمة ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣هـ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين .
لأبي البركات الأنبارى (٥٧٧هـ) ، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

- الإيضاح في شـرح المفصـل .
لابن الحاجب (٦٤٦ هـ) ، تحقيق الدكتور موسى بناي العليلي
مطبعة العاني ـ بغداد ـ بدون تاريخ .
- الإيضاح في علـل النحـو .
لأبي القاسم الزجاجي (٣٣٧ هـ) ، تحقيق الدكتور مازن المبارك
بيروت ـ دار النفائس ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ .
- الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) .
للخطيب القزويني (٧٣٩ هـ) ، القاهرة ـ مكتبة ومطبعة محمد علي
صبيح ـ ١٣٩٠هـ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . لابن هشام الأنصارى (٧٦١هـ)
تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ـ دار إحياء
التراث العربي ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٦٦م .
- البحر المحيط .
لأبي حيان (٧٥٤ هـ) ، بيروت ـ دار القلم ـ الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ .
- بحوث ومقالات في اللغـة .
للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي
بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
- التبصـرة والتذكـرة .
لأبي محمد عبد الله بن إسحاق الصيمرى (من نحاة القرن الرابع)
تحقيق الدكتور فتحي مصطفى علي الدين ، مكة المكرمة ـ مركز البحث
العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ .
- التبيان في إعراب القـرآن .

لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) ، تحقيق محمد علي البجـــــاوي
القاهرة ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ بدون تاريخ .

ـ التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين .
لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين
بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصـد .
لابن مالك (٦٧٢ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات ـ دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٨٧هـ.

ـ التشكيل الصوتي في اللغة العربية " فونولوجيا العربية " .
للدكتور سلمان حسن العاني ، ترجمة الدكتور ياسر الملاح ، ومراجعة
محمد محمود غالي ـ جدة ـ النادي الأدبي الثقافي ـ الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ.

ـ التصريـــف الملوكـــي .
لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) تحقيق : محمد سعيد بـــن
مصطفى النعساني ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٠هـ.

ـ التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه .
للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعـي
بالرياض ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

ـ التطـور النحـوي للغـة العربيـة .
لبرجشتراسر ، أخرجها وصححها وعلق عليها الدكتور رمضان عبد التواب
مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ـ ١٤٠٢هـ.

- التكملة (الجزء الثاني من الإيضاح العضدي) .
لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، مطبوعات جامعة الملك سعود — الرياض — ١٤٠١هـ .

- التمهيد في علم التجويد .
لابن الجزري (٨٣٣ هـ) ، تحقيق غانم قدوري حمد ، بيروت — مؤسسة الرسالة — ١٤٠٧هـ .

- التيسير في القراءات السبع .
لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) ، صححه : أوتوبرتزل ، بيروت — دار الكتاب العربي — الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

- الجني الداني في حروف المعاني .
للحسن بن أم قاسم المرادي (٧٤٩ هـ) ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوه ، ومحمد نديم فاضل . دار الآفاق الجديدة — بيروت — الطبعة الثانية — ١٤٠٣هـ .

- حاشية الصبان على شرح الأشموني .
على ألفية ابن مالك ومعه شواهد العيني — القاهرة — دار إحياء الكتب العربية — بدون تاريخ .

- الحجة في علل القراءات السبع .
لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ، تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبي ، وراجعه : محمد علي النجار — الهيئة العامة المصرية للكتاب — الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

- حجة القراءات .
لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة — بيروت — الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ .

- الحمل على الجوار في القرآن الكريم .
للدكتور عبد الفتاح احمد الحموز ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

- الخصائـــــص .
لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ببيروت ـ بدون تاريخ .
- خصائص اللهجة الكويتية دراسة لغوية ميدانية .
للدكتور عبد العزيز مطر ، مطابع الرسالة ـ الكويت ـ من محاضرات الموسم الثقافي بجامعة الكويت ١٩٦٩م .
- دراسات في علم أصوات العربية .
للدكتور داود عبده ، الكويت ـ مؤسسة الصباح ـ بدون تاريخ .
- دراسات في كتاب سيبويه .
للدكتورة خديجة الحديثي ، الكويت ـ وكالة المطبوعات ـ بدون تاريخ .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني .
للدكتور حسام سعيد النعيمي ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ١٩٨٠م .
- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس "باستخدام الكمبيوتر" .
للدكتور علي حلمي موسى ، والدكتور عبد الصبور شاهين ، مطبوعـــات جامعة الكويت ـ بدون تاريخ .
- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح "باستخدام الكمبيوتر" .
للدكتور علي حلمي موسى ـ مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧٣م .
- دراسة الصوت اللغوى .
للدكتور احمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م ، عالم الكتـب ، القاهرة .
- دروس في الألسنية العامــة .
لفردينان دى سوسير . تعريب صالح القرمادى ، ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب ١٩٨٥م .

- دروس في علم أصوات العربية .
لجان كانتينو ، ترجمة : صالح القرمادي ، تونس ـ مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦م .
- دلائل الاعجاز .
لعبد القاهر الجرجاني ، صححه وعلق عليه السيد محمد رشيد رضا . دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ.
- دلالة الألفاظ .
للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٠م .
- الرد على النحاة .
لابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ) ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٩هـ.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني .
لأحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٢هـ) ، تحقيق الدكتور احمد محمد الخراط ، دمشق ـ دار القلم ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- السبعة في القراءات .
لأبي بكر احمد بن موسى بن مجاهد التميمي (٣٢٤ هـ) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ـ دار المعارف بمصر .
- سر صناعة الإعراب .
لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور حسن هنداوى دمشق ـ دار القلم ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- سر الفصاحة .
لابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) ،بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

- شرح جمل الزجاجي .
لابن عصفور الأشبيلي (٦٦٩ هـ) ، تحقيق : الدكتور صاحب أبو جناح ، العراق – وزارة الأوقاف والشئون الدينية – ١٩٧١م .
- شرح شافية ابن الحاجب .
لرضي الدين الإستراباذي (٦٨٦هـ) ومعه – شرح شواهده – لعبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت – ١٣٩٥هـ
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ .
لابن مالك (٦٧٢هـ) ، تحقيق : عدنان عبد الرحمن الدوري ، العراق – مطبعة العاني ببغداد – ١٣٩٧هـ
- شرح الكافيه الشافيه .
لابن مالك (٦٧٢هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي ، مكة المكرمة – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ
- شرح مختصر التصريف العزى في فن الصرف .
لمسعود بن عمر التفتازاني (٧٩١هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، الكويت – ذات السلاسل للطباعة والنشر – الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
- شرح المفصل .
لابن يعيش (٦٤٣هـ) . ، عالم الكتب بالقاهرة ، ومكتبة المثنى ببغداد .

- شرح الملوكي في التصريف .
لابن يعيش (٦٤٣هـ) ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوه ، المكتبة العربية ـ حلب ـ الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) .
إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢هـ .
- الضمائر في اللغة العربية .
للدكتور محمد عبد الله جبر ، القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠م .
- ظاهرة التنوين في اللغة العربية .
للدكتور عوض المرسي جهاوي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
- العربية الفصحى ـ نحو بناء لغوي جديد .
لهنري فليش ، تعريب وتحقيق : الدكتور عبد الصبور شاهين ، بيروت دار المشرق ـ الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ .
- علم الأصوات .
لبرتيل مالمبرج ، ترجمة ودراسة : الدكتور عبد الصبور شاهين القاهرة ـ مكتبة الشباب ـ ١٩٨٤م .
- علم اللغة العام (الأصوات) .
للدكتور كمال بشر ، دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٥م
- علم اللغة المبرمج "الأصوات والنظام الصوتي مطبقا على اللغة العربية"
للدكتور كمال إبراهيم بدري ، جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٤٠٢هـ

- العـــين .
للخليل بن أحمد الفراهيدى (١٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور: عبدالله درويش (الجزء الأول) ، الطبعة الأولى — ١٣٨٦هـ مطبعة العاني بغداد .
- فقه اللغات السامية . لكارل بروكلمان ـ ترجمة رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الملك سعود ـ ١٣٩٧هـ .
- الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، للدكتور عبد الفتاح شلبي ـ دار الشروق ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ .
- في علم اللغة العام .
للدكتور عبد الصبور شاهين ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ .
- في اللهجات العربية .
للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ـ لجنة البيان العربي ـ الطبعة الثانية ١٩٥٢م .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث .
للدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ بدون تاريخ .
- الكتـــاب .
لسيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٣٩٥هـ . القاهرة .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها .
لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .

- لسان العرب .

لابن منظور (٧١١ هـ) ، بيروت ــ دار صادر ــ بدون تاريخ .

- لغات البشر : أصولها ــ طبيعتها ــ تطورها .

لماريوباى ، ترجمة : الدكتور صلاح العربي ، القاهرة ــ الجامعة الأمريكية ــ ١٩٧٠م .

- اللغة .

تأليف : ج ، فندريس ، تعريف : عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ــ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠م .

- اللغة بين المعيارية والوصفية .

للدكتور تمام حسان ، المغرب ــ دار الثقافة ــ بدون تاريخ .

- لغة تميم ، دراسة تاريخية وصفية .

للدكتور ضاحي عبد الباقي ــ القاهرة ــ مجمع اللغة العربية ١٤٠٥هـ .

- اللغة العربية ، معناها ومبناها .

للدكتور تمام حسان . المغرب ــ دار الثقافة ــ بدون تاريخ .

- اللغة والتطور .

للدكتور عبد الرحمن أيوب ، القاهرة ــ معهد البحوث والدراسات العربية ــ ١٩٦٩م .

- اللهجات العربية في التراث .

للدكتور أحمد علم الدين الجندى ، تونس ــ الدار العربية للكتاب ــ ١٩٨٣م .

- اللهجات في الكتاب لسيبويه "أصواتا وبنيه" .
لصالحة راشد غنيم آل غنيم ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

- ليس في كلام العرب .
للحسين بن احمد بن خالويه (٣٧٠هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت – دار العلم للملايين – ١٣٩٩هـ

- ما ذكره الكوفيون من الإدغام .
لأبي سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) ، تحقيق : الدكتور صبيح التميمي جدة – دار البيان العربي – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

- مبادئ اللسانيات العامة .
لأندريه مارتينيه ، ترجمة الدكتور احمد الحلو . وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية – ١٤٠٤هـ

- محاضرات في اللغة .
للدكتور عبد الرحمن أيوب ، مطبعة المعارف – بغداد – ١٩٦٦م .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها .
لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبي ، القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٣٨٦هـ

- المدخل إلى علم اللغة ، ومناهج البحث اللغوي .
للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها .

لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : محمد احمد جـــاد المولى ،وعلي محمد البجاوى ،ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهـــرة دار إحياء الكتب العربية ـ بدون تاريخ .

- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات .

لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ، تحقيق : صلاح الدين عبد اللـــه السنكاوى ، بغداد ـ مطبعة العاني ـ بدون تاريخ .

- المساعد على تسهيل الفوائد .

لابن عقيل (٧٦٩ هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد كامل بركات . مكـــة المكرمة ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

- معانـــي القـــرآن .

للأخفش الأوسط ، أبي الحسن سعيد بن سعدة (٢١٥هـ) تحقيـــق الدكتور فائز فارس . الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ ـ الكويت .

- معانـــي القـــــرآن .

لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧ هـ) :

ج ١ : تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار .

ج ٢ : تحقيق محمد علي النجار .

ج ٣ : تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي ، والأستاذ علي النجدى ناصف الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٨٠م .

- معجم علم الأصـــوات .

للدكتور محمد علي الخولي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

- معجم علم اللغة النظـــرى .

وضعه الدكتور محمد علي الخولي ، بيروت ـ مكتبة لبنان ـ بدون تاريخ .

- معجم القـــراءات القرآنيـــة .

وضعه الدكتور عبد العال سالم مكرم ، والدكتور أحمد مختار عمر ، الكويت .
مطبوعات جامعة الكويت ، صدر الجزء الأول ١٤٠٢هـ ، والأخرى تباعاً بعد هذا التاريخ

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

لمحمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الاسلامية ــ إستانبول ــ تركيا ــ ١٩٨٤م .

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم .

لأبي منصور الجواليقي (٥٤٠هـ) ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر

مطبعة دار الكتب ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .

لابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين

عبد الحميد ، القاهرة ــ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ــ بدون تاريخ .

- المقتضـــب .

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق الشيخ محمد

عبد الخالق عضيمة ، بيروت ، عالم الكتب ــ بدون تاريخ .

- مقالات في اللغة والأدب .

للدكتور تمام حسان ، منشورات معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى

١٤٠٥هـ .

- الممتع في التصريف .

لابن عصفور الاشبيلي (٦٦٩ هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه

المكتبة العربية بحلب ــ الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ .

- مناهج البحث في اللغـــة .

تأليف الدكتور تمام حسان ، طبعة ١٤٠٠هـ ، دار الثقافة ــ الـــدار

البيضاء ــ المغرب .

- من أسرار اللغة .

للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة السادسة ـ ١٩٧٨م .

- المنصف شرح الإمام أبي الفتح بن جني (٣٩٢هـ) لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني (٢٤٧هـ) تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين . القاهرة ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ .

- المنقوص والممدود .

لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ، تحقيق : عبد العزيز الميمني الراجكوتي . القاهرة ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ .

- من وسائل التخفيف في اللسان العربي .

للدكتور حمزه عبد الله النشرتي ، القاهرة ـ ١٤٠٧هـ .

- النشر في القراءات العشر .

لابن الجزرى (٨٣٣ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سالم محيسن القاهرة ـ مكتبة القاهرة ـ بدون تاريخ .

- النكت في تفسير كتاب سيبويه .

للأعلم الشنتمرى (٤٧٦ هـ) ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، منشورات معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع .

لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) .

حقق الجزء الأول : عبد السلام هارون ، والدكتور عبد العال سالم مكرم البقية حققها الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية الكويت ـ ١٣٩٤هـ .

- يونس البصري : حياته وآثاره ومذهبه .
للدكتور احمد مكي الأنصاري ، القاهرة ـ دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ

(الدوريـــــات)

- مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيـــــز
(جامعة أم القرى) العدد الثاني ـ السنة الثانية ـ ١٣٩٦هـ - ١٣٩٧هـ .
- مجلة معهد اللغة العربية ، جامعة أم القرى ـ العدد الأول ١٤٠٢-١٤٠٣هـ .

فهرس الموضوعات

أ) الفهرس الاجمالـــي

الموضــــوع	صفحـــــــة
شــكر وتقديــر	أ ح
المقدمــــة	
التمهيـــــد	١ – ٢٢
(الفصــل الأول)	
ثقـل توالي الأشـــــال	٢٣ – ١١٧
المبحث الأول : الإدغـــام	٣١ – ٨٦
المبحث الثاني : حذف أحد المثلين	٨٧ – ١١٧
المبحث الثالث : المخالفـــة	١١٨ – ١٣٣
المبحث الرابع : الفصل بين المثلين	١٣٤ – ١٣٩
(الفصــل الثانـــي)	
ثقـــــل توالي المتنافـرات	١٤٠ – ٢٣٤
المبحث الأول : التناسب الحركـــي	١٤٥ – ١٩٩
المبحث الثاني : التناسب بين الأصوات الصامتة	٢٠٠ – ٢٣٤
(الفصــل الثالــث)	
طلب الخفة في ظواهر صوتية متفرقة	٢٣٥ – ٣٠٣
المبحث الأول : في ثقل الابتداء بالساكن ، والتقاء الساكنين	٢٣٥ – ٢٥٤
المبحث الثاني : الإسكان وحذف الحركـــة	٢٥٥ – ٢٦٦
المبحث الثالث : ثقل الهمزة المفـــــردة	٢٦٦ – ٢٨٠
المبحث الرابع : حسن تأليف الكلمة المفردة	٢٧٦ – ٣٠٣
الخاتمـــــة	٣٠٤ – ٣٠٧
قائمة المصادر والمراجع	٣٠٨ – ٣٢٤
فهرس الموضوعـــــات	٣٢٥ – ٣٣٧

ب) الفهرس التفصيلي

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	٠
المقدمة	أ — ح
التمهيد : طلب الخفة في دراسات القدماء والمحدثين	١ — ٢٢
الخفة في اللغة	١
طلب الخفة في دراسات القدماء	٣
عند سيبويه	٤
عند ابن جني	٧
طلب الخفة في دراسات المحدثين	١٠
الفريق المؤيد للأخذ بقانون السهولة والتيسير أو الميل إلى	
الاقتصاد في الجهد العضلي	١١
سوسير	١١
د . إبراهيم أنيس	١٢
د . رمضان عبد التواب	١٣
الفريق المعارض للأخذ بقانون السهولة والتيسير أو الميل	
إلى الاقتصاد في الجهد العضلي	١٤
ماريوباى	١٤
د . عبد الرحمن أيوب	١٤
د . تمام حسان	١٥
توجيه الخلاف بين المحدثين	١٧

الموضـــــوع	الصفحـــــة
رأى آخر للدكتور تمام حسان	١٧
طلب الخفة ظاهرة صوتيـــة	١٨
الفرق بين الاقتصاد اللغوى والاقتصاد في الجهد	١٩
(الفصـــل الأول)	
ثقـل توالـي الأمثـــــــال	٢٣ — ١١٧
تمهيـــــــد	٢٣
موطن الثقل في توالي الأمثال وتحليله	٢٤
المبحث الأول : الإدغـــام :	٣١ — ٨٦
تعريفـــــــه	٣١
كيفية الإدغـــام	٣١
تقسيمات الحركـــة	٣٤
إدغام المثلـــين	٣٦
أولا : إدغام المثلين في كلمة واحدة	٣٦
أ) إدغام المثلين في أول الكلمة	٣٦
ب) إدغام المثلين في وسط الكلمة	٣٨
جـ) إدغام المثلين في آخر الكلمة	٣٩
امتناع إدغام المثلين في كلمـــــة	٤١
ثانيا : إدغام المثلين من كلمتـــين	٤٣
حالات حسن إدغام المثلين من كلمتين وامتناعه	٤٤
إدغام المتقاربين	٥١

الموضـــــوع	الصفحـــة
إدغام الهمـــزة	٥٥
إدغام البـــاء	٥٨
إدغام التـــاء	٥٩
إدغام الثـــاء	٦١
إدغام الجيـــم	٦٣
إدغام الحـــاء	٦٣
إدغام الخـــاء	٦٤
إدغام الـــدال	٦٤
إدغام الـــذال	٦٦
إدغام الـــراء	٦٨
إدغام الـــزاى	٦٨
إدغام الســـين	٦٨
إدغام الشـــين	٦٩
إدغام الصـــاد	٦٩
إدغام الضـــاد	٦٩
إدغام الطـــاء	٧٠
إدغام الظـــاء	٧٢
إدغام العـــين	٧٣
إدغام الغـــين	٧٣
إدغام الفـــاء	٧٤
إدغام القـــاف	٧٤

الموضوع	الصفحة
إدغام الكاف	٧٥
إدغام اللام	٧٦
إدغام الميم	٧٩
إدغام النون	٨٠
إخفاء النون	٨٢
إدغام الهاء	٨٤
إدغام الواو والياء	٨٤
المبحث الثاني : حذف أحد المثلين	٨٧ — ١١٧
أولا : حذف أحد المثلين في أول الكلمة	٨٨
١) المضارع الذى يجتمع فيه تاءان أو ثلاث	٨٨
٢) الهمزتان في أول الكلمة	٩١
ثانيا : حذف أحد المثلين المتوالين وسطا	٩٣
١) الفعل المضعف المسند إلى ضمير الرفع المتحرك ..	٩٣
٢) صيغة افتعل	٩٧
٣) بعض تصاريف الفعل الأجوف	٩٧
٤) الهمزتان الملتقيتان من كلمتين	١٠١
٥) حذف أحد المتقاربين	١٠٣
ثالثا : حذف أحد المثلين المتواليين آخرا	١٠٥
١) نون الوقاية مع نون الأفعال الخمسة	١٠٥
٢) نون الوقاية مع إن وأن ولكن وكأن	١٠٩

الموضـــــوع	الصفحـــة
٣) نون الوقاية مع نون (من وعن ..)	١١١
٤) نون الوقاية مع لعل	١١٢
٥) نون النسوة مع نون الوقاية	١١٢
٦) إن وأخواتها مع " نا " الضمير	١١٣
٧) نون الأفعال الخمسة مع نوني التوكيد	١١٤
٨) الحذف عند إضافة " ياء " النسب	١١٦
المبحث الثالث : المخالفـــــه :	١١٨ - ١٢٣
تعريفهـــــا	١١٨
أشهر المواطن التي وقعت فيها المخالفة	١٢٢
أولا : المضعف المسند إلى ضمير الرفع المتحرك	١٢٢
ثانيا : النسب الى المنقوص والمقصور	١٢٤
ثالثا : الهمزتان الملتقيتان في كلمة أو كلمتين	١٢٦
رابعا : المضعف من غير الأفعال	١٣١
خامسا : قلب الهمزة تاء في صيغة افتعل ما فاؤه همزة ...	١٣٢
المبحث الرابع : الفصل بين المثلين :	١٣٤ - ١٣٩
أهـــم مواطن الفصـــل :	١٣٤
أ) توالي الهمزتـــين	١٣٤
ب) اجتماع نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة	١٣٦
جـ) الفصل بين المثلين بأحد أصوات المد واللين	١٣٧

الموضوع	الصفحة
(الفصل الثاني)	
ثقل توالي المتنافرات	١٤٠ - ٢٣٤
تمهيد	١٤٠
أسباب التنافر	١٤١
مواطن التنافر	١٤٣
المبحث الأول : التناسب الحركي	١٤٥ - ١٩٩
تمهيد	١٤٥
أولا : أصوات المد ومناسبة الحركة السابقة عليها	١٤٨
أ) قلب الواو والياء ألفا	١٤٩
ب) قلب الواو ياء	١٥٠
ج) قلب الياء واوا	١٥٣
ثانيا : حركة المناسبة	١٥٤
أ) حركة ما قبل ياء النسب	١٥٤
ب) حركة ما قبل ياء الضمير	١٥٦
ج) حركة ما قبل ألف الاثنين	١٥٨
د) حركة ما قبل واو الجماعة	١٥٩
هـ) الحركة المقدرة على المنقوص والمقصور	١٥٩
١) تقدير الحركة على المقصور	١٦٠
٢) تقدير الحركة على المنقوص	١٦١
ثالثا : الإتباع الحركي	١٦٢

الموضـــــــوع	الصفحـــــة

أولا : حركة ضمير الغائب ١٦٣

١) كسر الهاء إتباعا لكسرة سابقة ١٦٤

٢) ضم الميم إتباعا لضمة الهاء في ضمير الجميع ١٦٦

٣) كسر الميم إتباعا لكسرة الكاف في خطاب الجميع ... ١٦٧

ثانيا : حركة همزة الوصل في أمر الثلاثي ١٦٨

ثالثا : جمع " فعله " جمعا صحيحا ١٧١

أ) إتباع الضم الضم ١٧١

ب) إتباع الكسر الكسر ١٧٢

جـ) إتباع الفتح الفتح ١٧٣

رابعا : الإتباع في اسم الفاعل من الفعل المزيد ١٧٤

خامسا : الكسر مع حروف الحلق ١٧٤

سادسا : إتباع في نماذج متفرقة من الكلمات ١٧٨

أ) كلمة أم ١٧٩

ب) كلمة النقـــد ١٨٠

سابعا : الإتباع في كلمتين ١٨١

رابعا : الإمالـــــه ١٨٣

تعريفهـــــا ١٨٣

أنواع الإمالـــه ١٨٦

أسباب الإمالـــه ١٨٦

مواطن الإمالـــه ١٨٦

الموضـــــوع	الصفحــــة
الإ ماله في الألف المنقلبة عن أصل	١٨٨
إمالة الألف غير المنقلبة عن أصـل	١٩١
إمالة الألف الزائدة " لغرض التناسب الصوتي "	١٩٤
ما يمنع الإ مالـــه	١٩٥
المبحث الثاني : التناسب بين الأصوات الصامتة	٢٠٠ - ٢٣٤
تمهيـــــــد : بيان مواطن التنافر في توالي الصوامت ..	٢٠٠
أولا : الجهـر والهمس	٢٠٠
تعريفهمـــا	٢٠٠
١) جهر السين لمجاورتها القاف	٢٠٢
٢) جهر السين لمجاورتها الدال	٢٠٢
٣) جهر العين لمجاورتها الطاء	٢٠٣
٤) جهر التاء لمجاورتها الـدال	٢٠٥
٥) جهر التاء لمجاورتها الذال	٢٠٧
٦) جهر التاء لمجاورتها الـزاى	٢٠٩
٧) جهر التاء لمجاورتها الجيم	٢١٠
تفسير قياسية الإ جهار في صيغة " افتعل "	٢١١
٨) جهر الصاد لمجاورتها الدال	٢١٤
٩) همس العين لمجاورتها الهاء	٢١٦
الإدغام لا يعد تناسبا صوتيا	٢١٦
ثانيا : الشـدة والرخـــاوة	٢١٩

الموضـــوع	الصفحـــة
تعريفهـــا	٢١٩
التحول من شديد إلى رخو ، ومن رخو إلى شديد لغرض الإدغام	٢٢٠
ثالثا : التفخيم والترقيـق	٢٢١
تعريف التفخيم	٢٢١
١) أصوات الاطباق ومجاورتها في السياق	٢٢٣
أ) في صيغة " افتعل "	٢٢٣
ب) في سياقات صوتية أخرى	٢٢٥
تفسير عدم تأثير الاطباق في غير صيغة افتعل بشـكل قياسـي	٢٢٧
٢) بقية الأصوات المفخمة (خ / غ / ق) ومجاورتها في السـياق	٢٢٨
٣) تفخيم اللام مع الأصوات المفخمة	٢٢٩
رابعا : التناسب بين الحركات والأصوات الصامتة	٢٣٠
١) ترقيق الراء وتفخيمها	٢٣٢
٢) ترقيق لام (لفظ الجلالة) وتفخيمها	٢٣٤
(الفصـل الثالـث)	
طلب الخفة في ظواهر صوتية متفرقة	٢٣٥ - ٣٠٣
المبحث الأول :	٢٣٥ - ٢٥٤
القسم الأول : ثقل الابتداء بالساكن	٢٣٥
اللغات الأخرى تجيز الابتداء بالساكن	٢٣٥

الموضـــــــوع	الصفحـــة
تحديد موطن الثقل وتحليله	٢٣٦
طرق التخلص من ثقل الابتداء بالساكن	٢٣٨
١) زيادة همزة الوصل	٢٣٨
مواضع زيادة همزة الوصل	٢٤٠
ـ حركة همـزة الوصـــل	٢٤١
٢) الاعتماد على حركة المقطع الأخير في الكلمة السابقـة	٢٤٢
القسم الثاني : ثقل التقاء الساكنين	٢٤٣
اللغات الأخرى يلتقي فيها الساكنان والثلاثة	٢٤٣
وظيفة الحركـات	٢٤٤
تحديد موطن الثقل وتحليله	٢٤٦
طرق التخلص من ثقل التقاء الساكنين	٢٤٨
١) تحريك الساكن الأول	٢٤٨
٢) حذف الساكن الأول	٢٥١
اغتفار التقاء الساكنين	٢٥٣
المبحث الثاني : الإسكان وحذف الحركة	٢٥٥ - ٢٦٦
١) إسكان عين الكلمة	٢٥٧
٢) إسكان لام الكلمـة	٢٦٢
المبحث الثالث : ثقل الهمزة المفردة	٢٦٦ - ٢٨٠
ـ الوصف الصوتي للهمزة	٢٦٦
ـ ثقـل الهمـزة	٢٦٧

الموضوع	الصفحة
– التخلص من ثقل الهمزة	٢٦٩
١) تسهيلها (بين بين)	٢٦٩
رأى الدكتور إبراهيم أنيس في همزة (بين بين) .	٢٧٠
رأى الدكتور عبد الصبور شاهين في همزة (بين بين)	٢٧١
نقد رأى الدكتور عبد الصبور شاهين	٢٧٢
٢) إبدال الهمزة	٢٧٧
٣) حذف الهمزة	٢٧٨
المبحث الرابع : حسن تأليف الكلمة	٢٧٦ – ٣٠٣
أولا : المخارج المتقاربة	٢٨١
١) الأصوات الحلقية	٢٨١
٢) أصوات مقدم اللسان	٢٨٣
٣) الأصوات الشفوية	٢٨٨
٤) الأصوات اللثوية	٢٨٩
٥) الأصوات اللهوية والطبقية	٢٩١
٦) الأصوات الشفوية الأسنانية والأسنانية	٢٩٢
ثانيا : المخارج المتباعدة :	٢٩٣
١) الأصوات الحلقية واللهوية والأصوات الأسنانية ، والأسنانية اللثوية	٢٩٣
٢) الأصوات الغاريه ، والأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية	٢٩٦

الموضـــــــوع	الصفحـــة
٣) الأصوات الغارية والأصوات اللهوية والطبقية	٢٩٨
٤) أصوات متفرقـــة	٢٩٨
فائدتان لمعرفة المستعمل والمهمل من التأليف الصوتي ...	٣٠٠
الخاتمـــة	٣٠٤
قائمة المصادر والمراجع	٣٠٨
فهرس الموضوعـــات	٣٢٥